سلسلة تفسير القرآن الكريم (٦)



التفسير المنهجي

مِنْ الآية ١٠٨ سورَةِ الأَنعامِ - نِهايَةِ سورَةِ الأَعْرافِ

تأليف

الدكتور جمال أبو حسّان

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار المنهل

ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٨٥/ ١/ ٢٠٠٦)

٢٢٢,٦

أبو حسان، جمال

التفسير المنهجي: من الآية ١٠٨ من سورة الأنعام - إلى نهاية سورة الأعراف / جمال أبو حسان. عمان: دار المنهل، ٢٠٠٦

(٢٠٢) ص (سلسلة القرآن الكريم؛ ٦)

ر. إ: (٨٥/ ١/ ٢٠٠٦).

الواصفات: / القرآن// التفاسير// الإسلام/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

2006

رقم الإجازة: 2006 / 1 / 42
رقم الإيداع: 2006 / 1 / 85
التصنيف الدولي: 9957-08-483-6

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصّلاةُ والسّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرجَ به الناسَ من الظُّلْماتِ إلى النّور ، ويَهديَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَستِهِ ، ومِنْ ذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : خيْرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نزلتْ عَليْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسلِمُونَ على مرِّ العُصورِ جُهوداً كثيرةً مُتَوالِيَةً في خِدْمةِ هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بين هذه الجهودِ ما يتعَّلقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرِها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسيرِ أنَّه أُعِدَّ ليكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريسِ في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أعمارِ الطَّلبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْههِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ الأنْعامِ - القِسْمُ العِشْرونَ

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **عَدْواً** : اعتداءً وظُلماً .
- **جَهْدَ أيْمانِهِمْ** : مُجْتَهِدينَ في الحَلْفِ بأغْلَظِ الأيْمانِ وأَوْكَدِها .
- **نَذرُهُم** : نتركُهُمْ دونَ مبالاةٍ .
- **طُغيانِهم** : تجاوزِ الحدِّ في الكُفْرِ .
- **يَعْمَهونَ** : يتحيَّرونَ أو يَعمونَ عنِ الرُّشدِ .
- **حشَرْنا** : جَمَعْنا .
- **قُبُلاً** : مُقابلةً ومُواجهةً ، أو جماعةً جماعةً .
- **زُخْرُفَ القولِ** : باطِلَهُ المُموَّهَ المُزوَّقَ .

غُروراً	خِداعاً وأخْذاً على غِرّةٍ .
لِتَصْغى	: تميلَ .
لِيقْترِفوا	لِيَكْتَسِبوا .

التّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ثَبّتَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ أمامَ ما يقولُهُ المُشْرِكونَ ، وبيّنَ كثيراً منْ دلائلِ وَحدانيّتِه ، وقُدْرَتِه ، أرشَد اللهُ تَعالى المؤمنينَ إلى مَكارِمِ الأخلاقِ ، فنهاهُم عنْ سبِّ آلِهةِ المُشرِكينَ حتّى لا يُقابلَهُمُ المُشْرِكونَ بالمِثْلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

لا تسبُّوا أيُّها المؤمنونَ أصنامَ المُشْرِكينَ الّتي يَعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، فيحمِلَهُمُ الغَضَبُ لها عَلى إغاظَتِكُم بسبِّ اللهِ تَعالى تعدِّياً وسَفَهاً وضَلالاً ، ومثلُ هذا التّزيينِ الّذي حَمَلَ المُشرِكينَ على الدِّفاعِ عنْ عقائدِهمُ الباطلةِ جَهْلاً منهُم وعُدواناً ، زيّنا لكلِّ أُمةٍ منَ الأُممِ عَمَلَهُمْ مِنَ الخيرِ والشَّرِ ، والإيمانِ والكُفْرِ ، فقدْ مضَتْ سُنّتُنا في أخلاقِ البَشَرِ أنْ يَسْتَحْسِنوا ما تعوّدوهُ ، وأنْ يَتعلّقوا بما ألِفوهُ .

وهؤلاءِ المُشْرِكونَ مَرْجِعُهمْ ومَصيرُهُمْ بعدَ البعثِ إلى ربِّهِم ، فيخبُرُهُمْ منْ غيرِ تأخيرٍ بما كانوا يَعملونَهُ في الدُّنيا ، ويُجازِيهِمْ على ذلِكَ بما يَستحقّونَهُ .

ثمّ حكى القرآنُ الكريمُ المُقْتَرَحاتِ المُتعنِّتَةَ الّتي كانَ المُشْرِكونَ يَقْتَرِحونَها على النَّبيِّ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

وأقسمَ أولئكَ المُشْرِكونَ باللهِ تَعالى مُجْتَهِدِينَ في أيْمانِهِمْ مُؤكِّدينَها بأقصى ألوانِ التَّأكيدِ ، مُعلِنينَ أنَّهم لَئِنْ جاءَتْهُم آيةٌ منَ الآياتِ الكونيَّةِ الّتي اقْتَرَحوها عليكَ يا محمَّدُ ﷺ لَيؤمِنُنَّ بأنّها منْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأنّكَ صادِقٌ فيما تُبلِّغُهُ عنْ ربِّكَ .

ثمَّ لقَّنَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ حُجَّتَهُ للردِّ عليهِم قائلاً له : قلْ لهمْ يا مُحمَّدُ ﷺ : إنَّ هذِهِ الآياتِ الّتي

اقترحْتُموها تَعنُّتاً وَجدَلاً مَردُّها إلى اللهِ تَعالى ، فهوَ وحْدَهُ القادِرُ عَليْها والمتصرِّفُ فيها حَسَبَ مَشيئَتِه وحِكْمتهِ ، وإنْ شاءَ أنزلَها وإنْ شاءَ مَنَعَها ، وأمَّا أنا فليسَ ذلِكَ إليَّ . ثمَّ وجَّهَ اللهُ تَعالى القَوْلَ لِلمُؤْمنينَ قائلاً لهُم : وما يُدريكُم أيُّها المؤمنونَ الرّاغبونَ في إنزالِ هذه الآياتِ لِتكونَ سبباً في إسلام هؤلاءِ المُشرِكينَ ، أنَّها إذا جاءَتْ لا يؤمِنونَ ، فأنا أعلمُ بِهِمْ ، وأنتُمْ لا تَعلمونَ ذلِكَ ، ولذلِكَ توقَّعتُمْ إيمانَهُمْ ، ورغبتُمْ في نُزولِ هذه الآياتِ .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

وإنَّكُم أيُّها المؤمنونَ لا تَدرونَ أيضاً أنّنا نُقلِّبُ قُلوبَهُمْ عندَ مَجيءِ الآياتِ بالخَواطِرِ والتَّأْويلاتِ ونُقلِّبُ أبْصارَهُمْ بتوهُّمِ التَّخيُّلاتِ ، فيكونوا بعدَ الآياتِ كحالِهِمْ قَبْلَها ، وندَعُهُمْ في ظُلْمِهِمْ وعِنادِهِم يَتخبَّطونَ ، مُتَحيِّرينَ لا يَعرفونَ لهمْ طريقاً ، ولا يهتَدونَ إلى سبيلٍ . ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ الّذينَ يَزعُمونَ أنَّهم لوَ جاءَتْهُمْ آيةٌ لَيؤمِنُنَّ بِها ، هُمْ كاذِبونَ في أيْمانِهِمُ الفاجِرَةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

إنَّ أولئِكَ الّذينَ أقْسَموا إذا جاءَتْهُم آيةٌ لَيؤمِنُنَّ بها ، لَكاذِبونَ ، واللهُ تَعالى أعلمُ بأيْمانِهِمْ ، ولَوْ أنَّنا نزَّلْنا الملائِكةَ فَيرونَهُم رأيَ العَيْنِ ، وكلَّمَهمُ الموتَى بعدَ إحيائِهِمْ وإخْراجِهِمْ مِنْ قبورِهِمْ فَشَهِدوا بحقيقةِ إيمانِهِمْ ، وزِدْنا على ذلِكَ فَجَمعْنا لهُمْ جميعَ الخلائقِ مُقابلَةً ومُعايَنَةً حتّى يواجِهُوهُمْ بأنَّكَ على الحقِّ ، لَوْ أننَّا فَعَلْنا ذلِكَ ما آمنوا حقَّ الإيمانِ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ تَعالى لهمُ ذلِكَ ، بسببِ سوءِ استِعدادِهِمْ وفسادِ فِطْرَتِهِمْ ، وانطماسِ بَصيرَتِهِمْ ، فإنَّ قوماً يَمرّونَ على تلكَ الآياتِ الكَوْنيةِ الّتي زَخَرَ بها هذا الكوْنُ ، والّتي استعرَضَتْها هذِهِ السّورةُ فلا تَتفتَّحُ لها بَصائِرُهُمْ ، ولا تَتحرَّكُ لها مَشاعِرُهُمْ ، ليسوا على استعدادٍ لأنْ يُخالِطَ الإيمانُ شِغافَ قُلوبِهِمْ ، وإنَّ الّذي يَنْقُصُهمْ إنَّما هَو القلبُ الحيُّ الّذي يَتلقّى ويَتأثّرُ ويَسْتَجيبُ ، وليسَت الآياتُ الّتي يَقْتَرِحونَها ، فإنَّ أمامَهُمُ الكثيرَ منها ، واقتراحاتُهُمْ إنّما هيَ العَبَثُ السَّخيفُ والعَنَتُ المَرْذولُ الّذي لا يستحقُّ أنْ يُهتَمَّ بِهِ ، وهؤلاءِ أكثرُهُمْ يَجْهلونَ أنَّهم لوْ أُوتوا كلَّ آيةِ لمْ يُؤْمِنوا ، فهمُ لذلِكَ يَحلِفونَ الأيْمانَ المُغلَّظَةَ بأنَّهم لوْ جاءَتهم آيةٌ لَيؤمِنُنَّ بها ، ويَجْهَلونَ أنّ الإيمانَ بمشيئةِ اللهِ تَعالى ، لا بخوارقِ العاداتِ .

ثمَّ واسى اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ لِما يُلاقيهِ منْ تعنُّتِ المُشْرِكينَ وتَماديهِمْ في الباطلِ ببيانِ أنَّ كُلَّ نبيٍّ كانَ لهُ أعداءٌ يُسيئونَ إليهِ ، ويَقْعُدونَ عَقَبةً في طريقِ دَعوتِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

وكَما أنَّ هؤلاءِ عادوْكَ وعانَدوكَ وأنتَ تُريدُ هِدايتَهُمْ ، جَعَلْنا لكلِّ نبيٍّ يُبلِّغُ عنّا أعداءً منْ عُتاةِ الإنْسِ ، وعُتاةِ الجنِّ (الّذين يَخفَوْنَ عنكَ ولا تراهُم) يُوسوسُ بعضُهم لبعضٍ بكلامٍ مُزَخْرَفٍ لا حقيقَةَ لَهُ ، فَيُلقونَ بذلِكَ فيهِمُ الغُرورَ بالباطِلِ ، وذلِكَ كُلُّهُ بتقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ومشيئَتِهِ ، ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى ما فَعلوهُ ، ولكنَّه لِتَمْحيصِ قُلوبِ المُؤْمنينَ ، فاتْرُكِ الضّالّينَ وكُفْرَهُم بأقوالِهِمُ الّتي يَقترِفونَها .

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

إنَّهُمْ يُموِّهونَ القَوْلَ الباطلَ لِيُغْروا أنْفُسَهُمْ فَيَجْعلوها تَرْضاهُ ، ولِتَميلَ إليهِ قلوبُ مَنْ عَمِلَ على شاكلةِ أُولئكَ العُتاةِ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخرةِ ، ويَعتقدونَ أنَّ الحياةَ هيَ الدّنيا فقَط ، ولِيَقعوا بسببِ عدمِ اعتقادِهِمْ باليومِ الآخرِ فيما يَقْتَرِفونَ مِنْ آثامٍ وفُجورٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَستخدمُ الكافرونَ الأيمانَ المُغلَّظَةَ لمحاولةِ إخفاءِ كَذِبِهِمْ ودَجَلِهِمْ .

٢ـ فسادُ طبائِعِ الكافِرينَ ، وامْتِناعُهُم عنِ الإيمانِ حتّى لو جاءَتْهُمْ آياتُ اللهِ تَعالى .

٣ـ ضرورةُ الابتعادِ عمّا لا فائدةَ فيهِ ، وإنْ كانَ جائزاً .

٤ـ التّقوى هيَ الّتي تَحمِلُ الإنسانَ على فِعْلِ الطّاعاتِ ، وتجنُّبِ المُحرَّماتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

عَدْواً ، جَهْدَ أيْمانِهِم ، قُبُلاً ، زُخرفَ القولِ ، لِتَصغَى ، لِيَقْتَرِفوا .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ سدُّ الذَّرائع .

ب ـ الكُفْرُ عِنادٌ .

ج ـ كلُّ أُمَّةٍ تَعْشَقُ ما تَعْمَلُ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أثرَ شياطينِ الإنْسِ والجنِّ في دعوةِ الأنبياءِ ، وضّحْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الحديثَ الشَّريفَ الَّذي يَنْهى فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ عنْ سَبِّ الوالِديْنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ عَدُوَّ كلٍّ منْ : إبراهيمَ وموسى عليْهِما السَّلامُ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني

سورَةُ الأنْعامِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشرونَ

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **حَكَماً** : يتحاكَمُ إليهِ النّاسُ فيحكُمَ بيْنَهمْ بالحقِّ .
- **مُفصَّلاً** : مُبيَّناً فيهِ الحقُّ والباطِلُ .
- **المُمْتَرينَ** : الشّاكّينَ .
- **كلمةُ ربِّكَ** : كلامُهُ ، وهوَ القرآنُ الكريمُ .
- **يَخْرُصونَ** : يكذبونَ فيما يَنْسبونَهُ إلى اللهِ تَعالى .
- **ذَروا** : اتْرُكوا .
- **يَقترِفونَ** : يَكْتَسِبونَ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى طبائِعَ المُشرِكينَ ، أمَرَ رسولَهُ ﷺ أنْ يُصارِحَهُمْ بأنَّ اللهَ وحْدَهُ هو الحَكَمُ الحقُّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

قلْ لهمْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ : هذا حُكْمُ اللهِ تَعالى بالحقِّ بيَّنتْهُ الآياتُ السَّاطعةُ ، فلا يَسوغُ أنْ أطْلُبَ حَكَماً غيرَهُ يفصِلُ بَيْني وبَينَكُمْ ، وقدْ حَكَمَ سُبْحانَهُ فأنزلَ القرآنَ الكريمَ حُجَّةً لي عَليْكُمْ ، وقدَ عَجزْتُمْ عنْ أنْ تأْتوا بمثِلهِ ، وهوَ مُبيِّنٌ للحقِّ ولِلعَدْلِ ، وإنَّ الّذينَ أُوتوا الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنزَّلٌ منْ عندِ اللهِ تَعالى مُشتمِلاً على الحقِّ ، كَما بشَّرَتْ كُتبُهُمْ ، وإنْ حاولوا إخفاءَ ذلِكَ وكِتْمانَهُ ، فلا تَكونَنَّ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ ومَنِ اتَّبعَكَ ، مِنَ الّذينَ يَشكّونَ في الحقِّ بعدَ بيانِهِ .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ هذا الكتابَ كاملٌ مِنْ حيثُ ذاتُهُ ، بعدَ أنْ بيَّنَ كمالَهُ منْ حيثُ إضافتُه إليهِ سُبْحانَهُ ، وبكونِهِ مُنَزَّلاً منْهُ سُبْحانَهُ بالحقِّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾

وإنَّ حُكْمَ اللهِ تَعالى قدْ صَدَرَ ، فَتَمَّتْ كلماتُ ربِّكَ الصّادقةُ في أخْبارِهِ ، العادِلةُ في أحْكامِهِ بإنْزالِ الكِتابِ الكريمِ مُشْتَمِلاً على الصِّدْقِ في أخبارِهِ ومَواعيدِهِ ، وفي عَدْلِ أَحْكامِهِ وقضاياهُ ، ولا يوجَدُ مُغَيِّرٌ يُغيِّرُ كلماتِ اللهِ تَعالى وكتابَهُ ، سواءً أكانَ ذلِكَ باختلافِ الأخبارِ أم نَقْصٍ في الأحْكامِ أم تحريفٍ أم تبديلٍ ، كَما حَدَثَ في التَّوراةِ والإنْجيلِ . واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى سميعٌ لكلِّ ما يُقالُ ، عليمٌ بكُلِّ ما يَقعُ .

وبعَدَ أنْ أقامَ اللهُ تَعالى الدَّلالةَ على وَحدانيَّتِهِ سُبْحانَهُ وصِدْقِ نبيِّهِ ﷺ أتبعَ ذلِكَ بِنَهيِهِ عليهِ الصَّلاة والسّلامُ عنِ الالتفاتِ إلى جَهالاتِ أعدائِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

وإذا كانَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى هوَ الحَكَمُ العَدْلُ الّذي يُرْجَعُ إلى كُتبهِ في طَلَبِ الحقِّ ومَعرفتِهِ ، فلا تَتَّبعْ أَيُّها النَّبيُّ ﷺ أنتَ ومَنْ معكَ ، أحداً يُخالفُ قولةَ الحقِّ ولوْ كَثُرَ عددُهُمْ ، فإنَّكَ إنْ تتَّبعْ أكثرَ النَّاسِ الّذينَ لا يَعتمدونَ على شَرْعٍ مُنزَّلٍ ، يُبعِدوكَ عنْ طريقِ الحقِّ المُستقيمِ ، وهوَ طريقُ اللهِ

تَعالى ، لأنَّهمْ لا يَسيرونَ إلاّ وراءَ الظُّنونِ والأَوْهامِ ، ويَتجافوْنَ عنِ الحُجَجِ العقليّةِ والبراهينِ الإلهيّةِ . وإنْ همْ إلاّ يقولونَ الظَّنَّ دونَ دليلٍ أوْ بُرْهانٍ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾

إنَّ ربَّك الّذي لا تَخْفى عليهِ خافيةٌ هوَ أَعْلَمُ بمنْ يَضِلُّ عَنِ الطَّريقِ المُستقيمِ ، وهوَ أعلمُ منكَ ومِنْ سائرِ الخَلْقِ أيضاً بالسّالِكينَ صِراطَهُ المُستقيمَ ، فعليكَ أيُّها العاقِلُ ، أَنْ تكونَ منْ فريقِ المُهْتدينَ لِتَسْعَدَ كما سَعِدوا ، واحْذَرْ أنْ تَرْكَنَ إلى فريقِ الضّالينَ فَتَشْقى كما شَقوا .

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

فَكُلوا أيُّها المُؤْمِنونَ مِمَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ عندَ ذَبْحِهِ ، واتْرُكوا ما ذُكِرَ عليهِ اسمُ غيرِهِ كالأَوْثانِ ، أوْ ما ذُبِحَ على النُّصُبِ ، أوْ ما ذُكِرَ اسمٌ معَ اسمِهِ تَعالى عليهِ .

لا تَضُرَنَّكُمْ مُخالفتُكُمْ للمُشْرِكينَ في ذلكَ ، فإنَّهمْ لا يَتَّبعونَ في عقائِدِهمْ ومآكِلِهمْ وأعمالِهِمْ إلاّ تقاليدَ الجاهليَّةِ وأَوهامَها الّتي لا تَرْتكِزُ على شيءٍ مِنَ الحقِّ .

فإنَّ الإيمانَ بآياتِ اللهِ تَعالى يَقْتَضي استباحةَ ما أحلَّهُ سُبْحانَهُ ، واجْتِنابَ ما حرَّمَهُ ، فإنْ كُنْتُمْ مُؤْمنينَ باللهِ ، فالْتَزِموا ما أمرَكُمْ بهِ .

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

أيُّ مانعٍ يمنعُكُمْ مِنْ أنْ تأكُلوا ممَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ عِندَ الذَّبحِ ، وقدْ بيَّنَ اللهُ تَعالى لَكُمْ على لسانِ رسولِهِ ﷺ مَا حرَّمَهُ عَليكُمْ مِنَ المَطْعوماتِ ، وبيَّنَ لكُم ذلكَ في كتابِهِ كما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

إذاً فَمِنَ الواجبِ عَليكُمْ أيُّها المؤمنونَ أنْ تأكُلوا وأنتُم مُطْمَئنّونَ مِنْ جميعِ المَطاعمِ الّتي أحلَّها اللهُ تَعالى لكُم وذُكِرَ اسمُ اللهِ عليها ، وعليكُمْ أنْ تتجنَّبوا أَكْلَ ما حرَّمَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ ، ولَو كانَ ذلكَ مِمّا يَستبيحُهُ المُشْرِكونَ ، إلاّ أنْ تَدْعوكُمُ الضَّرورةُ إلى أكْلِ شيءٍ مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الجوعِ ، وفي هذهِ الحالةِ يُباحُ لكُم أنْ تأكُلوا مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ ما يَحفظُ عليكُمْ حياتَكُمْ . هذا هوَ حُكْمُ اللهِ تَعالى الّذي يُريدُ بكمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ ، فَعليكُمْ أنْ تَتَّبعوهُ ، وألاّ تُلْقوا بالاً للأوْهامِ مِنَ المتخَرِّصينَ وأصحابِ الظُّنونِ الباطلةِ . وإنَّ كثيراً مِنَ الكفَّارِ لَيُضلّونَ غَيْرَهُمْ بتَحْريمِ الحلالِ وتحليلِ الحرامِ ، تَبَعاً لأهوائِهِمُ الزّائفةِ ، وشَهاداتِهمُ الباطلةِ ، دونَ أنْ يكونَ عندَهُمْ أيُّ عِلْمٍ مُقتَبَسٍ مِنْ وَحْيِ اللهِ تَعالى ، أو مُسْتَنْبَطٍ مِنْ عَقْلٍ سليمٍ .

وإنّ ربّكَ يا مُحمّدُ ﷺ أعلمُ منك ومِنْ كلِّ مخلوقٍ ، بالمُتَجاوزِينَ لِحدودِ الحقِّ إلى الباطِلِ والحلالِ إلى الحرام .

ثمَّ أمرَ اللهُ تَعالى عبادَهُ بأنْ يَترُكوا ما ظَهرَ مِنَ الآثام وما اسْتَترَ ، فقال تَعالى :

﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

لَيْسَتِ التَّقوى في تحريمِ ما أحلَّ اللهُ تَعالى ، إنَّما التَّقوى في تَرْكِ الإثمِ ظاهرِهِ وباطنِهِ ، فاتْرُكوا الآثامَ في أعمالِكُمُ الظّاهرةِ والخَفيّةِ ، وإنَّ الّذينَ يَكْسِبونَ الإثمَ سَيُجْزَوْنَ مِقدارَ ما اكتَسَبوا مِنْ سيئاتٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ وجوبُ الاحْتِكامِ إلى اللهِ تَعالى ، وتحريمُ الاحْتِكامِ إلى غَيْرِهِ ، لأنَّ أحكامَ اللهِ هيَ الحقُّ والصِّدْقُ .

٢ـ أهلُ الكتابِ يَعلمونَ عِلْماً يقينياً صِدْقَ النَّبيِّ ﷺ ولكنّهُمْ يُخفونَ الحقائقَ .

٣ـ الدَّعوةُ إلى تَرْكِ التَّقليدِ الأَعْمى في مسائِلِ الاعتقادِ وسائرِ مَسائِلِ الشَّرْعِ .

٤ـ تطهيرُ الذَّبائحِ بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَعالى عَلَيْها عندَ ذَبْحِها .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

المُمْتَرينَ ، يَخرُصونَ ، يَقترِفونَ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على كلٍّ ممّا يلي :

أـ لا حُكْمَ إلاّ للهِ تَعالى .

ب ـ أحكامُ اللهِ تَعالى كلُّها صِدْقٌ وحقٌّ وعدلٌ .

ج ـ لا يجوزُ التَّقليدُ في العقائدِ .

د ـ مِنْ يُسْرِ الشَّريعةِ أنَّها ترفعُ الحَرَجَ عنِ المُكلَّفينَ .

٣ـ بيِّنِ الحُكْمَ فيما يلي :

أـ رجلٌ مسلمٌ نسيَ أنْ يُسمِّي على الذَّبيحةِ عندَ ذَبْحِها .

ب ـ رجلٌ نَصْرانيٌّ ذَكَرَ اسمَ بطرسَ معَ اسمِ اللهِ تَعالى عندَ الذَّبْحِ .

ج ـ رجلٌ مسلمٌ امتنعَ عنِ التَّسميةِ عندَ الذَّبْحِ .

د ـ رجلٌ مسلمٌ قالَ عندَ الذَّبْحِ بسمِ الرَّسولِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الكَريمةَ الدّالّةَ عَلى أنَّ اللهَ تعالى حَفِظ القرآنَ الكريمَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورَةُ الأنعامِ - القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

فِسْقٌ : خُروجٌ عنِ الطّاعةِ .

يوحونَ : يُوَسْوِسونَ .

أَكابِرَ مُجْرِميها : الرُّؤساءَ المُجْرِمينَ .

صَغارٌ : ذُلٌّ عظيمٌ وهوانٌ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ أمَرَ اللهُ تَعالى المؤمنينَ بالأَكْلِ ممَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليْهِ ، نَهاهُمْ صَراحةً عنِ الأَكْلِ ممَّا لمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عليهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

وإذا كانتِ الأنْعامُ حلالاً لكُم بذَبْحِها ، فلا تأْكُلوا ممَّا لمْ يُذْكَرِ اسمُ اللهِ تَعالى عليْهِ عنْدَ ذَبْحِهِ ، إذا تُرِكَتْ فيهِ التَّسميةُ عَمْداً ، أوْ ذُكِرَ فيهِ اسمٌ غيرُ اسْمِ اللهِ تَعالى عليهِ ، فإنَّ هذا فِسْقٌ وخُروجٌ عنْ حُكْمِ اللهِ تَعالى ، وإنَّ العُتاةَ مِنَ المُفْسدينَ مِنْ إبليسَ وأعوانِهِ ليُوَسْوِسونَ في صُدورِ مَنِ اسْتَوْلَوْا عليْهِمْ ، ليُجادِلوكُمْ بالباطِلِ ولِيَجُرُّوكُمْ إلى تحريمِ ما أَحلَّ اللهُ تَعالى ، وإنِ اتَّبعتموهُمْ فيما أرادوهُ مِنْكُم ، فإنَّكم مِثْلُهُمْ في الإشْراكِ باللهِ تَعالى وعدمِ تطبيقِ أحكامِهِ :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ أنَّ مِنَ النّاسِ المُهْتَدي وكثيرٌ مِنْهُمُ الفاسِقونَ ، ضَرَبَ مَثَلاً للمُؤْمِنِ وآخَرَ للكافِرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : وإنَّكم أيُّها المؤمنونَ بإيمانِكُمْ لسْتُم مِثْلَ المُشركينَ ، فليسَ حالُ مَنْ كانَ كالميِّتِ في ضَلالِهِ وبُعْدِهِ عنِ الحقِّ ، فأنارَ اللهُ بَصيرَتَه بالهِدايةِ الّتي هيَ كالحياةِ ـ تحتاجُها القلوبُ والأجسادُ ـ وجعلَ اللهُ تَعالى لهُ نورَ الإيمانِ والحُجَجَ البيِّناتِ ، يَهتدي بهذا كلِّهِ ويمشي على ضوئِهِ ، ليسَ حالُه كحالِ الّذي يعيشُ في الظَّلامِ المُتكاثِفِ . وكما زيَّنَ اللهُ تَعالى الإيمانَ في قُلوبِ أهْلِ المعرفةِ والحقِّ زيَّنَ الشَّيْطانُ الشِّركَ والكُفْرَ في نُفوسِ الظَّالِمينَ الجاحِدينَ ، فَجَعَلَهُمْ يرَوْنَ ما يَعْمَلونَهُ حَسَناً ، ويظنُّونَ أنَّه الصَّوابُ . وهذهِ الآيةُ تمثيلٌ للمؤمنِ والكافرِ ، لِتَنفيرِ المُسْلِمينَ عَنْ طاعةِ المُشركينَ ، بعدَ أنْ نهاهُمُ اللهُ تَعالى صراحةً عنْ طاعَتِهِمْ .

فَمَثَلُ المؤمنِ المُهْتَدي إلى الحقِّ ، كمَنْ كانَ ميتاً هالِكاً فأحياهُ اللهُ ، وأعطاهُ نوراً لِيَستضيءَ بهِ في مَصالِحِهِ ، ويهتدي بِهِ إلى طُرقِهِ . ومَثَلُ الكافرِ الضَّالِّ كمَنْ هوَ مُنْغَمِسٌ في الظُّلماتِ لا خَلاصَ لهُ منْها ، فهوَ على الدَّوامِ مُتحيِّرٌ لا يَهتدي ، فكيفَ يَستوي المُؤْمنُ والكافرُ إذَنْ ؟ والمرادُ بالنّورِ : القرآنُ أوِ الإسلامُ ، والمُرادُ بالظُّلماتِ : الكُفْرُ والجهالةُ وعَمى البَصيرةِ . ثمَّ بيَّنَ تَعالى لرسولِهِ ﷺ مُسلِّياً لهُ عمَّا أصابَه مِنْ قومِهِ ، أنّ المُتْرَفينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ همْ أعداءُ الإصلاحِ ، وأنَّ ما لَقِيَهُ النَّبيُّ ﷺ مِنْ أكابرِ مكَّةَ ليسَ بِدْعاً ، بلْ هوَ شيءٌ رآهُ الأنبياءُ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ قَبْلَهُ على أيدي أمثالِ كُفّارِ مكَّةَ المُتْرَفينَ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

وكما جعَلْنا فِي قَريَتِكَ مَكَّةَ رؤساءَ دُعاةً إلى الكُفْرِ وإلى عداوَتِكَ ، جعَلْنا فِي كلِّ قريةٍ مِنْ قُرى

الرُّسلِ مِنْ قبلِكَ رؤساءَ مِنَ المُجْرمينَ مِثْلَهُمْ ، لِيَمْكُروا فيها ويَتجبَّروا على النَّاسِ ، ثمَّ كانتِ العاقبةُ للرُّسلِ ـ عليهِمُ السَّلامُ ـ فلا تَبتئسْ يا مُحمَّدُ ﷺ ممّا يُصيبُكَ مِنْ زُعماءِ مَكَّةَ ، فتلكَ طبيعةُ الحياةِ في كلِّ عَصرٍ أنْ يكونَ زُعماءُ الأُممِ وكُبَراؤُها أشدَّ النّاسِ عَداوةً للمُصْلِحينَ ، ولكنْ ما يَمْكُرُ أولئكَ الأكابرُ المُجْرِمونَ الّذينَ يُعانِدونَ الرُّسلَ والمُصلِحينَ في كلِّ وقتٍ إلاّ بأنْفُسِهِمْ ، حيثُ يعودُ ضَرَرُ مَكْرِهِمْ على أَنفسِهِمْ وحْدَهُمْ في الدُّنْيا والآخرةِ ، ولكنَّهُمْ لانطماسِ بَصيرَتِهِمْ ، لا يَشعرونَ بأنَّ مَكْرَهُمْ سيعودُ عليهِم ضَرَرُهُ ، بلْ يتوهَّمونَ أَنَّهم سَيَنْجَوْنَ في مَكْرِهِمْ بِغَيْرِهِم مِنَ الأَنبياءِ والمُصلِحينَ .

ثمَّ حَكى القرآنُ الكريمُ لَوْناً آخرَ مِنْ ألوانِ مَكْرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ الكفّارَ المُجْرِمينَ يَحْسُدونَ النَّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ فَضْلِهِ مِنْ عِلْمٍ ونُبوَّةٍ وهِدايةٍ ، فإذا جاءَتْهُمْ حُجَّةٌ قاطعةٌ لا يُذْعِنونَ لها ، ولكنْ يَقولونَ لنْ نُذْعِنَ للحقِّ حتّى يَنْزِلَ علينا الوَحْيُ كما يَنْزِلُ على الرُّسُلِ ، واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى وحْدَهُ هوَ الّذي يَصْطَفي لِرسالتِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، وإنَّ هؤلاءِ المُعانِدينَ إذا كانوا يَطْلُبونَ الرّياسةَ بهذا العِنادِ ، فَسَينالُهُم الصَّغارُ والذُّلُّ في الدُّنْيا بِسَببِهِ ، وَسَينالُهُمُ العذابُ الشّديدُ في الآخرةِ بِسَببِ تَدْبيرِهِمُ السَّيِّءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تحريمُ الأكلِ ممَّا لمْ يُذْكَرِ اسمُ اللهِ تَعالى عليْهِ .

٢ـ جَدَلُ الكفَّارِ للذّينَ آمنوا إنّما هوَ مِنْ وحْيِ الشَّياطينِ .

٣ـ إطاعةُ المُشرِكينَ فيما يَرْغَبونَ فيهِ ، شِرْكٌ باللهِ تَعالى .

٤ـ المؤمنُ حيٌّ بنورِ اللهِ تَعالى ، والكافرُ مَيِّتٌ بظُلماتِ الكُفْرِ والضّلالِ .

٥ـ رُسُلُ اللهِ تَعالى هُمْ صَفْوةُ خَلْقِهِ الّذينَ اصْطفاهُمْ على العالَمينَ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

وإنّه لَفِسقٌ ، لَيوحونَ ، أكابرَ مجرميها ، صَغارٌ .

٢ـ بيِّنْ لماذا حرَّمَ اللهُ تَعالى أكْلَ ما لمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ .

٣ـ ما العلاقةُ بينَ تحريمِ ما لمْ يُسَمَّ عليْهِ ووَحْيِ الشَّياطينِ ؟

٤ـ ميَّزَ اللهُ تَعالى بينَ المؤمنينَ والكافرينَ على هيئةِ مَثَلٍ ، وضِّحْ ذلكَ .

٥ـ ما المرادُ بالنّورِ ؟ وما المُرادُ بالظُّلماتِ ؟

٦ـ ما معنى : وما يَمْكُرونَ إلاّ بأنْفُسِهِمْ ؟

٧ـ ما الحُجَّةُ الّتي تَذَرَّعَ بها المُشْرِكونَ لِعَدمِ الإيمانِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ التَّوبةِ الّتي تُبيِّنُ كيفَ زيَّنَ الشَّيْطانُ للكافرينَ تَغييرَ الأشْهُرِ الحُرُمِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أواخِرَ سورةِ الشَّمسِ الّتي تُبيِّنُ فِعْلَ المُجرمينَ مِنْ قبيلةِ ثمودَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابعُ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَشْرَحْ صدرَهُ	: يُوسِعْهُ لِقَبولِ الحقِّ .
حَرَجاً	: شَديدَ الضِّيقِ .
يَصَّعَّدُ	: يتكلَّفُ صُعودَها فلا يَستطيعُ .
الرِّجْسَ	: العَذابَ أوِ الخِذلانَ .
دارُ السَّلامِ	: دارُ السَّلامةِ والأمنِ .
وليُّهُمْ	: ناصِرُهُمْ .
استكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ	: أكْثَرْتُم مِنْ دعوتِهم للضَّلالِ والغِوايةِ .
النَّارُ مَثْواكُم	: مَأْواكُم ومُسْتَقرُّكُمْ ومُقامُكُم .



التَّفسير :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ الماكِرين الجاحِدينَ الحاسِدينَ للنَّبيِّ ﷺ ، أخذَ اللهُ تَعالى في بيانِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِه في الهِدايةِ والضَّلالِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

إذا كانَ أولئكَ الماكِرونَ الجاحِدونَ قدْ ضَلُّوا ، وأَنْتُم أيُّها المُؤمنونَ الصَّادِقونَ الصَّابِرونَ قدِ اهْتَدَيْتُمْ ، فذلكَ كُلُّه بإرادةِ اللهِ تَعالى وقَضائِهِ ، فمَنْ يَكْتُبِ اللهُ تَعالى لَهُ الهِدايةَ يَتَّسِعْ صَدْرُهُ لنورِ الإسلامِ فَيَقْبَلُهُ ويَرْضى بهِ ، ومَنْ يَكْتُبْ عليهِ الضَّلالَ يَكُنْ صَدرُهُ ضيِّقاً شَديدَ الضِّيقِ ، كأنَّهُ مِنْ شِدَّةِ ضيقِهِ كالَّذي يَصَّعَّدُ إلى مكانٍ مُرْتَفعٍ بعيدِ الارْتفاعِ ، فَتتصاعدُ أنْفاسُهُ ، ولا يَستطيعُ شيْئاً ، وبهذا يَكْتُبُ اللهُ تَعالى الخِذْلانَ والعَذابَ على الّذينَ ليسَ مِنْ شأنِهِمُ الإيمانُ ، ولا هُمْ مِمَّنْ يَرْغبُ فيهِ ، بلْ يَرْفضونَه ، ولا يَرْضَوْنَ بهِ .

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

وهذا الّذي بَيَّنَّاهُ هُوَ طريقُ ربِّكَ الواضِحُ المُسْتَقيمُ ، الّذي ارْتَضاهُ سُبْحانَهُ لعبادِهِ وفَصَّلَهُ وَوَضَّحَهُ لهُم ، ولا يَنتفعُ بهذا الطَّريقِ القويمِ إلاّ الّذينَ مِنْ شأنِهمُ التَّذَكُّرُ وطلبُ الهِدايةِ ، ذلكَ أنَّهم يَتذكَّرونَ هذهِ الهِداياتِ المَوْجودةَ في هذا البيانِ الواضِحِ ، فَيَعْملونَ بها لِينالوا السَّعادةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

ثمّ يُبيِّنُ اللهُ تَعالى جزاءَ السالِكينَ طُرُقَ الهدايةِ ، المُنْتَفِعينَ بنورِ القُرآنِ وآياتِهِ فيقولُ : لهؤلاءِ المُتذكِّرينَ المُؤْمنينَ دارُ الأمنِ ، وهِيَ الجنَّةُ ، وهُمْ في وِلايةِ اللهِ تَعالى ، ومَحبَّتِهِ ، ونُصْرَتِهِ بِسَببِ ما عَمِلوا في الدُّنْيا مِنْ خَيْرٍ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

وإذا كانَ الّذينَ سَلَكوا صِراطَ اللهِ تَعالى المُستقيمَ لهُمُ الأمنُ والسَّلامةُ وَوِلايةُ اللهِ تَعالى ، فاذْكُرْ يا مُحمَّدُ ﷺ أوْ يا أيُّها العاقِلُ : أنَّ الّذينَ سَلَكوا سبيلَ الشَّيطانِ لهُم جَزاءُ ما ارْتَكبوا ، وذلِكَ حينَ

يَحْشُرُ اللهُ تَعالى الجميعَ يومَ القِيامةِ ، ويقولُ سُبْحانَهُ للآثِمينَ مِنَ الجنِّ والإنْسِ : أيُّها المُجتَمِعونَ مِنَ الجنِّ ، قَدْ أكثرتُمْ مِنْ إغْواءِ الإنْسِ حتّى تَبعَكُمْ منهُمْ عددٌ كثيرٌ ، فيقولُ حينئذٍ الّذينَ اتَّبعُوهُمْ مِنَ الإنْسِ : يا خالِقَنا والقائمَ على أُمورنا ، قد انتَفعَ بعضُنا ببعضٍ ، واستمتَعْنا بالشَّهواتِ العاجلةِ ، وَبَلَغْنا أَجَلَنا الّذي حدَّدْتهُ لنا . فيقولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى في ردٍّ حاسِمٍ وحُكْمٍ نافذٍ : مَقرُّكُم النّارُ خالِدينَ فيها في كلِّ وقتٍ إلاّ وقتَ أنْ يشاءَ اللهُ تعالى غيرَ ذلِكَ ، فالأُمورُ كُلُّها مَتروكةٌ إليهِ سُبْحانَهُ خاضعةٌ لِمَشيئَتِه ، وأفعالُ اللهِ تَعالى دائماً على مُقْتَضى حِكْمَتِه وعِلْمِه .

والاستثْناءُ في هذهِ الآيةِ مُرادٌ بهِ المُبالغةُ في الخُلودِ ، لِقَطْعِ رَجاءِ الكافرينَ مِنَ النَّجاةِ مِنَ النّارِ . فإنَّ اللهَ تَعالى قدْ شاءَ لهُم هذا الجَزاءَ ، ولَمْ يَشأْ غَيْرَهُ .

ثمَّ يجيءُ التَّعقيبُ مِنَ اللهِ تَعالى على هذا الاسْتِمتاعِ المُتَبادَلِ بَيْنَ الضّالِّينَ والمُضلِّينَ مِنَ الجنِّ والإنْسِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

مَثَلُ ما سَبَقَ مِنْ تَمكينِ الجنِّ مِنْ إغْواءِ الإنْسِ وإضْلالِهِمْ لِما بينَهُم مِنَ التَّناسُبِ والمُشاكَلةِ . نُوَلّي بَعْضَ الظّالمينَ مِنَ الإنسِ بَعْضاً آخَرَ مِنْهُم ، بأنْ نجعلَهُمْ يُزيِّنونَ لهمُ السَّيئاتِ ، ويُؤثِّرونَ فيهِمْ بالإغْواءِ ، بِسَببِ ما كانوا مُسْتَمرّينَ على اكْتِسابِهِ مِنَ الكُفْرِ والمَعاصي .

التَّقْويمُ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الهِدايةُ والضَّلالُ بيدِ اللهِ تَعالى .
٢ـ صِراطُ اللهِ تَعالى واضِحٌ مُسْتَقيمٌ لا يَنالُ بَرَكَتَهُ وَفضْلَهُ إلاّ السّاعونَ إليهِ .
٣ـ الكافِرونَ خالِدون في جهنَّمَ .
٤ـ بَيانُ سُنَّةِ اللهِ تعالى في إهْلاكِ الظّالمينَ .

نَشاطٌ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يَشْرَحْ صَدْرَهُ ، ضَيّقاً حَرَجاً ، يَصَّعَّدُ ، دارُ السَّلامِ ، اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنْسِ ، مَثواكُمْ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على كلٍّ ممّا يلي :

أ ـ حالةُ المُعانِدينَ الشّاقَّةِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

ب ـ جزاءُ المُتّقينَ الجنَّةُ .

ج ـ العلاقةُ بينَ الجنِّ والإنْسِ .

د ـ الظّالمُ يُهْلِكُهُ اللهُ تَعالى بظالمٍ مثلِهِ .

٣ـ بَيِّن جوابَ الإنْسِ عندَما يسألُ اللهُ تَعالى عَنْ إغوائِهم لهُم .

نَشاطٌ :

ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : لا يَدخلُ الجنَّةَ أحدٌ بِعَمَلِه . كيفَ نوفِّقُ بينَ الحديثِ الشَّريفِ والآيةِ (١٢٧) ؟ اكتبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

اقْرَأ واسْتَمْتِعْ :

قالَ مالكُ بنُ دينارٍ ـ رحِمَهُ اللهُ ـ : قَرأتُ في بَعْضِ كُتُبِ الحِكْمَةِ أنّ اللهَ تَعالى يقولُ : إنّي أنا اللهُ مالِكُ المُلْكِ ، قُلوبُ الملوكِ بِيَدي ، فَمَنْ أطاعَني جَعلتُهُمْ عليْهِ رحمةً ، ومَنْ عَصاني جَعلتُهُمْ عَليْهِ نِقمةً ، فلا تُشْغِلوا أنفسَكُمْ بِسَبِّ الملوكِ ، ولكنْ توبوا إليَّ أعطِفُهُمْ عَليْكُم .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الرّابِعُ والعِشْرونَ

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ
كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ
دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن
يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ
ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

غرَّتهُمُ الحياةُ : خدعَتْهُم ببَهْرَجِها .

يَستَخْلِفْ : يَجعَلْ خُلفاءَ بَعْدَكُم .

بمُعْجِزينَ : بفائِتينَ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى .

مَكانَتِكُمْ : غايةِ اسْتِطاعَتِكُمْ .

عاقبةُ الدَّارِ : العاقبةُ الحَسَنةُ في الدَّارِ الآخِرَةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ بيانِ طبيعةِ الأشرارِ وتجانُسِهِمْ ، وأنَّ اللهَ تَعالى يُهْلِكُهُمْ بأَيْدي بَعْضِهِمْ ، عادَ القرآنُ الكريمُ

لِيُبيِّنَ سُؤالَ الجنِّ والإِنْسِ تَبكيتاً لهمُ على اخْتيارِهِمُ السَّيّيءِ ، وتَوْقيفاً لهمُ عَلى حقيقةِ مَصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ تَعالى لِهذينِ الفَريقَيْنِ : يَا أيُّها الجنُّ والإِنْسُ ، ألَمْ تأْتِكُمُ الرُّسلُ مِنكُم يَذْكُرونَ لكُمُ الحُجَجَ والبيِّناتِ ، وَيتلونَ عَليْكُمُ الآياتِ ، ويُنْذِرونكُم لِقاءَ اللهِ تَعالى في يومِكُمْ هذا ؟ فكيفَ تُكذِّبونَ ؟ فَأَجابوا : لقدْ أقْرَرْنا على أنْفُسِنا بما ارْتَكبْنا . لقدْ خدعَتهُمُ الحياةُ الدُّنيا بِمُتَعِها ، وأقرّوا على أنْفُسِهِمْ أنَّهم كانوا جاحِدينَ ، فلمْ يُؤْمِنوا بما جاءَهُمْ ، بلْ أصرّوا على كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ .

والّذي يقرأُ هذهِ الآياتِ وأمْثالَها الّتي تُصوِّرُ مَشْهداً مِنْ مشاهِدِ يوم القيامةِ ، يُخيَّلُ إليهِ أنّهُ أمامَ مَشْهدٍ حاضرٍ أمامَ عَيْنيهِ يَرى فيهِ الظَّالِمينَ وحَسَراتِهِمْ ، والضّالِّينَ والمُضلِّينَ وهمْ يَتَبادلونَ التُّهَمَ ، وهذا مِنْ إعْجازِ القرآنِ الكريمِ ، وأنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ، ولوْ كانَ مِنْ عِندِ غيرِ اللهِ تَعالى لَوَجدوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً .

ثمَّ يُحدِّثُنا اللهُ بعدَ ذلِكَ عَنْ عدالَتِهِ سُبْحانَهُ في أحْكامِهِ ، وعنْ سَعةِ غِناهُ ورَحْمَتِهِ ، وعَنْ حُسْنِ عاقبةِ المُؤْمِنينَ ، وسوءِ مَصيرِ الكافِرينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

بعدَ الّذي ذَكَرْناهُ لكَ يا مُحمَّدُ ﷺ مِنْ إرسالِ الرُّسلِ لِيَقصّوا على الأُممِ آياتِ اللهِ تَعالى ، لِتُدْرِكَ أنَّ اللهَ ليسَ مِنْ شَأْنِهِ ولا مِنْ سُنّتِهِ في تَربيةِ خَلْقِهِ ، أنْ يُهلِكَ القُرى مِنْ أجلِ أيِّ ظُلْمٍ فَعلوهُ قبلَ أنْ يُنبَّهوا على بُطلانِهِ ، ويُنهَوْا عنهُ بواسطةِ الأنبياءِ والمُرْسَلينِ ، فربُّكَ لا يَظلِمُ ، ولا يُعذِّبُ أحداً وهوَ غافلٌ لمْ يُنْذَرْ .

وهذِهِ الآيةُ صريحةٌ في أنّه سُبْحانَهُ قدْ أعْذَرَ إلى الثَّقَلَينِ بإرسالِ الرُّسُلِ ، وإنْزالِ الكُتُبِ وتَبْيينِ الآياتِ ، وإلزامِ الحُجَّةِ .

﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

ولكلِّ عاملِ خيرٍ أوْ عاملِ شرٍّ دَرَجاتُهُ مِنْ جزاءِ ما يعْمَلُهُ ، إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فشرٌّ ، واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وهو الخالقُ البارئُ غيرُ غافلٍ عمّا يَعملونَ ، بلْ إنَّ عمَلَهُمْ في كتابٍ لا يغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أَحْصاها .

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

واللهُ ربُّكَ هُوَ الغَنِيُّ عَنِ العبادِ والعبادةِ ، وهوَ سُبْحانَهُ وحْدَهُ صاحبُ الرَّحمةِ الشّاملةِ ، وبِمُقْتَضاها أَمَرَكُمْ بالخَيْرِ ونَهاكُمْ عَنِ الشّرِ ، وهوَ سُبْحانَهُ القادِرُ على إِذْهابِكُمْ حَسَبَ مَشيئتِهِ وعِلْمِهِ ، ويَجْعَلُ في الأَرْضِ خُلفاءَ مِنْ بعدِكُمْ على حَسَبِ مَشيئتِهِ ، وليسَ ذلِكَ يَصْعُبُ عليهِ سُبْحانَهُ ، فقدْ خَلَقَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ آخَرينَ سَبَقوكُمْ ، وكُنتُمْ وارثي الأرضِ مِنْ بَعدِهِمْ .

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

وإنَّ الّذي يُنذِرُكُمْ بهِ مِنْ عِقابٍ ، ويُبَشّرُكُمْ به مِنْ ثَوابٍ بَعْدَ البَعْثِ والجَمْعِ والحِساب ، آتٍ لا مَحالةَ ، وما أنتُم بِمُعْجِزينَ مَنْ يَطلُبُكُمْ يومئذٍ فلا قُدْرَةَ لكُمْ على الامْتِناعِ عنِ الجَمْعِ والحِسابِ .

يأمُرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يَنْفُضَ يَدَهُ مِنْ هؤلاءِ المُشْرِكينَ ، وأنْ يَترُكَهُمْ لأنفسِهِمْ ، وأَنْ يُنْذِرَهُمْ سوءَ العاقبةِ إذا استمرّوا في كُفْرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

قلْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ مُهدِّداً الجاحِدينَ : اعْمَلوا على النَّحوِ الّذي اخْتَرْتُموهُ بكلِّ ما في قُدْرَتِكُمْ ، وإنّي عامِلٌ في ناحيةِ الحقِّ ، وَسَتعْلَمونَ حَتْماً مَنْ تكونُ لهُ العاقبةُ الحَسَنةُ في الدّارِ الآخِرَةِ ، وهِيَ لأَهْلِ الحقِّ لا مَحالةَ ، وليْسَتْ لكُمْ لأنّكُمْ ظالِمونَ ، واللهُ تَعالى لمْ يَكْتُبِ الفَوْزَ للظّالِمينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ليسَ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِيها نذيرٌ ، ولا يُهْلِكُ اللهُ قوماً حتّى يَبْعثَ فيهم رَسولاً .

٢ـ إبقاءُ النَّاسِ على قَيْدِ الحياةِ لعبادةِ اللهِ والإنابةِ إليهِ ، وهذا مِنْ رَحْمتهِ سُبْحانَهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

غَرَّتهُمُ الحياةُ ، ويَسْتَخْلِفْ ، بِمُعجزينَ ، مَكانَتِكُمْ ، عاقبةُ الدّارِ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ حَشْرَ النَّاسِ وجَمْعَهُمْ أمْرٌ لا رَيْبَ فِيه ، وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ سُنّةً مِنْ سُننِ اللهِ تَعالى في إهلاكِ الأُممِ ، وضّحْ هذِه السُّنَّةَ .

٤ـ اذكُرْ أَمْرَيْنِ ممّا تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكَريمةُ .

٥ـ فسِّرْ كلاًّ مِنَ التّاليةِ :

أـ قلْ يا قومِ اعْمَلوا على مَكانَتِكُم .

ب ـ إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُم ويَستخْلِفْ مِنْ بعدِكُمْ ما يشاءُ .

ج ـ إنّما تُوعَدونَ لآتٍ .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سورةِ المُلْكِ الّتي تُبيِّنُ اعترافَ الكافِرينَ يومَ القيامةِ .

٢ ـ اكْتُبِ الآيَةَ الدّالَّةَ على أنَّ اللهَ تَعالى لا يُعذِّبُ أحَداً حتّى يبعثَ لَهُمْ رسولاً يُنذِرُهُمْ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ذَرَأَ : خَلَقَ على وجْهِ الاختراعِ .

الحَرْثِ : الزَّرعِ .

الأنعامِ : الإبلِ والبقرِ والضأنِ والمَعزِ .

زَيَّنَ : حسَّنَ وجَمَّلَ .

قَتْلَ أولادِهِمْ : وأْدَ الأولادِ والبناتِ وهُم أحياءٌ صغارٌ .

لِيُرْدوهُم : لِيُهْلِكُوهُمْ بالإغواءِ .

لِيَلْبِسوا عَلَيْهِمْ : لِيَخْلِطوا عَليْهِمْ .

يَفتَرونَ : يَختلِقونَ الكَذِبَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى شَهادةَ الخلائقِ على أَنْفُسِهِمْ بالحقِّ ، وبَعْدَ أَنْ وضَّحَ أَمامَهُمْ كُلَّ شيءٍ وبيَّنَ وعْدَهُ ووَعيدَهُ ؛ بعدَ ذلِكَ ، بدأتِ السّورةُ الكَريمةُ تُحدِّثُنا عَنْ أوهامِ المُشرِكينَ وجَهالاتِهِمُ الّتي

تَتعلَّقُ بمآكلِهِمْ ومَشارِبِهِمْ وَنُذورِهِمْ وذبائِحِهِمْ وعاداتِهِمُ القَبيحةِ ، وتَقاليدِهِمُ المَوْروثةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُشرِكينَ قَسَّموا ما خَلَقَ اللهُ تعالى لهُمْ مِنَ الزَّرعِ والأنعامِ عَلى قِسْمَيْنِ : قِسْمٍ جَعلوهُ للهِ تَعالى نَصيباً مَفْروضاً وقِسْماً مَحدوداً ، وقِسْمٍ آخرَ جَعلوهُ نَصيباً لِمَنْ أشركوهُمْ معَ اللهِ تَعالى مِنَ الأوْثانِ والأصْنامِ ، وقالوا : هَذا للهِ بزعمِهِمْ وادِّعائِهِمُ الّذي لا بَيِّنَةَ معَهُ ولا حُجَّةَ لهُ . وقالوا أيضاً : هذا لآلِهَتِهِمْ ومَعبوداتِهِمُ الّتي أشْرَكوها معَ اللهِ تَعالى .

والمَرْوِيُّ عنهُمْ أنهُّم كانوا يَجْعَلونَ فِي ما لهُمْ نَصيباً للهِ تَعالى يُنْفِقونَهُ لإطْعامِ الفُقَراءِ والمساكينِ وإكْرامِ الضِّيفانِ والصِّبيانِ ، ونَصيباً للآلِهَةِ يُعطى لِسَدنَتِها وخَدَمِها ، وما يُنْفَقُ على مَعابدِهِمْ .

فأمَّا الّذي جَعَلوهُ لِشُرَكائِهِمْ خالِصةً فلا يُصْرَفُ إلى الوُجوهِ الّتي جَعلوها للهِ تَعالى ، بلْ قَصَروها على آلِهتِهِمْ ، وأمّا ما كانَ للهِ تَعالى بزَعْمِهِمْ فهوَ واصِلٌ إلى شُرَكائِهِمْ ، وَيَزْعُمونَ حينئذٍ أنَّ السَّببَ وراءَ ذلِكَ أنَّ اللهَ تَعالى غَنِيٌّ وأنَّ آلِهتَهُمْ مُحْتاجةٌ!!

أَلا ساءَ هذا الحُكْمُ حُكْمُهُمْ ، وبِئْسَ ما صَنَعوا إذْ هُمُ اعْتَدَوْا على اللهِ تَعالى بالتَّشريعِ الفاسِدِ ، وأشْرَكوا بِهِ غَيْرَهُ وفضَّلوهُ عليْهِ ، والحالُ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الّذي خَلَقَ كلَّ شيءٍ ، وما عَمِلوهُ لا سندَ لهُ مِنْ عَقْلٍ أوْ شَرْعٍ ، أَلَيْسَتْ هذهِ هِيَ الجاهِلِيَّةُ الجَهْلاءُ .

ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى رذيلةً أُخْرى مِنْ شنائعِ رَذائِلِهِمْ ، وهيَ اعْتِداؤُهُمْ على أَنْفُسِهِمْ لِقَتْلِهِمْ أَولادَهُمْ بصورةٍ لا أَبْشَعَ منها ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ الكريمةُ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ مِنْ حيثُ اللّفظُ ، والمُرادُ بيانُ ما يلي :

وكذلِكَ زيَّنَ الشُّرَكاءُ لشُرَكائِهِمْ مِنَ المُشرِكينَ قَتْلَ أَولادِهِم لِيُرْدوهُمْ .

فهؤلاءِ الشُّرَكاءُ مِنَ الشّياطينِ وسَدَنةِ الآلِهةِ والكُفّارِ وأهلِ المعصيةِ والمُتزعِّمينَ فيها ، زَيّنوا لِمنْ يَتّبعُهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ ويأخذُ بأقوالِهِمْ ، زينّوا لهُمْ وحَسَّنوا لهُمْ قَتْلَ أولادِهِمْ ليُهْلِكُوهُمْ ، إمّا بقلَّةِ الذُّرِيَّةِ ، وإِمَّا باسْتيلاءِ الوساوسِ الشَّيْطانيَّةِ علَيْهِمْ ، وإفسادِ بُيوتِهِمْ كذلِكَ ، ولِيَخْلِطوا عليْهِم دينَهُمْ

الّذي كانوا عليهِ مِنْ مِلّةِ إبراهيمَ ـ عليهِ السّلامُ ـ ، حتّى صاروا بهذهِ الحالةِ القبيحة مِنَ الشِّرْكِ ، وقدْ كانَ قتلُ أولادِهِمْ على صورَتَيْن :

الصّورةِ الأولى : خَشْيَةَ العارِ ، وهذا القَتْلُ خاصٌّ بالبناتِ فَقط ، ولَمْ يكُنْ في كلِّ قبائِلِ العربِ ، بلْ كانَ في بَعْضِها .

الصّورةِ الثّانيةِ : خَشْيةَ الفقرِ ، وكانتْ هذهِ الصّورةُ في حالَتَيْن :

الحالةِ الأولى : حالةِ الفقرِ المُحْدِقِ ، والحالةِ الثّانية : حالةِ الفَقْرِ المتوقَّع .

وهذا القتلُ لَمْ يكنْ خاصّاً بالبَناتِ بلْ كانَ يَشْمَلُ الأطفالَ الذُّكورَ كذلِكَ ، ولَمْ يكنْ هذا عامّاً في قبائِلِ العربِ كلِّها ، بَلْ كانَ فيهم مَنْ يُنكِرُ هذا القَتْلَ بصورتَيْهِ .

ثمَّ سلّى اللهُ تَعالى رسولَهُ ، وهدَّدَ أَعداءَهُ بقولِهِ سُبْحانَهُ : وَلوْ شاءَ اللهُ تَعالى أنْ لا يفعلَ هؤلاءِ الشُّرَكاءُ ذلِكَ التَّزيينَ ، أو يَفْعَلَ المُشْرِكونَ ذلِكَ القَتْلَ لَما فَعلوهُ ، لأنَّهُ سُبْحانَهُ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ، فلا تَذْهَبْ نفسُكَ أيُّها النَّبيُّ الكريمُ ﷺ عليهِمْ حَسَراتٍ بسببِ ما يفْعلونَهُ ، بلْ دعْهُمْ وما يَفْتَرونَهُ مِنَ الكَذِبِ ، فإنَّهُمْ لِسوءِ اسْتِعدادِهِمْ آثَروا الضَّلالةَ على الهِدايَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ أوهامُ المُشْرِكينَ مُتعدِّدةٌ ومُخْتَلِفةٌ ، شَملَتْ جميعَ مناحي الحياةِ ، وهي مَبْنيّةٌ عَلى الزَّعْمِ والكَذِبَ .

٢ـ للشُّركاءِ والمُسْتَكْبِرينَ أثَرٌ سَيِّءٌ في تَوْجيهِ أَتْباعِهِمْ ، حتّى أنَّهم زيَّنوا لهُم قَتْلَ أولادِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ذَرأَ ، الحرثِ والأنعامِ ، زيَّنَ ، لِيُرْدوهُم ، ولِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دينَهُمْ ، يَفْتَرونَ .

٢ـ بيَّنتِ الآيةُ الكَريمةُ اعتداءَ المُشركينَ على الحَرْثِ والأنْعامِ . وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ كيفَ كانَ تقسيمُ الحَرْثِ والأنْعامِ عِندَ المُشرِكينَ ؟ بيِّنْ ماذا في هذا التَّقسيمِ .

٤ـ بيّنتِ الآيةُ الكَريمةُ تَزيينَ الشُركاءِ لِشُرَكائِهِمْ قَتْلَ أولادِهِمْ ، ما دليلُ ذلِكَ ؟

٥ـ لِماذا كانَ المُشْرِكونَ يَقْتُلونَ أولادَهمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الكَريمةَ مِنْ سورةِ التَّكويرِ الّتي تُبيِّنُ أمْرَ قَتْلِ البناتِ ووأدهِنَّ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كتابِ : المُفَصَّلِ في تاريخِ العربِ قبلَ الإسلامِ ، أوْ إلى كتاب : « بلوغ الأرَبِ في معرفةِ أحوالِ العربِ » ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ صُوَرَ وكَيْفيّاتِ تعاملِ المُشرِكينَ معَ أطفالِهِمُ الصِّغارِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- حِجْرٌ : مُحرَّمةٌ .
- حُرِّمتْ ظهورُها : يَحْرُمُ الرُّكوبُ عَليْها .
- وَصْفَهُمْ : كَذِبَهُمْ على اللهِ تَعالى بالتَّحليلِ والتَّحْريمِ .

التَّفسيرُ :

ما تزالُ الآياتُ الكَريمةُ تَتتابَعُ في بيانِ أَوهامِ الجاهلِيّينَ ورذائِلِهِمْ . وهُنا ذَكَرَ القُرآنُ مِنْ رذائِلِهِمْ غيرَ الّذي ذَكَرَ سابقاً ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

ومِنْ أوهامِهِمْ أَنَّهم يَقولونَ : هذا إِبلٌ وبَقَرٌ وغنَمٌ وزروعٌ مُحرَّمةٌ ، لا يَأْكُلُها أحدٌ إلاّ مَنْ يَشاءونَ مِنْ خَدَمةِ الأَوثانِ ، وذلِكَ حَسَبَ زَعْمِهِمُ الباطِلِ ، وليسَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى . وقالوا أيضاً : إِبلٌ

حُرِّمتْ ظُهورُها فلا يَرْكَبُها أحدٌ ، وهُمْ عندَ الذَّبحِ لا يَذْكُرونَ اسمَ اللهِ عليْها ، وهمُ في ذلِكَ يَكْذِبونَ على اللهِ تَعالى ، ولذلِكَ سَيَجْزيهِمْ بالعَذابِ في الآخِرَةِ بِسبَبِ افْترائِهِمْ وتَحريمِهِمْ ما يُحرِّمونَ مِنْ عندِ أنفسِهِمْ .

وهذا بلا شكٍّ مِنْ رذائلِ الجاهليّينَ القَبيحةِ . ثمَّ يُتابعُ القرآنُ الكريمُ ذِكْرَ بَقيَّةِ الرّذائلِ فَيَحْكي لنا عَنْ رَذيلةٍ جديدةٍ تتعلّقُ بأجنَّةِ الأَنْعامِ الّتي في بُطونِها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ .

ومِنْ أوهام هؤلاءِ المُشْركينَ أنّهم يَقولونَ : ما في بُطونِ الأَنْعامِ ـ الّتي جَعَلوها مَحجورةً مَمْنوعةً لا تُذْبَحُ ولا تُرْكَبُ ـ ما في بطونِها منْ أجنَّةٍ ، خالِصٌ للذُّكورِ مِنَ الرِّجالِ ويُحْرَمُ منْهُ النّساءُ ، وإذا نَزَلَ مَيْتاً فهُم فيهِ شُرَكاءُ ، يَأْكلونَ منهُ ذُكوراً وإناثاً ، واللهُ سُبْحانَهُ لهمُ بالمرصادِ وسَيَجْزيهِمْ على كَذِبِهِمُ الّذي وَصفوهُ بهِ ، فهُم قَدْ ادَّعَوْا أنَّ هذا التَّحريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، واللهُ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، حكيمٌ ، فكلُّ أفْعالِهِ مُتْقنةٌ ، وسَيَجْزي الآثمينَ على سوءِ صَنيعِهِمْ . وإنَّ العاقِلَ لَيَعْجَبُ لهؤلاءِ وما تَحمَّلوهُ في سبيلِ ضَلالاتِهِمُ الفاسِدَةِ مِنْ أعباءٍ ماديَّةٍ وخسائرَ وتَضْحياتٍ ، يَعْجَبُ للعقيدةِ الفاسدةِ ، وكيفَ تُكلِّفُ أصْحابَها الكثيرَ ، ومعَ ذلِكَ فَهُمْ مُصِرُّونَ على اعْتِناقِها ، وعلى التقيُّدِ بأغلالِها وأوْهامِها وتَبعاتِها .

وكانَ القرآنُ الكريمُ وهوَ يَحكي لنا عَنْ تِلْكَ الرَّذائلِ وما تَحمَّلَهُ أصْحابُها في سَبيلِها ، يقولُ لأتباعِهِ : إذا كانَ أصحابُ العَقائدِ الفاسِدَةِ قَدْ ضَحّوْا حتّى بِفَلَذاتِ أكْبادِهِمْ إرضاءً لِشُرَكائِهِمْ ، فأوْلَى بِكُم أيُّها المُؤْمنونَ أنْ تُضَحُّوا في سبيلِ عَقيدتِكُمُ الصَّحيحةِ ، ومِلَّتِكُمُ الحَنيفةِ السَّمحاءِ بالأنْفُسِ والأموالِ .

وبَعْدَ ذلِكَ جاءَ التَّعقيبُ الإلهيُّ على هذهِ الرَّذائلِ بما يُعْلِنُ خَسارةَ أهْلِها خَسارةً لا تُعوَّضُ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ .

قدْ خَسِرَ أولئكَ الّذينَ قَتَلوا أَوْلادَهُم حُمْقاً وَوَهْماً ، غيرَ عالِمينَ مَغبَّةَ عَمَلِهِمْ ونَتائِجَهُ ، وحرَّموا على أنفسِهِمْ ما رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ زَرْعٍ وحَيوانٍ ، مُفْتَرينَ على اللهِ تَعالى بادِّعاءِ أَنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ الّذي حرَّمَ ، وقدِ ابْتَعدوا عنِ الحقِّ بِسَبَبِ ذلِكَ ، وما كانوا بِسببِ هذا الافْتِراءِ مِمّنْ يتَّصِفونَ بالهِدايةِ ، بلْ ضَلّوا وما كانوا مُهْتَدينَ .

التَّفسيرُ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تَفَنُّنُ المُشْرِكينَ في تحريمِ ما أحلَّ اللهُ تَعالى افْتِراءً عَليْهِ سُبْحانَهُ .

٢ـ اجتراءُ المُشرِكينَ على نسائِهِمْ بِحِرْمانِهِنَّ الأَكْلَ مِنْ بعضِ الأنعامِ ، واجتراؤُهُم على أولادِهِمْ بِقتْلِهِمْ سَفَهاً وجَهْلاً .

٣ـ التَّحليلُ والتَّحريمُ أمرٌ للهِ وَحدَهُ ، فمَنْ حلَّلَ وحرَّمَ بغيرِ أمرِ اللهِ فهوَ منَ الخاسِرينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حَرْثٌ ، حِجْرٌ ، حُرِّمتْ ظُهورُها ، وصْفَهُمْ .

٢ـ ذكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ قبائحَ الجاهِليّينَ في التَّعامُلِ معَ الأنعامِ ، اذْكُرْ هذهِ القبائِحَ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ صورةً مِنْ صُوَرِ اعْتِداءِ المُشرِكينَ على نسائِهِمْ ، بيِّنْ ذلِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثامِنُ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ السّابِعُ والعِشْرونَ

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مَعْروشاتٍ** : مَرْفوعةٍ على مَا يَحْمِلُها ، ممَّا يجعلُها كالعريشِ .
- **غيرَ مَعْروشاتٍ** : مُسْتَغنِيَةً عنِ التَّعريشِ ، حيثُ يَترُكُها الزّارِعُ على الأرضِ .
- **مُختلفاً أُكُلُهُ** : أنَّ ثَمرهُ مختلفٌ في الهَيْئَةِ والطَّعْمِ .
- **فَرْشاً** : مَا يُفرَشُ للذَّبحِ كالغَنَمِ .
- **خُطواتِ الشَّيطانِ** : طُرُقَهُ وآثارَهُ تَحليلاً وتَحْريماً .
- **وصّاكُمُ اللهُ بهذا** : أمرَكُمُ اللهُ تَعالى بهذا التَّحريمِ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيّنَ اللهُ تَعالى بعضَ أوهامِ المُشرِكينَ وأباطيلَهُم ، بيّنَ بعدَ ذلِكَ شيئاً منْ مظاهِرِ قُدْرتِهِ ونِعَمِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

واللهُ تَعالى وحْدَهُ هُوَ الّذي خَلَقَ حدائِقَ مِنَ البساتينِ ، ومِنْها ما يُغْرَسُ ويُرْفَعُ على دَعائِمَ ، ومنْها ما يُتْرَكُ على الأرضِ ، وخَلَقَ سُبْحانَهُ النَّخْلَ والزَّرْعَ الّذي يُخْرِجُ ثَمَراً مُخْتَلِفاً في اللَّوْنِ والطَّعْمِ والشَّكْلِ والرَّائِحةِ وغيرِ ذلِكَ ، وخَلَقَ سُبْحانَهُ الزَّيتونَ والرُّمّانَ مُتَشابِهاً في بعضِ الصِّفاتِ وغيرَ مُتَشابِهٍ في بعضِها الآخَرِ ، معَ أنَّ التُّرْبَةَ قدْ تكونُ واحِدةً وتُسْقى هذهِ الأشْجارُ جميعاً بماءٍ واحدٍ ، فَكُلوا مِنْ ثَمَرِها إذا طابَ لكُم ، وأخْرِجوا منها الصَّدَقَةَ عندَ نُضْجِها وجَمْعِها ، شُكْراً للهِ تعالى على ما وَهَبَكُمْ مِنَ النِّعَمِ ، ولا تُسْرِفوا في الأَكْلِ ، فَتَضرُّوا أنْفُسَكُمْ وتضرّوا الفُقَراءَ في حقِّهِمْ مِنْ هذا الّذي وَهَبَكُمُ اللهُ تَعالى إيّاهُ .

فاللهُ سُبْحانَهُ لا يُحبُّ المُسرِفينَ ، ولا يَرْضَى عَنْهُم في تَصَرُّفاتِهِمْ وأعمالِهِمْ .

وبَعْدَ هذا بَيّنَ اللهُ تَعالى حالَ الأَنْعامِ الّتي رَزَقَها للنّاسِ وأبْطَلَ مَا تَقَوَّلَهُ المُشْرِكونَ عليْهِ سُبْحانَهُ في شأنِها بالتَّحليلِ والتَّحريمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

خَلَقَ اللهُ تَعالى مِنَ الأنْعامِ ، وهِيَ الإبلُ والبقرُ والضَّأْنُ والماعِزُ ، ما يَحمِلُ أثْقالَكُمْ وما تتَّخِذونَ مِنْ أصوافِها وأوبارِها وأشْعارِها فِراشاً ، وهِيَ رِزْقُ اللهِ تَعالى لَكُمْ ، فَكُلوا ما أحلَّ اللهُ تَعالى مِنها ، ولا تَتَبعوا مَسالِكَ الشَّيْطانِ وأوليائِهِ في افْتراءِ التَّحليلِ والتَّحريمِ ، كما كانَ يفعلُ أهلُ الجاهليّةِ ، إنَّ الشَّيطانَ لا يُريدُ لَكُمُ الخيْرَ ، لأنَّهُ عدوٌّ ظاهِرُ العَداوةِ لَكُمْ .

ثُمَّ بيّنَ القُرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلِكَ بعْضَ ما كانَ عليْهِ الجاهليّونَ مِنْ جَهالاتٍ ، وناقشَهُم فيما أحلُّوهُ وحرَّموهُ مُناقَشةً حَكيمةً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

خلق اللهُ تعالى مِنْ كلِّ نوْعٍ مِن الأنْعام ذكراً وأنْثى ، فهيَ ثمانيةُ أزْواجٍ ، خلَقَ مِنَ الضّأْنِ زَوْجَيْنِ ومِنَ الماعزِ زَوْجَينِ ، قل يا مُحمَّدُ ﷺ للمُشْركينَ مُنْكِراً عَليهِمْ تحريمَ ما حرَّموهُ مِنْ هذا : ما عِلَّةُ تحريمِ هذهِ الأزواجِ كما تَزْعُمونَ ؟ هلْ يُحرَّمُ منها الذُّكورُ ؟ ليسَ الأمرُ كذلكَ ، لأنَّكُم تُحِلُّونَ الذُّكور أحياناً . أو يُحرَّمُ منها الإناثُ ؟ ليسَ الأمرُ كذلكَ ، لأنَّكُمْ تُحلّونَ الإناثَ أحياناً ، أو مُحَرَّمٌ ما اشتملَتْ عليهِ أرحامُ الأُنْثَيينِ ؟ ليس الأمرُ كذلكَ ، لأنَّكُمْ لا تُحرِّمونَ الأَجِنَّةَ على الدَّوام! أخبروني بمُسْتَنَدٍ صَحيحٍ يُعْتَمَدُ عليهِ إنْ كنْتُم صادِقينَ فيما تَزْعُمونَ مِنَ التَّحليلِ والتَّحريمِ .

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

وخَلَقَ اللهُ تَعالى مِنَ الإبلِ زَوْجَيْنِ ، ومِنَ البَقَرِ زَوْجَيْنِ ، فقلْ لهمْ يا مُحمَّدُ ﷺ مُنْكِراً عليْهِم : مَا عِلَّةُ التَّحريمِ لِما حرَّمتُمْ مِنْ هذهِ الأزواجِ كما تَزْعُمونَ ؟ أكَوْنُها ذُكوراً ؟ ليسَ كذلِكَ ، لأنَّكُم تُحِلُّونَ الذُّكورَ أحياناً ، أو لِكَوْنِها إناثاً ؟ ليسَ كذلِكَ أيضاً ، لأنَّكُم تُحلّونَ الإناثَ أحياناً ، أو هِيَ ما اشتملَتْ عليْهِ الأرْحامُ ؟ ليسَ كذلِكَ ، لأنَّكُمْ لا تُحرِّمونَ الأجِنَّةَ على الدّوامِ ، وتَزْعُمونَ أَنَّ هذا التَّحريمَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى! أكنْتُم حاضِرينَ حينَ وجَّهَ إليكُمُ اللهُ تَعالى هذا التَّحريمَ فسمِعْتُم نَهْيَهُ ؟ لمْ يكنْ ذلِكَ قَطْعاً ، انتهوا أيُّها المُشْرِكونَ عمَّا أنتُم فيهِ ، فهُوَ ظُلْمٌ ، وليسَ هُناكَ أظْلَمُ ممّنْ كَذَبَ عَلى اللهِ تَعالى ، فنَسَبَ إليهِ ما لمْ يَصْدُرْ عنهُ ، ولا سَنَدَ له مِنْ عِلْمٍ مُعْتَمَدٍ عليهِ ، وإنَّما يريدُ بذلكَ إضلالَ النَّاسِ ، ولا يُوَفِّقُ اللهُ الظّالِمينَ إذا اخْتاروا طريقَ الباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى على عبادِهِ مُتعدِّدةٌ ومُخْتَلِفةٌ ، والواجبُ على الإنسانِ شُكْرُ هذهِ النِّعمِ لا كُفْرُها .

٢ـ التعدّدُ والاختلافُ في النِّعمِ دليلٌ على قُدرةِ الخالقِ سُبْحانَهُ .

٣ـ على الإنسانِ أنْ لا يَنْسى حُقوقَ الفقراءِ والمساكين ، لأنَّ هذا مِنْ شُكرِ النِّعمِ .

٤ـ ليسَ للمُشْرِكينَ في التَّحريمِ والتَّحليلِ دليلٌ ، بلْ هم يتَّبِعونَ الهَوى .

٥ـ هِدايةُ اللهِ تَعالى لا ينالُها إلاّ المُخلِصونَ المؤمِنونَ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مَعْروشاتٍ وغيرَ مَعْروشاتٍ ، مُختلِفاً أُكُلُه ، حَمولةً ، وفَرْشاً ، خُطُواتِ الشَّيطانِ .

٢ـ ناقشتْ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ المُشرِكينَ مناقشةً موضوعيَّةً حكيمةً ، بيِّنْ ذلِكَ .

٣ـ لماذا ذُكِرَ حقُّ الفقراءِ في السُّوَرِ المكيَّةِ كهذِهِ السّورةِ ؟

٤ـ لماذا كانَ الإسرافُ مَذموماً ؟

٥ـ فسّرْ كلاًّ مِمّا يلِي :

أـ جنّاتٍ مَعْروشاتٍ وغيرَ مَعْروشاتٍ .

ب ـ مُتشابِهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ .

ج ـ ومِنَ الأنعامِ حَمولةً وفَرْشاً .

د ـ ثمانيةَ أزواجٍ مِنَ الضَّأنِ اثْنَينِ ومِنَ المَعِزِ اثْنَينِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِقدارَ زكاةِ الزُّروعِ والثِّمارِ الّتي تُسقَى بماءِ المطرِ ، والّتي تُسْقى بالآلَةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ نِصابَ الزَّكاةِ لكلٍّ مِنَ : الإبلِ والبقرِ والغنمِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ التَّاسِعُ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ والعِشْرون

قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- طاعِمٍ : آكِلٍ .
- دماً مَسْفوحاً : دماً سائِلاً مُراقاً خارجاً منَ العُروقِ .
- رِجْسٌ : قَذِرٌ أو خبيثٌ أو نَجِسٌ حرامٌ .
- أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بِهِ : ذُكِرَ عندَ ذبحِهِ اسْمٌ غيرُ اسْمِ اللهِ تَعالى .
- غيرَ باغٍ : غيرَ طالبٍ للمُحَرَّمِ للذَّةٍ أو استئثارٍ .
- ولا عادٍ : ولا مُتجاوِزٍ ما يَسُدُّ الرَّمَقَ .
- ذِي ظُفْرٍ : ما لَهُ إِصْبَعٌ مِنَ الطُّيورِ وغيرِها .
- الحَوايا : الأمعاءُ .
- بَغْيِهِمْ : طُغْيانِهِم وفَسادِهِمْ .
- لا يُرَدُّ بأْسُهُ : لا يُدْفَعُ عذابُهُ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أن بيَّنَ اللهُ تَعالى تَجاوُزَ الكافِرينَ لِحدودِ اللهِ وتطاوُلَهُمْ على شَرْعِه بالتَّحليلِ والتَّحريمِ الَّذي ليسَ عليْهِ دليلٌ ، أَتبعَ ذلِكَ ببيانِ أنَّ التَّحليلَ والتَّحريمَ إنّما هُوَ مِنْ عندِ اللهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ لا أجدُ في القرآنِ الكريمِ الَّذي أَوْحاهُ اللهُ تَعالى إليَّ طعاماً مُحرَّماً على آكِلٍ يَأْكُلُهُ ، إلاَّ أنْ يكونَ هذا الشَّيْءُ مَيْتةً لمْ تُذْبَحْ ذَبْحاً شَرْعيّاً ، أوْ دَماً سائِلاً ، أوْ لحمَ خِنزيرٍ ، فإنَّ ذلكَ المَذكورَ ضارٌّ لا يجوزُ أَكْلُهُ ، وقدْ يكونُ هذا الشَّيءُ المُحرَّمُ فيهِ خُروجٌ عَنِ العقيدةِ الصَّحيحةِ ، بأنْ ذُكِرَ اسمٌ غَيْرُ اسمِ اللهِ تَعالى عِندَ ذَبْحِهِ كنحوِ صَنَمٍ مَعبودٍ آخَرَ ، على أنَّ مَنْ دَعَتْهُ الضَّرورةُ إلى أَكْلِ شيءٍ مِنْ هذهِ المُحَرَّماتِ ، غيرَ طالبِ اللَّذَّةَ بالأَكْلِ ولا الاستئثارَ بالمَأْكولِ ، وغيرَ مُتجاوزٍ قَدْرَ الضَّرورةِ فَلا حَرَجَ عليْهِ ، وإنَّ ربَّكَ غفورٌ رَحيمٌ ، يَغْفِرُ لِعبادِهِ الَّذينَ يَلتزمونَ شَرْعَ اللهِ تَعالى .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ لَيْسَتْ حاصِرَةً لِلمُحَرَّماتِ ، وإنَّما هِيَ للردِّ على المُشْرِكينَ الَّذينَ كانوا يُبيحونَ هذهِ الأشياءَ المَذْكورةَ ولا يَجدونَ غَضاضةً في تَناوُلِها دونَ حَرَجٍ ، فالسُّنَّةُ النَّبَويَّةُ المُشَرَّفَةُ وَرَدَ فيها تحريمُ أَشياءَ أُخرى لم تُذْكَرْ في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ .

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

ولقدْ حَرَّمْنا على اليهودِ أكْلَ كلِّ ما لَهُ ظُفُرٌ مِنَ الحيواناتِ وشَحْمِهِ ، وحَرَّمنا عَليْهِمْ مِنَ البقرِ والغَنَمِ شُحومَها فقط ، إلاّ الشُّحومَ الَّتي تكونُ على الظَّهْرِ أوِ الَّتي تُوجَدُ على الأَمْعاءِ ، أو الَّتي اخْتَلَطَتْ بِعَظْمٍ . وهذا التَّحريمُ عِقابٌ لهمْ على ظُلْمِهِمْ وفَطْمٌ لِنفوسِهِمْ مِنَ انْدفاعِها في الشَّهواتِ ، وإنَّا لَصادِقونَ فيما أَخْبَرْناكَ بِهِ ومِنْ جُملتِه هذا الخبرُ .

والمُرادُ مِنْ هذِهِ الآيةِ تكذيبُ اليهودِ والردُّ عَليْهِمْ ؛ إذْ زَعَموا أنَّ اللهَ تَعالى لم يُحرِّمْ عليْهِم شَيئاً ، وإنَّما هُمْ حرَّموا على أنْفُسِهِمْ ما حرَّمَهُ إسرائيلُ على نَفْسِهِ ، فردَّ اللهُ تَعالى عليْهِم وبيَّنَ كَذِبَهُمْ فيما ذَكَرَهُ مِمّا حَرَّمَهُ عَليْهِمْ .

ومعَ أنَّ الشحومَ جَميعَها باستثناءِ ما أحلَّهُ اللهُ منها ، مُحرَّمةٌ عليْهِمْ ، فإنَّهُمْ تحايَلوا على شَرْعِ اللهِ تَعالى ، فأخذوا يُذيبونَ هَذهِ الشُّحومَ ويَسْتَعْمِلونَها في شُؤونِهِمُ المُخْتَلِفَةِ ، أو يَبيعونَها ويَأْكُلونَ ثمنَها ، ولقدْ لَعنَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ بِسَبَبِ هذا التحايُلِ في أحاديثَ مُتعدِّدةٍ منْها : « أنّ النَّبيَّ ﷺ كانَ قاعِداً خَلْفَ المَقامِ فرفعَ بَصَرَهُ إلى السَّماءِ ، وقالَ : لَعَنَ اللهُ اليهودَ ـ ثلاثاً ـ إنّ اللهَ حرَّمَ عَليْهِمُ الشُّحومَ ، فَباعوها ، وأَكَلوا ثمَنَها ، وإنَّ اللهَ تَعالى لم يُحرِّمْ على قَوْمٍ أكْلَ شيءٍ إلاّ حرَّمَ عَليْهِم ثمنَهُ » .

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ .

فإنْ كَذَّبَكَ يا مُحمَّدُ ﷺ هؤلاءِ اليهودُ وأمثالُهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ فيما أخْبَرْناكَ عنهُ مِنْ أنَّا حرَّمْنا عليْهِمْ بعضَ الطَّيِّباتِ عُقوبةً لهُم ، فَقُلْ لهُم : إنَّ اللهَ تَعالى ذو رحمةٍ واسِعةٍ حقّاً ، ورحمتُهُ وسِعتْ كلَّ شيءٍ . ومِنْ مظاهِرِ رَحمتِهِ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا يُعاجِلُ مَنْ كفرَ بهِ بالعُقوبةِ ، ولا مَنْ عَصاهُ بالنِّقْمةِ ، ولكنَّ ذلِكَ لا يَقْضي أنْ يَرُدَّ بأسَهُ ، أو يَمْنَعَ عِقابَهُ عنِ القوم المُصرِّينَ على إجْرامِهِمْ ، المُسْتَمِرِّينَ على اقْتِرافِ المُنْكَراتِ ، وارْتِكابِ السِّيئاتِ ، ولا يَنْبَغي لهُمْ أنْ يَغْتَرُّوا بِسَعةِ رحمةِ اللهِ تَعالى ، فإنَّ عذابَهُ واقِعٌ بالمُجْرمينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منْها :

١ـ الحرامُ ما حرَّمهُ اللهُ تَعالى ، والحلالُ ما أحلَّهُ سُبْحانَهُ .

٢ـ يُباحُ لِلمُضْطَرِّ ما لا يُباحُ لِغيرِهِ ، إذا لمْ يكنْ باغياً أو مُتعدِّياً .

٣ـ اليهودُ كذَبوا فيما ادَّعَوْهُ مِنْ أنَّ اللهَ تَعالى لمْ يُحرِّمْ عليْهِم شيئاً ، وتَحايلوا على أوامرِ اللهِ تَعالى وأحْكام شريعتِهِ .

٤ـ لا يجوزُ الاغْتِرارُ بإمْهالِ اللهِ تعالى للظَّالِمينَ ، فعذابُ اللهِ إذا وقعَ فهُوَ شديدٌ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

دماً مسفوحاً ، رِجْسٌ ، أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بهِ ، غيرَ باغٍ ولا عادٍ ، الحَوايا ، لا يُرَدُّ بأسُهُ .

٢ـ وقعَ في الآيةِ الأُولى : (١٤٥) أربعةُ أنواعٍ مِنَ المُحرَّماتِ ، اذكرْها ، وهل هذهِ الآيةُ حاصِرَةٌ للمُحَرَّماتِ ؟ ولماذا ؟

٣ـ ما الّذي حرَّمهُ اللهُ تَعالى على اليهودِ مِمّا ذُكِرَ في هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ بيِّنْ موقفَ اليهودِ ممّا حرَّمهُ اللهُ تَعالى عليْهِم .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثلاثةَ أشياءَ أُخرى غيرَ الّتي وردَتْ في الآيةِ (١٤٥) حرَّمها الإسلامُ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ صورةً أُخرى غيرَ الّذي ذُكِرَتْ في هذهِ الآياتِ مِنْ صورِ تحايُلِ اليَهودِ على أوامرِ اللهِ تَعالى .

٣ـ ارجِعْ إلى كُتبِ الحديثِ واسْتَخرِجْ منها خمسةَ مُحرَّماتٍ مِنَ المَطعُوماتِ الّتي لم تُذْكَرْ في هذهِ الآياتِ ، ثمَّ دوّنْ هذهِ المُحَرَّماتِ وأدلَّةَ تَحريمِها في دَفْتَرِكَ ، وانْشُرِ المَكتوبَ في مَجلَّةِ المدرسةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ التّاسِعُ والعِشْرونَ

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَخْرُصونَ : تَكْذِبونَ على اللهِ تَعالى .

الحُجَّةُ البالغةُ : البُرهانُ الواضحُ المُقْنِعُ .

هَلُمَّ شهداءَكُمْ : أحضِروا ، أوْ هاتوا شُهودَكُم .

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلونَ : يُسّونَ بِهِ غَيْرَهُ في العِبادَةِ .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما حرَّمَهُ على اليهودِ ، وبيَّنَ كَذِبَهُمْ فيما افْتَرَوْهُ على اللهِ تَعالى ، حكَى لنا سُبْحانَهُ شُبْهةً مِنَ الشُّبُهاتِ الباطلةِ الّتي تَمسَّكَ بها المُشْرِكونَ في شِرْكِهِمْ وجَهالاتِهِمْ ، وَردَّ علَيْها بما يُبْطِلُها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

سيقولُ المُشْرِكونَ اعتذاراً عنْ شِرْكِهِمْ ، وتحريم ما أحلَّ اللهُ تَعالى مِنَ المَطاعمِ ، وتكذيباً لِما بَلَغَهُمْ مِنْ مَقْتِ اللهِ تَعالى لِما هُم عليهِ ، سَيَقولُونَ : إنَّ الإشْراكَ مِنّا وتحريمَ الحلالِ كانا بمشيئةِ اللهِ تَعالى ورِضاهُ ، ولوْ شاءَ اللهُ عدمَ ذلِكَ ، وكَرِهَ منَّا ما نحنُ عليْهِ مِنْ كُفرٍ ما أشْرَكْنا نحنُ ولا أسلافُنا ، ولا حرَّمْنا شيئاً مِمَّا أحلَّهُ لنا . ومِثْلُ هذا التّكذيبِ الّذي حَدَثَ مِنْ قومِكَ يا مُحمَّدُ ﷺ كذَّبَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ رُسُلَهُمْ ، واستمرّوا في التّكْذيب حتّى نَزَلَ بِهِمْ عَذابُنا ، قل يا أيُّها النبيّ ﷺ لِهؤلاءِ المكذِّبينَ : هلْ عندَكُمْ مِنْ مُسْتَنِدٍ صحيحٍ على أنَّ اللهَ تَعالى رضيَ لكُمُ الشِّرْكَ وتَحليلَ الحرام ، فتُظهِروهُ لنا ؟ والحقيقةُ أنَّكُمْ لا تتَّبعونَ فيما تَقولونَ إلاّ الظَّنَّ الّذي لا يُغني مِنَ الحقِّ شيئاً ، ومَا أَنْتُمْ إلاّ كاذِبونَ فيما تَزْعُمونَ .

وهذه الآيةُ الكَريمةُ تَعْرِضُ لِشُبْهَةٍ قديمةٍ جديدةٍ ، قديمةٍ لأنَّ كثيراً منْ مُجادِلي الرُّسلِ علَّلوا بها كُفْرَهُمْ ، وجَديدةٍ لأنَّها تُراوِدُ كثيراً مِنَ المُتَمسِّكينَ بالأوهامِ في سبيلِ إرضاءِ نَزَواتِهِمْ مِنَ المُتَعِ الباطلةِ والشَّهواتِ المُحرَّمةِ . إنَّهم يقولونَ عندما يَرْتَكِبونَ القَبائحَ والمُنْكَراتِ : هذا أمرُ اللهِ تَعالى وهذا قَضاؤُهُ ، وتِلكَ مَشيئَتُهُ وإرادتُهُ ، ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى مَنْعَنا مِنْ هذهِ الأشياءِ لَمَا فَعَلْناها ، وإذا كانَ اللهُ تَعالى قدْ قضى عَلَيْنا بها ، فما ذنبُنا ؟ ولِماذا يُعاتِبُنا عليْها ؟ إلى غيرِ ذلِكَ منَ اللّغوِ الباطلِ والكلامِ العابثِ الّذي يُريدونَ مِنْ ورائِهِ التَّحلُّلَ مِنْ أوامِرِ اللهِ تَعالى ونَواهيهِ ، هَكذا قالوا ويَقولونَ .

وهَكذا أجابَهمُ القرآنُ الكريمُ بعدَ أنْ ثَبتَ يَقيناً ضَعْفُ حُجَّةِ الكافرينَ واتِّباعِهِمُ الظَّنَّ ، فَقَدْ أثبتَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنّ الحُجَّةَ الواضِحةَ المُقْنِعةَ هِيَ ما جاءَ بِها اللهُ سُبْحانَهُ ، قالَ تَعالى :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

قلْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ﷺ لهؤلاءِ المُشرِكينَ الّذينَ بَنوْا قواعدَ دينِهِمْ على الظَّنِ والكَذِبَ ، بَعْدَ أنْ عَجَزوا عنْ إثباتِ مزاعِمِهِم بأدنى دليلٍ ، قلْ لهُم : للهِ تَعالى الحُجَّةُ البالِغةُ الّتي بلغَتْ أعلى دَرجاتِ العِلْمِ والقُوَّةِ ، والّتي وَصَلَتْ إلى أعلى دَرَجاتِ الكمالِ في قَطْعِ عُذْرِ المَحْجوجِ ، وإزالةِ الشُّكوكِ عمَّن تَدبَّرَها وتأمَّلَها ، ولوْ شاءَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى هدايَتَكُمْ جميعاً لَفَعَلَ ، لأنَّهَ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ، ولكنَّه لم يشأْ ذلِكَ ، بلْ شاءَ هدايةَ بعضٍ ، لأنَّهم صَرَفوا اخْتيارَهُمْ إلى سُلوكِ طريقِ الحقِّ ، وشاءَ سُبْحانَهُ ضلالَةَ آخَرينَ ، لأنَّهم صَرَفوا اخْتِيارَهُمْ إلى سُلوكِ طريقِ الباطلِ .

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ للكافِرينَ هاتوا أنْصارَكُمُ الّذينَ يَشْهَدُونَ لكُم أنَّ اللهَ تَعالى حرَّمَ هذا الّذي زَعَمْتُمْ أنَّه حرامٌ ، فإنْ حَضَروا وشَهِدوا فَلا تُصدِّقْهُمْ لأنَّهم كاذِبونَ ، ولا تَتَّبعْ أهواءَ هؤلاءِ الّذين كذَّبوا بالأدلَّةِ الكَوْنيَّةِ والقرآنِ المَتلوِّ ، واعلَمْ أنَّ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخِرَةِ وهُمْ مُشرِكونَ باللهِ تَعالى ، يُساوونَ به غَيْرَهُ مِنَ المَعبوداتِ الباطِلَةِ ، فَيَعْبُدونَها منْ دونِ اللهِ ، ويُحِلّونَ ما أحلَّتْهُ لهمُ ، ويُحَرِّمون ما حرَّمَتْهُ عليْهِم . والمقصودُ منْ إظهارِ هؤلاءِ الشُّهداءِ فَضْحُ المَشهودِ لَهُمْ وإلزامُهُمُ الحُجَّةَ ، وإظهارُ أنّه لا مُسْتَمْسَكَ لَهُمْ ، ولا دليلَ معَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُشْرِكونَ باللهِ سَريعو الكَذِبِ ، وَيَتَّبِعونَ في كَذِبِهِمْ أسلافَهُمُ السَّابِقينَ .

٢ـ الشُّبُهاتُ الّتي تَذرَّعَ بِها مُشْرِكو العُهودِ السَّابقةِ ، هيَ نفسُها الّتي يَتذرَّعُ بها مُشرِكو العَهْدِ الجديدِ .

٣ـ الحُجَّةُ البالغةُ والبيّنةُ الواضِحةُ هيَ للهِ تَعالى في كلِّ شيءٍ .

٤ـ يَنبغي عدمُ تَصديقِ المُشرِكينَ في كَذِبِهِمْ ، حتّى ولوْ جاءوا بالأدلَّةِ الّتي تُخيِّلُ لهم صِدْقَ كَذِبِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

تَخْرُصونَ ، الحُجّةُ البالغةُ ، هَلُمَّ شهداءَكُمْ ، بربِّهِمْ يَعدِلونَ .

٢ـ بيِّنِ الحُجَّةَ الّتي تَذرَّعَ بها المُشْرِكونَ كما ذكرتْها الآياتُ الكَريمةُ .

٣ـ لماذا طُلِبَ مِنَ المُشْرِكينَ أنْ يُحضِروا شُهداءَهُمْ ؟

* * *

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ الأَنْعامِ - القِسْمُ الثّلاثونَ

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾

معاني المُفْرَداتِ :

- **أَتْلُ** : أقرأُ .
- **إمْلاقٍ** : فَقْرٍ .
- **الفواحِشَ** : كبائرَ المَعاصي .
- **وصّاكُم بهِ** : أمرَكُمْ وألزمَكُم بتَطبيقِهِ .
- **يَبلُغَ أَشُدَّهُ** : اسْتِحكامَ قُوَّتِهِ وبُلوغَ سِنِّ الرُّشْدِ .
- **بالقِسْطِ** : بالعَدْلِ .
- **وُسْعَها** : طاقتَها ، وما تَقْدِرُ عليْهِ .
- **صِراطي مُستقيماً** : سبيلِي وديني لا اعْوِجاجَ فيهِ .



التَّفسيرُ :

بعدَ ما ذَكَرَ اللهُ تَعالى مِنْ أحوالِ المُشْرِكينَ الّذينَ أحلّوا ما حرَّم اللهُ وحرَّموا ما أحلَّهُ سُبْحانَهُ تجاوزاً لحدودِ اللهِ ، تَنتَقِلُ السّورةُ إلى أُفقٍ رَحْبٍ فسيحٍ ، فَتُنادي على النَّاسِ بأُسلوبٍ مُؤَثِّرٍ بليغٍ ليستمِعوا إلى ما حُرِّمَ عَليْهِم فيَجْتَنِبوهُ ، وإلى ما كلَّفَهُمْ بهِ فيَعملوهُ ، تُناديهِمْ لِيَسْمَعوا البيانَ الصَّحيحَ الحقَّ فيما أحلَّ اللهُ تَعالى وحرَّمَ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ ، لِيَسْمَعوهُ ممَّنْ لَهُ وَحْدَهُ الحقُّ في أنْ يقولَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ .

قلْ لهمْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ : تعالوْا أُبيِّنْ لكُمُ المُحَرَّماتِ الّتي يَنْبَغي أنْ تُحَرِّموها على أنْفسِكُمْ ، وتبتعِدوا عَنْها ، وهِيَ :

أولاً : لا تَجْعلوا للهِ تَعالى شريكاً ما ، بأيِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ الشِّرْكِ .

ثانياً : ولا تُسيئوا إلى الوالِديْنِ ، بلْ أحسِنوا إليهِما إحْساناً بالِغاً .

ثالثاً : وَلا تَقتُلوا أولادَكُمْ بِسَبَبِ فَقْرٍ نَزَلَ بِكُم ، أو تَخشَوْنَ نُزولَهُ في المستقبلِ ، فلستُم أنتُمُ الرَّازِقينَ ، بلْ نحنُ الّذينَ نَرزُقُكُمْ ونرزُقُهُمْ .

رابعاً : ولا تَقربوا مِنَ الأفعالِ القبيحةِ والأقوالِ السِّيئةِ ما كانَ منها ظاهِراً ، وما كانَ خَفيّاً .

خامساً : ولا تقتُلوا النَّفسَ الّتي حرَّمَ اللهُ تَعالى قَتْلَها لِعَدمِ ما يُوجِبُ القَتْلَ ، إلاّ إذا كانَ القتلُ بحقٍّ تنفيذاً لِحُكْمِ القضاءِ ، وقدْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مُسلمٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ إلاّ بإحدى ثلاثٍ : الثَّيبُ الزَّاني ، والنَّفسُ بالنَّفسِ ، والتَّاركُ لدينِهِ المفارقُ للجَماعةِ »[١] . أمرَكمُ اللهُ تَعالى أمْراً مُؤَكَّداً باجْتِنابِ هذهِ المَنْهِيّاتِ الّتي تَقضي الفِطْرَةُ السَّليمةُ البُعْدَ عنْها لِتَعْقِلوا ذلكَ .

هذهِ هي الوصايا الخمسُ الّتي تَضمَّنَتْها الآيَةُ الأُولى (١٥١) وكُلُّها تَشتَرِكُ في واحدٍ ، هوَ أنَّها حقائقُ أو حُقوقٌ ثابتةٌ في نفسِها ، ولمَ يكنْ ثُبوتُها إلاَّ تجاوُباً معَ الفِطْرَةِ ، فاللهُ تَعالى واحدٌ سواءٌ آمَنَ النَّاسُ بهذهِ الحقيقةِ عَقَديّاً وعَمَليّاً أمْ لمْ يؤمِنوا ، وشُكْرُ النِّعمةِ يَقْتَضي الإحسانَ إلى الوالِديْنِ طبعاً

---

(١) رواه البخاري : ٦/١٥٢١ حديث (٦٤٨١) ورواه مسلم : ٣/١٣٠٢ حديث رقم (١٦٧٦) .

وَوَضْعاً ، وللنَّسلِ حقُّ الحياةِ والحِفْظِ ، والفواحشُ فُحْشٌ وباطلٌ في ذاتِها فيجبُ أنْ تُجْتنب ، والنُّفوسُ مَعصومةٌ ، فليسَ لأحدٍ أنْ يَهدِمَها إلاّ بحقِّ الله . ولاتِّفاقِ هذهِ الأمور كُلِّها في هذا المَعْنى ، جاءَتْ في آيةٍ واحدةٍ ، خُتِمَتْ بِعبارةٍ تفيدُ أنَّ هذا ممّا يقبلُهُ العقلُ ولا يَرْفُضُهُ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

ولا تَتصرَّفوا في مالِ اليتيم إلاّ بالتَّصرُّفِ الّذي يَحفظُهُ ويُنمّيهِ ، وليَكُنْ حِفْظُكُمْ لمالِهِ مُستمِرًا حتّى يَصِلَ اليتيمُ إلى حالةٍ مِنَ الرُّشْدِ يَستطيعُ مَعَها أنْ يَستقلَّ بالتَّصُّرفِ السَّليم ، وحينئذ ادْفَعوا إليهِ مالَهُ .

وبعدَ أنْ أمرَ اللهُ بتَرْكِ المَنْهيَّاتِ أمَرَ بفعلِ الخَيْراتِ ، وذلكَ على النَّحوِ التَّالي :

١ـ وفاءُ الكَيْلِ والميزانِ ، فلا نقْصَ إذا أعطيتُمْ ، ولا زيادةَ إذا أخذتُمْ ، بلْ أوْفوها بالعَدْلِ ما وَسِعَكُمْ ذلكَ ، فاللهُ سُبْحانَهُ لا يُكلِّفُ نَفْساً إلاّ ما تستطيعُهُ دونَ حَرَجٍ .

٢ـ اعدِلوا إذا قُلتُم قَوْلاً في حُكْمٍ أو شَهادةٍ أو خَيْرٍ أو نَحوِ ذلكَ ، فلا تَميلوا عنِ العَدْلِ والصِّدْقِ ، بلْ تَحرَّوْا ذلكَ دونَ مُراعاةٍ لِصلَةٍ مِنْ صِلاتِ الجِنْسِ أوِ اللّونِ أوِ القَرابةِ أوِ المُصاهرةِ .

٣ـ الوفاءُ بالعُهودِ ، فَأَوْفوا بِعَهْدِ اللهِ تَعالى الّذي أخَذَهُ عليكُمْ بالتّكاليفِ الشَّرعيَةِ ، والأوامرِ والنَّواهي الإلهيَّةِ .

هذا كلُّهُ ؛ النّواهِي والأوامرُ ، أمرَكُمُ اللهُ تَعالى أمْراً مُؤَكَداً بالتزامِها ، لعلَّكم تتَّقونَ غضَبَ اللهِ وعَذابَهُ بامْتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي .

ثم خُتِمَتْ هذهِ الوصايا ببيانِ صِراطِ اللهِ تَعالى المُستقيمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

وإنَّ هذا الّذي أمرتُكُمْ بهِ ونَهيتُكُمْ عنْهُ صِراطُ اللهِ المستقيمُ فاتّبِعوهُ ، ولا تَحيدوا عنْهُ ، فهوَ النَّهْجُ الَّذي رَسَمْتُهُ لكُم ، لأنَّه هُو الطريقُ المُسْتقيمُ الموصِلُ إلى سَعادةِ الدّارَيْنِ ، بلِ اتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعوا الطَّريقَ الباطِلةَ الّتي نَهاكُمُ اللهُ تَعالى عنْها ، حتّى لا تَتفرَقوا شِيَعاً وأحْزاباً ، وتَبْتَعِدوا عنْ صِراطِ اللهِ تَعالى السَويِّ .

أمرَكُمُ اللهُ تَعالى أمْراً مُؤَكَّداً بذلكَ لِتتجنَّبوا مُخالَفتَهُ ، وكرَّرَ الوَصيةَ على سبيلِ التَّوْكيدِ ، لعلّكم تَتَّقونَ النَّارَ بامتثالِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهيهِ ، والسَّيْرِ على الطَّريقِ المُستقيم .

وبعدُ ، فهذِهِ هي الوصَايا العَشْرُ الّتي جاءَتْ بِها هذِهِ الآياتُ الكَريمةُ ، والمُتأمِّلُ فيها يراها قدْ وَضَعتْ

أساسَ العقيدةِ السَّليمةِ في توحيدِ اللهِ تَعالى وبنتِ الأُسرةَ الفاضلةَ على أساسِ الإحسانِ إلى الوالديْنِ والرَّحمةِ بالأبناءِ ، وحَفظتِ المُجتمعَ مِنَ التصدُّعِ عنْ طريقِ تحريمِها لانتهاكِ الأنْفُسِ والأمْوالِ والأَعْراضِ ، ثُمَّ رَبطَتْ كُلَّ ذلكَ بتقوى اللهِ تَعالى الّتي هيَ مَنْبَعُ كلِّ خيرٍ ، وسبيلُ كلِّ فلاحٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ وصايا اللهِ تَعالى حقيقةٌ بالاسْتِماعِ والالتزامِ .

٢ـ وُجوبُ البُعْدِ عنِ الفواحشِ والآثامِ لأنَّها حرامٌ .

٣ـ ضَرورةُ المُحافظةِ على مالِ اليتيمِ وتَنْميتِهِ .

٤ـ البُعْدُ عنْ مَسالكِ الشَّيطانِ مُقَرِّبٌ لسبيلِ الرَّحمنِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

إملاقٍ ، الفواحشَ ، يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، بالقِسْطِ ، وُسْعَها .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ عَشْرَ وصايا ، عدِّدْها .

٣ـ ما الجامعُ الّذي يَجْمَعُ الوَصايا الخَمْسَ الأُولى ؟

٤ـ بيِّن أثرَ هذهِ الوَصايا في سلوكِ الأفرادِ والجماعاتِ .

فَائِدَةٌ :

قال ابنُ عطيَّةَ : لمّا كانتِ المُحرَّماتُ الأُولىَ لا يقعُ فيها عاقِلٌ ، جاءَتْ العبارةُ : (لعَلّكُمْ تعقلونَ) والمحرَّماتُ الأُخرى شَهَواتٌ ، وقدْ يقعُ فيها مَنْ لمْ يتذكَّرْ ، جاءتِ العبارةُ : (لَعلّكُمْ تذكّرونَ) والسيرُ في الجادَّةِ المستقيمةِ يتَضَمنُ فِعْلَ الفضائلِ ، ولابُدَّ مِنْ تقوى الله تَعالى ، جاءَتِ العبارةُ : (لعلّكُم تتَّقونَ) .

الدَّرْسُ الثّاني عَشَرَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الحادي والثَّلاثونَ

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- طائِفتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا : همُ اليهودُ والنَّصارى .
- دِراسَتِهِم : قِراءَتِهِمْ وعِلْمِهِمْ .
- صَدَفَ عنْها : أَعْرَضَ عَنْها ، أو صَرَفَ النَّاسَ عنْها .

التَّفسيرُ :

كانَ خِتامُ الآياتِ السّابقةِ الحديثَ عنِ الصِّراطِ المُستقيمِ ، وهوَ الدِّينُ الحقُّ الَّذي علَيْهِ أنبياءُ اللهِ جَميعاً ، وهُنا أشارَ سُبْحانَهُ إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وكتابِهِ ، وبيَّنَ مَنْزِلَةَ هذا القرآنِ ، وأمَرَ النَّاسَ باتِّباعِهِ وحذَّرَهُم مِنْ مُخالفةِ أمْرِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

وقدْ أنْزَلْنا التَّوراةَ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إتْماماً للنِّعمةِ على مَنْ أحْسَنَ القيامَ بأمْرِ الدّينِ ، وأنزلْنا فيها تفصيلاً لكلِّ شيءٍ مِنَ التَّعاليمِ المُناسِبَةِ لهُمْ ، وهُدىً إلى الطَّريقِ المُستقيمِ السَّويِّ ، ورحمةً إذا هُم أقاموها وعَمِلوا بها ، وذلكَ لِيُؤمِنَ بنو إسرائيلَ بلقاءِ ربِّهِمْ يومَ القيامةِ ، فَيُقيموا أمْرَ اللهِ ، لأنَّه سوفَ يحاسِبُهُمْ على ذلكَ .

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

وهذا القرآنُ الّذي تَلَيْتُ عليكُمْ آياتِه البيِّناتِ ، هو الكتابُ الّذي لا رَيْبَ فيهِ ، وأنْزلناهُ كَثيرَ البرَكاتِ عَظيمَ الشَّأنِ ، كثيرَ الخَيْرِ ، في الدّينِ والدُّنيا ، قد جاءَ بأكْثَرَ مِمّا جاءتْ به التّوراةُ فاتَّبعوا ما هَداكُمْ إليهِ واجْتَنِبوا ما نَهى عنهْ ، فهو حَبْلُ اللهِ المتينُ ، ونورُهُ اليَقينُ ، جَمَعَ طريقَ الفلاحِ في الدُّنْيا والآخِرةِ ، فاعْمَلوا بهِ لَعلَّكُمْ تُرْحَمونَ في حياتِكُمْ ومَماتِكُم .

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

أنزلْنا هذا القرآنَ عليكُمْ حتّى لا تَعتَذِروا عنْ عِصْيانِكُمْ وتَقولوا : إنَّ الوَحْيَ لم يَنزِلْ إلاّ على طائفتَيْنِ منْ قَبْلِنا هُما : اليَهودُ والنَّصارى ، ولا عِلْمَ لَنا مُطْلَقاً بتِلاوَةِ كُتبِهِمْ وفَهْمِ ما فيها مِنْ إرشادٍ ، فهِيَ ليسَتْ بلُغَتِنا ولا نَعْرِفُ عنْها شيئاً .

﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

وأنزلْنا عليْكُمُ القرآنَ حتّى لا تقولوا أيْضاً لوْ أنَّا أُنْزِلَ عَلينا الوَحْيُ الّذي نزَلَ علَيْهِمْ ، لَكُنَّا أكثرَ منهُم هدايةً وأَحْسَنَ حالاً ، لِسَعةِ عُقولِنا واستِعدادِنا ، لا حُجَّةَ لكُم بعدَ اليوم على عِصْيانِكُمْ ، ولا مَحلَّ لِقَوْلِكُمْ هذا ، فقدْ جاءَكُمُ القرآنُ مِنْ ربِّكُمْ علامةً واضِحةً على صِدْقِ رَسولِنا مُحمَّدٍ ﷺ ومُبيِّناً لكُمْ جميعَ ما تَحتاجونَ إليهِ في دينِكُمْ ودُنْياكُمْ ، وهادِياً إلى الصِّراطِ السَّويِّ ، ورحمةً لكُم باتِّباعِه .

ولا يكونُ أحدٌ أظلمَ مِمَّن كذَّبَ بآياتِ اللهِ تَعالى الّتي أنزَلَها في كُتبِهِ ، وآياتِهِ الّتي خَلَقَها في الكَوْنِ ، وأعْرَضَ عَنْها فلمْ يُؤْمِنْ ولمْ يعملْ بها ، وسَنُعاقِبُ الّذينَ يُعرِضونَ عنْ آياتِنا ، ولا يَتدبَّرونَ ما فيها مِنَ العَذابِ البالغِ غايتَهُ في الإيلامِ بسببِ إعْراضِهِمْ وعَدَمِ تدبُّرِهِمْ . ثمَّ يَمضي القرآنُ الكَريمُ

في تَهديدِهِمْ خُطوةً أُخرى ، ردّاً على ما كانوا يَطْلبونَهُ مِنَ الآياتِ الخارقَةِ ، وتَحذيراً مِنْ إِعْراضِهِمْ وتَقاعُسِهِمْ عنْ طريقِ الحقِّ معَ أنَّ الزَّمنَ لا يتوقَّفُ والفُرَصُ لا تَعودُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

لقدْ قامتِ الحُجَّةُ على وُجوبِ الإيمانِ ، ولم يُؤمِنْ هؤلاءِ ، فماذا يَنتظِرونَ لِكَيْ يؤمِنوا ؟ هلْ يَنْتَظِرونَ أنْ تأتِيَهُمُ الملائكةُ رُسُلاً بدلَ البَشَرِ ، أوْ شاهِدينَ على صِدْقِكَ ، أوْ أنْ يَأتِيَهُمْ ربُّكَ لِيَرَوْهُ أو يَشهدَ بِصِدْقِكَ ؟ أوْ أنْ تَأْتِيَهُمْ بعضُ علاماتِ ربِّكَ لِتَشهَدَ عَلى صِدْقِكَ ؟ وعِنْدما تأتي بعضُ علاماتِ ربِّكَ مِمّا يُلْجِئُهُمْ إلى الإيمانِ ، لا يَنْفعُهُم إيمانُهُمْ ، لأنَّه إيمانُ اضطرارٍ ، ولا ينفعُ العاصي أنْ يتوبَ ويُطيعَ الآنَ ، فقدِ انتُهَتْ مرحلةُ التَّكليفِ .

قلْ لهؤلاءِ المُعْرِضينَ المُكَذِّبينَ : انتَظِروا أحدَ هذهِ الأُمورِ الثَّلاثةِ ، واستمرّوا على تكذيبِكُم ، إنّا مُنتَظِرونَ حُكْمَ اللهِ تَعالى فيكُمْ .

جاءَ في معنى : (بعضُ آياتِ ربِّك) عنْ النَّبيِّ ﷺ قالَ : (لا تقومُ السَّاعةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمسُ منْ مَغرِبِها ، فإذا طَلعَتْ ورَآها النَّاسُ آمَنوا ، وذلكَ حينَ (لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمَنتْ مِنْ قَبْلُ)[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ أنزلَ اللهُ تَعالى التّوراةَ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ تكرُمةً لعبادِه المُؤْمنينَ .

٢ـ النَّبيُّ ﷺ أيضاً على خُطى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كرّمَهُ اللهُ تَعالى بالكِتابِ وجَعلَهُ تَكْرِمةً لعبادِهِ المؤمنينَ .

٣ـ لا أحدَ أظلمُ مِمَّنْ كَذَبَ على اللهِ تَعالى ومنعَ النَّاسَ مِنَ الخَيْرِ .

٤ـ للتَّوبةِ أمَدٌ محدودٌ عندَ اللهِ ، ثُمَّ يُقفَلُ بابُها ، ولا تُقبَلُ منْ أحدٍ .

٥ـ على العاقلِ الإسْراعُ بالتَّوبةِ والإنابةِ قبلَ أنْ يقَعَ فيما لا يُحْمَدُ .

---

(١) رواه البخاري : ٤/ ١٦٩٧ حديث رقم (٤٣٦٠) ، وانظر صحيح مسلم : ١/ ١٣٧ حديث رقم(١٥٧) .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

طائفتَيْنِ منْ قَبْلِنا ، دراسَتِهِمْ ، صَدَفَ عنْها .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ بواعِثَ إنزالِ اللهِ تَعالى الكِتابَ على موسَى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، بيِّنْ ذلكَ .

٣ـ بابُ التَّوبةِ مفتوحٌ إلى وقتٍ محدَّدٍ ، بَيِّنْ ذلكَ .

٤ـ هدّدَ اللهُ تَعالى الكافِرينَ بانتظارِ آياتٍ ثلاثٍ ، اذْكُرْها .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَه فِرعونُ عندَما يَئِسَ مِنَ النَّجاةِ وهوَ يَغرقُ ، وردَّ القرآنِ عليهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّالثَ عَشَرَ

سورَةُ الأَنْعامِ ـ القِسْمُ الثّاني والثّلاثونَ

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- كانوا شِيَعاً : فِرَقاً وأحْزاباً .
- ديناً قِيَماً : ثابتاً ، مُقوِّماً لأُمورِ المعاشِ والمعادِ .
- حنيفاً : مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدّينِ الحقِّ .
- نُسُكي : عِبادتي كلَّها .
- لا تزرُ وازرةٌ : لا تَحمِلُ نفسٌ آثِمَةٌ .
- خلائفَ الأرضِ : يَخلُفُ بعضُكُمْ بعضاً فيها .
- لِيَبْلوَكُمْ : لِيَخْتَبِرَكُمْ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى حُجَجَ الّذينَ اختلَفوا في الدِّينِ ، وهَدَّدهُمْ بسوءِ المَصيرِ ، أَعْقَبَ ذلكَ ببيانِ خُطورةِ التَّنازُعِ وبعضِ جوامعِ الخَيْرِ ، وابتدأَ بالحديثِ عنِ الّذينَ فرّقوا دينَهُمْ وكانوا شِيَعاً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾

إنَّ الّذينَ فرّقوا الدّينَ الحقَّ الواحِدَ بالعقائدِ الزّائفةِ والتَّشْريعاتِ الباطِلةِ ، وصاروا بسَببِ ذلكَ أحزاباً تَحْسَبُهُمْ جميعاً ، وقلوبُهُمْ مُخْتَلِفةٌ ، لستَ مؤاخَذاً بتفرُّقِهِمْ وعِصْيانِهِمْ ، لأنّكَ لا تملكُ هِدايتَهُمْ ، فما عَلَيْكَ إلاّ أنْ تُبَلِّغَهُمْ دينَ اللهِ ، واللهُ تَعالى وحْدَهُ هوَ الّذي يَمْلِكُ أمْرَ الهدايةِ والجزاءِ ، ثمَّ يُخْبِرُهُمْ يومَ القيامةِ بما كانوا يَفْعلونَهُ في الدُّنيا ويُجازيهِمْ عليْهِ .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ عامَّةٌ في كلِّ مَنْ فارَقَ تعاليمَ الإسلامِ ، سواءٌ أكانَ مُشْركاً أَمْ كتابيّاً ، ويَنْدَرِجُ فيها أصحابُ الفِرَقِ الباطلةِ والمذاهبِ الفاسدةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، كالقاديانيّةِ والباطِنيّةِ والبَهائيَّةِ ، وغيرِ ذلكَ مِنْ أصحابِ الأهواءِ والبِدَعِ والضَّلالاتِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى لُطْفَهُ في حُكْمِهِ ، وفَضْلَهُ على عبادِهِ بمناسبةِ الحديثِ عنِ الجزاءِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠) ﴾

مَنْ عَمِلَ صالحاً يُضاعَفُ له ثوابُهُ إلى عشرةِ أمثالِهِ فَضْلاً وكَرَماً ، ومَنْ عَمِلَ عَمَلاً سَيّئاً لا يُعاقَبُ إلاّ بمقدارِ عِصْيانِهِ ، عَدْلاً منهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وليسَ هناكَ ظُلْمٌ بنَقْصِ ثوابٍ أوْ زيادةِ عِقابٍ .

وفي مَعنى هذهِ الآيةِ جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ تَعالى يقولُ : (إذا أرادَ عَبْدي أنْ يَعْمَلَ سَيِّئةً فلا تَكْتُبوها عليْهِ حتّى يَعْمَلَها ، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبوها بمثلِها ، وإنْ تَرَكَها مِنْ أجلي فاكتُبوها لهُ حَسَنةً ، وإذا أرادَ أنْ يَعْمَلَ حسنةً فلمْ يَعْمَلْها فاكْتُبوها لَهُ حَسَنةً ، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها لهُ بعشرةِ أمثالِها إلى سبعِمائةِ ضِعْفٍ)[١] .

ثمَّ خُتِمتِ السّورةُ الكَريمةُ بخمسِ آياتٍ جامعةٍ لِوُجوهِ الخَيْرِ ، مَنْ تأمَّلَها تجلّى لهُ أنَّها خِتامُ

---

(١) رواه البخاري : ٦/ ٢٧٢٤ حديث رقم (٧٠٦٢) .

حكيمٌ يُناسِبُ هذه السّورةَ ، الّتي هيَ سورةُ البلاغِ والإعلانِ والمبادىءِ العُليا لِدَعْوَةِ الإيمانِ . قالَ تَعالى في أَولِ الخَمْسِ مِنْ هذهِ الآياتِ :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

قلْ يَا أَيُّها النَّبيُّ ﷺ مُبيِّناً ما أَنتَ عليهِ منَ الدِّينِ الحقِّ : إنّ ربِّي أرْشَدَني وَوَفَّقَني إلى طريقٍ مُستقيمٍ ، بَلَغَ نهايةَ الكمالِ في الاسْتقامةِ ، وكانَ هوَ الدِّينُ الّذي اتّبَعهُ إبراهيمُ

ـ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ مائِلاً بِهِ عنِ العقائدِ الباطلةِ ، وما كانَ إبراهيمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يَعبدُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ كما يَزْعُمُ المُشْرِكونَ .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ إنَّ صلاتي وجَميعَ عِباداتي ، وما آتيهِ في حالِ حَياتي مِنَ الطّاعةِ ، وما أموتُ عليْهِ مِنَ الإيمانِ والعملِ الصَّالِح ، كُلُّه خالِصٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعالى الّذي خَلَقَ جميعَ المَوْجوداتِ ، فاسْتَحقَّ أنْ يَعْبُدوهُ وحْدَهُ ، وأنْ يُطاعَ وَحْدَهُ .

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ : اللهُ تَعالى لا شريكَ لَهُ في الخَلْقِ ، ولا في اسْتِحقاقِ العِبادةِ ، وقَدْ أَمَرَني ربّي سُبْحانَهُ وتَعالى بذلكَ الإخلاصِ في التّوْحيدِ والعَمَلِ ، وأنا أوَّلُ المذعِنينَ المُمْتَثلِينَ ، وأكْمَلُهُمْ إذْعاناً وتَسليماً .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

قلْ يا محمَّدُ ﷺ مُنكِراً على المُشْرِكينَ دَعوَتَهُمْ إيّاكَ لِموافقَتِهِمْ في شِرْكِهِمْ : أَأَطْلُبُ بالعبادةِ ربّاً غيرَ اللهِ تَعالى ، مع أنّه خالقُ كلِّ شيءٍ ؟ وقلْ لهُم مُنْكِراً عليْهِمْ أنّهم لا يَحْمِلونَ عَنْكَ خَطاياكَ إذا وافَقْتَهُمْ : لا تَعْمَلُ أيُّ نفسٍ عَمَلاً إلاّ وقعَ جزاؤُهُ عليْها وَحْدَها ، ولا تُؤاخَذُ نَفْسٌ بذنبِ نَفْسٍ أُخرى ، ثُمَّ تُبْعَثونَ بعدَ الموتِ إلى ربِّكُمْ ، فيخبرُكُمْ بما كنتُم تَختلِفونَ فيهِ في الدُّنيا مِنَ العقائدِ ، ويُجازِيكُمْ عَليْها ، فكيفَ أَعْصِي اللهَ تَعالى اعْتِماداً على دَعْوَتِكُمُ الكاذِبةِ ؟

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ .

وهُوَ سُبْحانَهُ الّذي جَعَلَكُمْ خُلفاءَ للأُممِ السَّابِقَةِ في عِمارةِ الكونِ ، وَرَفَعَ بعضَكُم فوقَ بعضٍ دَرَجاتٍ في الكمالِ الماديِّ والمعنويِّ ، وحَسَبَ اجتهادِكُمْ في هذهِ الدُّنيا ، لِيَخْتبرَكُمْ فيما أعطاكُمْ

مِنَ النِّعمِ ، هلْ تَشْكُرونَها ؟ وفيما آتاكُمْ مِنَ الشرائعِ ، هلْ تَعْمَلونَ بها ؟ إنّ ربَّك سُبْحانَهُ وتَعالى سريعُ العِقابِ للمُخالفِينَ ، لأنَّ عِقابَه آتٍ لا رَيْبَ فِيه ، وكلُّ آتٍ قريبٌ ، وإنَّهُ لَعظِيمُ المَغفرةِ للتّائِبينَ المُحْسِنينَ ، واسعُ الرّحمةِ بهِمْ .

وبعدُ ، فهذِهِ هيَ سورةُ الأَنْعامِ الّتي عالَجَتْ مِنْ مَبْدَئِها إلى نهايَتِها قضيةَ العَقيدةِ بكلِّ مُقوِّماتِها عِلاجاً قوياً حَكيماً ، يَهْدي إلى الرُّشْدِ لِمنْ عندَهُ الاسْتِعدادُ لذلكَ ، وطوَّفَتْ بالنَّفسِ البَشَرِيَّةِ في الكَوْنِ كُلِّهِ لِتُرْشِدَها إلى خالقِ هذا الكونِ ، وتجعلَها تَستجيبُ لهُ وتَنْتَفِعُ بما مَنَحَها مِنْ نِعَمٍ ، وكشفَتْ عنْ مواطنِ الشّرْكِ ومَظاهرِهِ في كلِّ مَظانِّهِ ومَكامِنِه ، لِتدفعَهُ وتَدْحَضَهُ ،وتُخلِّصَ النَّفسَ البشريَّةَ والحياةَ الإنسانيَّةَ مِنْ أمراضِ الشِرْكِ وأدْرانِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ براءةُ النَّبيِّ ﷺ مِنَ اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ ، ومِنَ الشِّرْكِ كلِّهِ .

٢ـ الإسلامُ وشَريعتُهُ هَوَ المَنهجُ الحقُّ المُسْتَقِلُّ المُميَّزُ .

٣ـ بيانُ فَضْلِ اللهِ تَعالى وكَرمِهِ على عبادِهِ في مُجازاةِ مَنْ أحْسَنَ ، أكثَرَ مِنْ قيمةِ عملِهِ .

٤ـ دَعْوَةُ الأنبياءِ واحِدةٌ ، والدِّينُ الّذي دعَوْا إليهِ واحِدٌ .

٥ـ ضرورةُ التجرُّدِ الكاملِ والإخلاصِ للهِ تَعالى في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ .

٦ـ لا يَحْمِلُ أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ يومَ القيامةِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

كانوا شِيَعاً ، ديناً قِيَماً ، حَنيفاً ، لا تَزِرُ وازِرةٌ ، خلائفَ الأَرْضِ ، لِيَبْلُوَكُمْ .

٢ـ بينَّتِ الآياتُ الكَريمةُ مَوْقِفَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ الّذينَ فرّقَتْهُمْ أحزابُهُم وتَناحَروا ، اذْكُرْ هدا الموقفَ .

٣ـ بيِّنْ فضلَ اللهِ تَعالى في الجزاءِ .

٤ـ بيِّنْ خصائصَ الإسلامِ مِنْ خلالِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ .

٥ـ فَسِّر كلاًّ مِمّا يأْتي :

أـ فرَّقوا دينَهُمْ وكانوا شِيَعاً .

ب ـ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً .

ج ـ إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالَمينَ .

د ـ ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخرَى .

نَشاطٌ :

١ـ هُناكَ حديثٌ شريفٌ بيَّنَ فيهِ الرّسولُ ﷺ أنّ الأعمالَ حسَبَ أُجورِها ، اكْتُبِ الحديثَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً شريفاً يُبيِّنُ خُطورةَ الرّياءِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ الأعرافِ أَطْوَلُ السُّوَرِ المكّيةِ ؛ إذْ تبلغُ آياتُها مائتينِ وستَ آياتٍ ، وهِيَ تُعتبرُ بمثابةِ التَّفصيلِ لِما وَرَدَ في سورةِ الأَنْعامِ مِنْ أُصولِ العَقائدِ وكُليّاتِ الدّينِ . وقَدِ اشْتَمَلَتْ هذهِ السّورَةُ على الحديثِ عَنْ بدءِ الخليقةِ الإنسانيّةِ ، فذكرتْ قِصةَ آدمَ عليْهِ السَّلامُ وزَوْجِهِ حوّاءَ ، وخُروجَهُما مِنَ الجنَّةِ . ثُمَّ عَرَضَتْ آياتُ السُّورةِ الكَريمةِ كَغيْرِها مِنْ سُوَرِ القرآنِ الكَريمِ إلى النَّظَرِ في السَّماواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما مِنْ نظامٍ بديعٍ .

كَما عَرَضَتْ بَعْدَ ذلك لِقَصصِ النَّبيينَ ـ عليهمُ السَّلامُ ـ وهم : نوحٌ ، وهودٌ ، وصالحٌ ، ولوطٌ ، وشعيبٌ ، وموسى ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ جميعاً ، وذَكَرَتْ ما دارَ بينَ هؤلاءِ الأَخْيارِ وأقوامِهِمْ ، وخُتِمتِ السُّورةُ بِتَصويرِ مَنْ يُعطَى الهِدايةَ ثُمَّ يَنْسَلِخُ مِنْها بِتَضليلِ الشَّيطانِ ، وما يكونُ مِنْه ، ثُمَّ بيانِ الدَّعوةِ الحقِّ الّتي جاءَ بِها مُحمّد ﷺ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

حَرَجٌ	ضيقٌ .
ذِكْرى	تَذْكيرٌ .
بأْسُنا	عذابُنا .
بَياتاً	بائِتينَ ، لَيْلاً وهُمْ نائِمونَ .
قائِلونَ	مُسْتريحونَ نِصْفَ النَّهارِ ، وتعني : (القَيْلولةَ) .
دَعواهُمْ	دُعاؤُهُمْ وتَضَرُّعُهُمْ .

التَّفسيرُ :

ابتدأَتْ هذِهِ السّورَةُ الكَريمةُ بالحُروفِ المُقطَّعةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ ﴾

هَذهِ الحُروفُ الصَّوتيَّةُ وأَمثالُها تُذْكَرُ في أوائِلِ بعضِ السُّورِ لِتَنبيهِ المُشْرِكينَ إلى أنَّ القرآنَ الكَريمَ مُكَوَّنٌ مِنْ هذِهِ الحُروفِ الّتي يَنْطِقونَ بها ، ومعَ ذلكَ يَعجزونَ عنِ الإتيانِ بمثلِهِ ، كما أنَّ هذهِ الحروفَ إذا تُلِيَتْ تُنبِّهُ النّاسَ إلى السَّماعِ كيْ يتدبَّروا ، ويتَّعِظوا بما يَسمعونَ .

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

هذا كِتابٌ كَريمٌ أنزلناهُ إليكَ يا محمَّدُ ﷺ ، فيهِ هِدايةُ الثَّقلَيْنِ ، فَبَلِّغْ تَعاليمَهُ للنّاسِ ، ولا تَحزنْ أو تَضْجَرْ إذا وَجْدَتَ مِنْ بَعضِهِمْ صُدوداً عنهُ ، فأنتَ عليْكَ البلاغُ وعَلَيْنا الحِسابُ .

والمَقصودُ بهذِهِ الآيةِ الكَريمةِ تقويةُ قَلْبِ النبيِّ ﷺ وتَثبيتُ فؤادِهِ ، وتَسليتُهُ عمّا يَتقوَّلُهُ المُشْرِكونَ مِنْ أكاذيبَ وأباطيلَ ، وإفهامُ الدّاعي إلى اللهِ تَعالى في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أَنَّ مِنَ الواجبِ عليهِ أنْ يكونَ قويَّ القَلْبِ في تَحمُّلِ مُهمَّتهِ ، مُطْمَئِنَّ البالِ على حُسْنِ عاقبتهِ ، لا يتأثَّرُ بالمُخالَفةِ ، ولا يَضيقُ صَدْرُهُ بالإنكارِ .

ثُمَّ وجَّه القرآنُ الكَريمُ نِداءَهُ إلى النّاسِ آمِراً إيّاهُم باتِّباعِ تَعاليمِ الإسلامِ الّتي جاءَ بِها النَّبيُّ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

اتَّبعوا أيُّها النّاسُ مِلَّةَ الإسلام ، وأحِلُّوا حلالَهُ ، وحَرِّمُوا حرامَهُ ، وامْتَثِلوا أوامرَهُ واجتنِبوا نواهيَهُ ، لأنَّ الّذي أنزلَ عَلَيْكُمْ هذهِ الشَّريعةَ هو ربُّكمُ الّذي هو خالِقُكُمْ ومُرَبِّيكُمْ ومُدبِّرُ أمورِكُمْ ، والعليمُ بما فيهِ مَصلحتُكُمْ ، وحذارِ مِنْ أنْ تَتْرُكوا شَريعةَ الإسلامِ الّتي تَدعوكُمْ إلى إفرادِ اللهِ تَعالى بالعُبوديَّةِ ، وتتَّخِذوا معَهُ شُركاءَ يُزَيِّنونَ لكُمُ الأباطيلَ ، ويَصْرِفونَكُمْ عنْ دينهِ القويمِ . إنّكم قلَّما تَتَّعِظونَ حينَ تَترُكونَ دينَ اللهِ تَعالى ، وتتَّبعونَ غيْرَهُ ، معَ أنَّ العِبَرَ في ذلكَ كثيرةٌ .

ثُمَّ ساقَ اللهُ تَعالى لهُمْ بعدَ ذلكَ ، على سبيلِ الإنذارِ والتَّخويفِ ، جانِباً مِنَ العذابِ الّذي نَزَلَ بمنْ سَبقوهُمْ بِسَببِ ظُلْمِهِمْ وفَسادِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

فقدْ أهْلَكْنا قُرىً مُتعدِّدةً ، بِسَببِ عبادةِ أهْلِها غَيْرَ اللهِ تَعالى ، وسُلوكِهِمْ غَيْرَ طريقهِ بأنْ جاءَهُمْ عَذابُنا في وَقْتِ غَفلتِهِمْ واطْمِئنانِهِمْ ليلاً وهُمْ نائِمونَ ، كما حَدثَ لقومِ لوطٍ ـ عليهِ السّلامُ ـ أو نَهاراً وهُمْ مُسْتَريحونَ وقتَ القَيْلولةِ ، كما حَدَثَ لقومِ شُعيبٍ ـ عليهِ السّلامُ ـ . ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ تلكَ الأُممِ المُهْلَكَةِ ، وَقْتَ أنْ جاءَها الأَمْرُ الإلهيُّ بالعَذابِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

فاعترَفوا بِذَنْبِهِمُ الّذي كانَ سَبَبَ نَكْبَتِهِمْ ، فَما كانَ منهُم عِنْدَما رأَوْا عذابَنا إلاّ أنْ قالوا حيثُ لا يَنْفَعُهُمْ ذلكَ : إنّا كُنّا ظالمينَ لأنْفُسِنا بالمعصيَةِ ، ولمْ يَظْلِمْنا اللهُ بعذابِهِ .

وبعدَ أنْ بيَّنَ القرآنُ الكَريمُ ما أَصابَ الظّالمينَ مِنْ عَذابٍ دُنْيَويٍّ ، أعْقَبَ ذلكَ بِبيانِ ما سَيَحِلُّ بِهم مِنْ عَذابٍ أُخْرَويٍّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾

وَسَيَكونُ حِسابُ اللهِ تَعالى يومَ القِيامةِ دَقيقاً عادِلاً ، فَلَنسْأَلَنَّ النّاسَ الّذينَ أُرْسِلتْ إليهِمُ الرُّسُلُ هلْ بَلَغَتْهُمُ الرِّسالةُ ؟ وبماذا أجابوا المُرْسَلينَ ؟ ولَنَسألَنَّ المُرْسَلينَ أيضاً : هلْ بَلَّغتُم ما أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُم ؟ وبماذا أجابَكُم أقوامُكُمْ ؟

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾

ولَنُخْبِرَنَّ الجميعَ إخباراً صادِقاً بجميعِ ما كانَ مِنْهُم ، لأَنَّنا أَحْصَيْنا عليْهِم كُلَّ شيءٍ ، فَما كُنّا غائِبينَ عنْهُم ، ولا جاهِلينَ بِما كانوا يَعْمَلونَ .

﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

ويَومَ نسْأَلُهُمْ ونُخبرُهُمْ ، سيكونُ تَقديرُ الأعمالِ للجزاءِ عَليْها تَقْديراً عادِلاً ، فالّذينَ كَثُرَتْ حَسَناتُهُمْ ، ورَجَحَتْ على سَيئاتِهِم هُمُ الفائِزونَ ، الّذينَ نُبْعِدُهُمْ عنِ النّارِ ، ونُدْخِلُهُمُ الجنَّةَ .

﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

والّذينَ كَثُرَتْ سَيِّئاتُهُمْ ورَجحَتْ على حَسَناتِهِمْ هُمُ الخاسِرونَ ، لأَنَّهم باعوا أَنْفُسَهُمْ لِلشَّيْطانِ ، فتَرَكوا التَّدبُّرَ فِي آياتِنا كُفْراً وعِناداً ، وبذلكَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بإهْلاكِها ، وظَلَموا آياتِ اللهِ بكُفْرِهِمْ بها ، وإنْكارِهِمْ لها . ومِنَ الواجبِ على المُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ بأَنَّ في الآخرةِ وَزْناً للأعْمالِ ، وأَنَّهُ على مِقدارِ ما يَظْهَرُ يكونُ الجزاءُ ، وأَنّهُ وَزْنٌ أو ميزانٌ يَليقُ بما يَجْري في ذلكَ اليومِ الهائلِ الشَّديدِ ، أَما كَيْفِيَّةُ هذا الوَزْنِ فمَرَدُّهُ إلى اللهِ تَعالى ، لأَنَّه شيءٌ اسْتأثَرَ اللهُ بعِلْمِهِ ، وعلى المَرْءِ المُسْلِمِ أَنْ يُعْفِيَ نَفْسَهُ مِنْ مُحاوَلَةِ الكَشْفِ عَنْ أَمْرٍ غَيبيٍّ لمْ يَرِدْ في حقيقتِهِ خَبَرٌ قاطِعٌ فِي كتابِ اللهِ تَعالى أو سُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ العاقِلُ يكونُ في حياتِهِ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ ، وثيقَ الصِّلَةِ باللهِ تَعالى .

٢ـ وَزْنُ الأعمالِ يومَ القيامةِ وسؤالُ اللهِ النّاسَ ، أُمورٌ حَتْمِيَّةٌ لا شكَّ فيها .

٣ـ أَصْحابُ الطّاعاتِ والحَسَناتِ هُمُ الفائِزونَ يومَ القيامةِ ، وأَمّا الظّالِمونَ فَلا تَنْفَعُهُمُ الأَعْذارُ الّتي يُقَدِّمونَها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حَرَجٌ ، ذِكْرى ، بَياتاً ، قائِلونَ ، دعواهُم ، ثَقُلَتْ موازينُهُ .

٢ـ اذْكُرْ ـ باختصارٍ ـ ما اشْتَمَلَتْ عليْهِ هذهِ السورَةُ الكَريمةُ .

٣ـ بيِّنِ العلاقةَ بينَ هذهِ السّورةِ وسورةِ الأنعامِ .

٤ـ ماذا يُرادُ بالحُروفِ المُقطَّعةِ في أوائلِ بعضِ السُّوَرِ ؟

٥ـ كانَ مِنْ قَصْدِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تقويةُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ وأَتْباعِهِ مِنَ الدُّعاةِ . وضّحْ ذلكَ .

٦ـ ماذا كانَ شأْنُ الظّالِمينَ عندما جاءَهُمُ العذابُ ؟

٧ـ ما المَقصودُ مِنْ سُؤالِ الرُّسُلِ يومَ القيامةِ ؟

* * *

الدَّرسُ الخامسَ عشَرَ

سورةُ الأَعْرافِ - القِسْمُ الثّاني

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرداتِ :

مَكنّاكُمْ	: جَعَلْنا لكُم فيها مَكاناً ومَقرّاً .
الصّاغِرينَ	: الأذّلاءِ المُهانينَ .
أَنْظِرْني	: أخِّرْني وأَمْهِلْني في الحياةِ .
المُنظَرينَ	: المُمْهَلينَ إلى وقتِ النَّفْخةِ الأُولى .
فَبِما أغويْتَني	: فَبِما أضلَلْتَني .
لأَقعدنَّ لَهُم	: لأتَرَصَّدَنَّهُمْ ولأجْلِسَنَّ لهُم .
مَذءُوماً	: مَعيباً مُحَقَّراً لَعيناً .
مَدْحوراً	: مَطروداً مُبْعَداً .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى جَزاءَ المُحْسِنينَ وجزاءَ المُسيئينَ ، أَتْبَعَ ذلكَ بِبَيانِ بعضِ مَظاهِرِ فَضْلِهِ على عبادِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

ولقدْ جعَلْنا لَكُمْ يا بَني آدمَ مَكاناً وقراراً في الأَرْضِ ، وأقْدَرْناكُمْ على التَّصرُّفِ فيها ، وأنشأْنا لكُمْ فيها أنواعاً شتَّى مِنَ المَطاعمِ والمَشارِبِ الّتي تَعيشونَ بِها عيشةً راضيَةً ، ولكنَّ كثيراً مِنْكُمْ لم يُقابِلوا هذهِ النِّعمَ بالشُّكْرِ ، بلْ قابلوها بالجُحودِ والكُفْرانِ ، وسَتَلْقَوْنَ جَزاءَ ذلكَ .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .

وفي أخبارِ الأوّلينَ عِبرٌ ومواعِظُ يَتّضحُ مِنها أنَّ الشَّيْطانَ يُحاوِلُ أنْ يُزيلَ عنِ النّاسِ النِّعمَ بنسيانِهِمْ أَمْرَ اللهِ ، فيذكِّرُهُمُ اللهُ بأَصْلِ خَلْقِهِمْ : فنحنُ خَلَقْنا أَباكُم آدمَ ثُمَّ صَوَّرْناهُ على أتَمِّ صورةٍ ، ثُمَّ قلْنا للملائِكةِ اسْجُدوا لآدمَ سجودَ إجلالٍ وتَكْريمٍ ، فَسَجدوا جميعاً طاعةً لأمْرِ ربِّهِمْ ، إلاّ إبليسَ فإنَّه لم يَمْتَثِلْ ولمْ يَكُنْ مِنَ السّاجدينَ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ والّتي سَبَقَتْها بيانٌ لِنِعْمَتَيْنِ عَظيمَتَيْنِ مِنْ نعمِ اللهِ تَعالى على عِبادِه ، أُولاهُما : نِعْمَةُ التَّمْكينِ في الأرْضِ ، واتِّخاذُهمْ إيّاها وَطَناً مُزوَّداً بِضُروبٍ شتّى مِنَ الأشياءِ الّتي يَحتاجونَ إِليْها في معايِشِهِمْ ، وما بِهِ حياتُهُمْ وكَمالُها .

وثانيهُما : نِعمةُ خَلْقِهِمْ مِنْ أَبٍ واحدٍ ، يَجْمَعُهُمْ بِهِ رَحِمٌ واحدةٌ ، وبِسَبَبِها كانوا خُلَفاءَ في الأرضِ لِعِمارَتِها وفُضِّلوا على كثيرٍ مِنَ الخَلْقِ ، فكانَ الواجبُ عَلَيْهِم أنْ يُقابِلوا هذهِ النِّعمَ بالشُّكْرِ والإيمانِ .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى مُنْكِراً على إبليسَ لعنَهُ اللهُ عِصْيانَهُ : ما مَنَعَكَ عَنِ السُّجودِ لآدَمَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقدْ أَمَرْتُكَ بهِ ؟ قالَ إبليسُ في عِنادٍ وكِبْرٍ : أَنا خيرٌ مِنْ آدمَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لأَنَّكَ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ ، وخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ ، والنّارُ أشْرفُ مِنَ الطّينِ . هكذا قالَ إبليسُ فاسْتَحقَّ عِقابَ اللهِ بِسَبَبِ رَفْضِهِ أَمْرَ اللهِ تَعالى .

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

فجازاهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى على عِنادِهِ وكِبْرِهِ بِطَرْدِهِ مِنْ دارِ كرامته ، وقالَ لَهُ : اهبطْ مِنْها بعدَ أنْ كُنْتَ في مَنْزِلةٍ عاليةٍ ، فما يَنْبَغي لكَ أنْ تَتكبَّرَ وتعصِيَ فيها ، فاخْرُجْ مِنْها محكوماً عليكَ بالصَّغارِ والهوانِ .

﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قالَ إبليسُ للهِ تَعالى : أَخِّرْني ، ولا تُمِتْني إلى يوم بعثِ آدمَ وذُرِّيَّته مِنَ القبورِ ، وهوَ وقتُ النَّفخةِ الثّانيةِ عِنْدَ قيام السّاعةِ ، وقدْ أرادَ بذلكَ النَّجاةَ مِنَ الموتِ ، إذْ لا موتَ بعدَ البَعْثِ ، كَما أرادَ بذلكَ أَنْ يَجِدَّ لإغواءِ بني آدَمَ .

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لـهُ : إنَّكَ مِنَ المُؤَخَّرينَ إلى يوم الوقتِ المَعْلوم ، كَما جاءَ ذلكَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر : ٣٦-٣٨] وهُو وقتُ النَّفخةِ الأولى ، فيموتُ كما يموتُ غَيْرُهُ ، هَكذا هُوَ قَضاءُ اللهِ تَعالى ، واللهُ أَعلَمُ .

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

وبِسَبَبِ حِقْدِ إبليسَ على آدمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وذُرِّيتِهِ وحَسَدِهِ لَهُمْ ، قالَ مُخاطِباً اللهَ تَعالى : بسَبَبِ حُكْمِكَ عليَّ بالغِوايةِ والضَّلالِ ، أُقْسِمُ لأُضِلَّنَّ بَني آدمَ وأبيهِمْ مُترصِّداً لهُم على طريقِ الحقِّ وسبيلِ النَّجاةِ ، كما يَترصَّدُ قُطّاعُ الطُّرقِ للسّائرينَ فأَصُدُّهمْ عَنِ اتِّباعِ الحقِّ ، وأُحاولُ بُكلِّ السُبلِ أنْ أَصُدَّهُمْ عنْ صِراطِكَ المُستقيمِ ، ولنْ أَتكاسَلَ عنِ العملِ على إِفْسادِهِمْ وإضْلالِهِمْ .

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

قالَ إبليسُ : وأُقْسِمُ لآتينَّهُمْ مِنْ أَمامِهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ ، وعَنْ أَيْمانِهِمْ وعَنْ شَمائِلِهِمْ ، ومِنْ كلِّ جهةٍ أستطيعُها ، مُلْتَمِساً كُلَّ غفلةٍ منهُم أوْ ضعفٍ فيهِم ، لأصِلَ إلى إغْوائِهِمْ ، حتَّى لا يَكونَ أكثرُهُم مُؤمنينَ بكَ ، لعدمِ شُكْرِهِمْ لِنِعْمَتِكَ .

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

فزادَهُ اللهُ تَعالى نِكايةً ، وقالَ لهُ : اخْرُجْ مِنْ دارِ كَرامتي مَذْموماً بِكِبْرِكَ وعِصْيانِكَ ، وهالِكاً في نِهايَتِكَ ، وأُقْسِمُ أنَّ مَنْ تَبِعَكَ مِنْ بني آدَمَ لأملأنَّ جَهنَّمَ مِنكَ ومِنْهُم أَجْمَعينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بيانُ نعمةِ اللهِ تَعالى على عِبادِهِ بِتَمْكينِهِمْ في الأرضِ ، وجَعْلِها موضعَ اعتياشٍ لَهُمْ ، وتكريمِهِمْ بأنْ خَلقَهُم وأسْجَدَ لهم ملائِكتَهُ .

٢ـ عداوةُ إبليسَ للإنسانِ مُتأصّلةٌ وقديمةٌ قِدَمَ خَلْقِ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٣ـ التكبُّرُ على أمْرِ اللهِ تَعالى يُؤدّي إلى غَضَبِ اللهِ ، والطّردِ مِنْ رحمتِهِ .

٤ـ على الإنسانِ أنْ يَحْذَرَ هذا العدوَّ اللّدودَ المُسْتَكْبِرَ ، الّذي أَقْسَمَ أمامَ اللهِ على إغواءِ الإنسانِ وإضْلالِهِ .

التَّقْويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مَكّنّاكُمْ ، الصّاغِرينَ ، أَنْظِرْني ، لأَقْعُدَنَّ لهمُ ، مَذءُوماً .

٢ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ نِعَماً عِدّةً أنعمَ بها اللهُ تَعالى على عبادِهِ ، بَيِّنْ هذهِ النِّعَمَ .

٣ـ بيّنْ لماذا امتنعَ إبليسُ عنِ السُّجودِ لآدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ ما غرَضُ إبليسَ مِنْ طلبِ الإمهالِ إلى يومِ البعثِ ؟

٥ـ إلى أيِّ زمانٍ أمْهَلَ اللهُ تَعالى إبليسَ ؟

٦ـ بيّنْ عاقبةَ إبليسَ ومَنْ تَبعَهُ مِنَ النّاسِ .

٧ـ اذْكُرِ الحوارَ الّذي دارَ بينَ إبليسَ واللهِ تَعالى كَما بيّنتْهُ الآياتُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَسماءَ ثلاثِ سُوَرٍ ذُكِرَتْ فيها قِصّةُ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيتَي سورةِ الحَشْرِ اللّتيْنِ تُبيِّنانِ مَكْرَ الشّيطانِ ، وتَضليلَهُ للإنسانِ .

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **فَوَسْوَسَ لَهُما** : أَلْقى إليهما الوَسْوَسَةَ .
- **ما وُرِيَ عنْهُما** : ما سُتِرَ وأُخْفِيَ وغُطِّيَ عنْهُما .
- **سَوْءاتِهما** : عَوْراتِهِما الّتي يسوءُهُما ظُهورُها .
- **وقاسَمَهُما** : أَقْسَمَ وحَلَفَ لهُما .
- **فَدلاَّهُما بغرورٍ** : فأنزلَهُما عِنْ رُتْبَةِ الطّاعةِ بخداعٍ .
- **وطفِقا يَخْصِفانِ** : شَرَعا وأخذا يلزقانِ .
- **بِغُرورٍ** : خِداعٍ بالباطِلِ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيّن اللهُ تعالى حقيقةَ عَداوةِ إبليسَ-لعَنَهُ اللهُ تَعالى-لبَني آدمَ ، أَخَذَتْ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ ما كانَ مِنْ إبليسَ بِشأْنِ آدمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وإخْراجِهِ إيّاهُ مِنَ الجنَّةِ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ﴾

ونادى اللهُ تعالى آدمَ عليهِ السَّلامُ - قائِلاً لَهُ : يا آدمُ اسْكُنْ أَنتَ وامرأَتُكَ الجنَّةَ ، وهيَ دارُ كَرامَتي ومُسْتَقرُّ رَحْمتي ، وتَنعَّما بما فيها ، فَكُلا مِنْ أيِّ طعامٍ أَرَدْتُما إلاّ هذِهِ الشجرةَ ، وعيَّنَ لَهُما شجرةً وحرَّمَ عليْهِما قُرْبَها ، فَلا تَقْرَباها حتّى لا تكونا مِنَ الظّالمينَ لأنْفُسِهِمْ بعدمِ الطّاعةِ وباسْتِحقاقِ العِقابِ المُتَرتِّبِ على المُخالَفةِ . وموقعُ الجنّةِ والشَّجرةِ الّتي نُهيا عَنِ الأَكْلِ مِنْها لمْ يَرِدْ بهِ خبرٌ صحيحٌ ، فالأَوْلَى تركُ البَحْثِ فيما لا ثَمَرةَ مِنْ ورائِهِ والإيمانُ بذلكَ كَما أخبرَ اللهُ تَعالى .

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ ﴾ .

فزيّنَ لهُما الشَّيطانُ مُخالَفةَ أَمْرِ اللهِ تَعالى ، ليقَعا في المعصيةِ بأَنْ يَأْكُلَ هُوَ وزوجُهُ مِنَ الشَّجرةِ المُحرَّمةِ ، لِتكونَ عاقبةُ ذلكَ ونَتيجتُهُ أنْ يَظهرَ لهُما ما سُتِرَ عنهُما مِنْ عَوْراتِهما ، وكانا لا يَريانِها مِنْ أنفسِهِما ولا أحدُهُما مِنَ الآخَرِ . ولمْ يَكْتَفِ إبليسُ اللَّعينُ بهذا ، بلْ خدَعَهُما قائلاً لهُما : ما نهاكُما ربُّكما عنِ الأكْلِ مِنْ هذهِ الشَّجرةِ إلاّ كراهةَ أنْ تَكونا مَلَكيْنِ ، أوْ تَكونا مِنَ الخالِدينَ الّذينَ لا يَموتونَ ، بلْ يَبقَوْنَ في الجنَّةِ ساكِنينَ . ولا يزولُ عنهُما ما هُما فيهِ مِنَ النَّعيمِ .

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ ﴾

حَلفَ لهُما بالأَيْمانِ المُغلَّظةِ أنَّهُ لهُما : أيْ لآدَمَ وزوجِهِ مِنَ النّاصِحينَ المُخلِصينَ ، وأنّه لا يُريدُ لَهُما إلاّ ما فيهِ المَنفعةُ لهُما ، حتّى نَسيا مَوْقِفَهُما مِنَ اللهِ ، وأَوامِرِه إليْهِما .

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ ﴾ .

فَخدَعَ إبليسُ ما غرَّهُما بهِ مِنْ قَسَمٍ ، وساقَ آدمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - وحواءَ إلى مُخالفةِ أَمْرِ اللهِ تَعالى بالأَكْلِ مِنَ الشَّجرةِ المَمنوعةِ ، فلمّا ذاقا طَعْمَها ، وانكشفَتْ لَهُما عوراتُهُما ، وتساقطَ عنهُما لِباسُهُما ، بانَ لَهُما شُؤْمُ المَعصيةِ ، فَجَعلا يَجْمعانِ بَعْضَ أوراقِ الشَّجرِ لِيستُرا بها عوراتِهِما . وقدِ اسْتَحْوَذَ عَليْهِما الخَوْفُ والحياءُ مِنْ ربِّهِما سُبْحانَهُ وتَعالى ، هنالكَ جاءَهُما النِّداءُ الإلهيُّ بِتَقْريعِهِما

ولَوْمِهما ومُعاتبَتِهما وتَنْبيههما إلى الخَطأ الّذي وقَعا فيهِ ، فقالَ اللهُ تَعالى لهُما : ألمْ أنْهَكُما عنْ تِلْكُما الشَّجرةِ ، وأُخْبِرُكُما أنَّ الشّيطانَ لكُما عدوٌ مبينٌ ، لا يُريدُ لكُما الخيرَ .

وبعدَ النِّداءِ الإلهيِّ العاتِبِ الّذي سَمِعَه آدمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وزوجُهُ ، التمَسا سبيلَ الصَّفْحِ والمَغفرةِ ، فألهمَهُما ربُّهما أنْ يَتوبا إليْهِ ، ويَستغفِرا مِنْ ذَنْبِهما بكَلِماتٍ ، هُنَّ مِنْ فَيْضِ الرَّحمةِ الإلهيَّةِ ، فتابَ اللهُ تَعالى عَليْهِما ، وهُوَ التّوابُ الرَّحيمُ ، قالَ تَعالى في بيانِ ذلكَ :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

فاضَتْ مِنْ آدَمَ عليْهِ السَّلامُ وحَوّاءَ دُموعُ الاسْتِغفارِ ، وأحسّا بعظيمِ الذَّنْبِ ، فَأَخَذا في التَّضرُّعِ إلى اللهِ تعالى بما ألهَمَهُما إيّاهُ قائِليْنِ : يا ربَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا بمُخالفةِ أمْرِكَ الّتي اسْتَوْجَبَتْ زوالَ النِّعمِ ، وإنْ لمْ تَغْفِرْ يا ربَّنا مُخالفَتَنا وتَرْحَمْنا بفَضْلِكَ ، لَنكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ .

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لهُما وللشَّيْطانِ اللَّعينِ : اهبِطوا جميعاً بعضُكُم لبعضٍ عدوٌّ ، ولكُم في الأرضِ استقرارٌ وتَمتُّعٌ إلى حينِ انقضاءِ آجالِكُمْ .

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

في الأرضِ تُولَدونَ وتَعيشونَ حياتَكُمُ الدُّنيا ، وفيها تَموتونَ وتُدفَنونَ ، ومِنْها عندَ البَعْثِ تُخرَجونَ ، وهذِه سُنَّةُ اللهِ تعالى في خَلْقِهِ ، وهذا هُوَ حُكْمُهُ فيهِمْ ، فسُبْحانَ اللهِ العظيمِ!!

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ إنَّ اتِّباعَ خُطواتِ الشَّيطانِ لا يؤدِّي إلاّ إلى الفَضيحةِ .

٢ـ لا يَتورَّعُ إبليسُ اللَّعينُ وأعوانُهُ مِنَ الحَلْفِ الكاذبِ بأغْلَظِ الأَيْمانِ .

٣ـ على الإنسانِ أنْ يَرْضى بما قَسَمَ اللهُ تَعالى لهُ .

٤ـ مُخالَفَةُ أوامرِ اللهِ تَعالى لا تُؤدِّي إلى الخيرِ .

٥ـ يَنْبَغي للإنسانِ العاقِلِ أنْ لا يَغفَلَ عَنْ عداوةِ الشَّيطانِ لَهُ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

فَوَسوسَ لهُما ، ما وُرِيَ عنهُما ، سواءتِهما ، قاسَمَهُما ، دَلاّهما بِغُرورٍ ، طَفِقا يَخْصِفانِ .

٢ـ بيِّنْ مَوْقِفَ الإنسانِ مِنَ الأشياءِ الّتي حدَّثَنا القرآنُ عنها دونَ تَعيينٍ .

٣ـ ما الحُجَجُ الّتي بَسَطَها الشَّيطانُ لآدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَأَوْقَعَهُ في المَعصيةِ هُوَ وزوجَهُ ؟

٤ـ ما الأَسْلوبُ الّذي اتَّبَعهُ إبليسُ في إغواءِ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وزَوْجِه ؟

٥ـ ماذا كانتْ نتيجةُ الوُقوعِ في المَعصيةِ ؟

٦ـ ما مَوْقِفُ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وحواءَ بعدَ ما عرفا أنَّهما سَقَطا في حبائِلِ الشَّيطانِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ شروطَ التَّوبةِ .

❋ ❋ ❋

الدَّرسُ السَّابِعَ عشَرَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أنزَلْنا عَلَيْكُمْ : أعْطَيْناكُمْ ووهبْنا لكُم .

يواري سَوْءاتِكُمْ : يَسْترُ ويُغَطّي عوراتِكُمْ .

رِيشاً : لباسَ زينةٍ تَتجمّلون بهِ .

لباسُ التَّقوى : الإيمانُ وثَمَراتُهُ .

لا يَفْتِنَنَّكُمْ : لا يُضِلَّنَّكُمْ ولا يَخْدَعَنَّكُم .

يَنزِعُ عنهُما : يُزيلُ عَنْهُما .

قبيلُهُ : جُنودُهُ أو ذرِّيَّتُهُ .

فَعلوا فاحِشَةً : أتَوْا فِعْلَةً مُتناهيةً في القُبْحِ .

القِسْطِ : العَدْل ، وهُو جميعُ الطّاعاتِ والقُرُباتِ الّتي طلبَها اللهُ تَعالى .

أَقيموا وُجوهَكُمْ : توَجَّهوا إلى عبادَتِهِ مُسْتَقيمينَ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ بيانِ قصةِ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وإغواءِ الشَّيطانِ لهُ ، وإخراجِهِ مِنَ الجنَّةِ ، واسْتِقرارِهِ في الأرضِ ، تُبيِّنُ الآياتُ الكَريمةُ وُجوبَ اتِّباعِ دينِ اللهِ تَعالى وشَرْعِهِ ، والحَذَرَ مِنَ الشَّيطانِ وَوساوسِه ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

يا بَني آدمَ : تَذكَّروا واعْتَبِروا ، واشْكُروا اللهَ تَعالى على ما حَباكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمٍ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ قَدْ هَيأَ لكُم سبيلَ الحُصولِ على المَلْبَسِ الّذي تَستُرونَ بِهِ عَوْراتِكُمْ ، وتَتزيَّنونَ بِهِ في حياتِكُمْ ، ولكنَّ لِباسَ الطّاعةِ الّذي يَصونُ النَّفسَ عَنِ الدَّنايا والأَرْجاسِ ، ويَسْتُرُها بالإيمانِ والعملِ الصّالحِ هُوَ خيرٌ مِنْ كلِّ لِباسٍ حَسَنٍ يتزيَّنُ بِهِ البشرُ ، لأنَّ هذا اللِّباسَ هُوَ الّذي يَقي الإنسانَ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى ، وتلكَ النِّعَمُ مِنَ الآياتِ الدّالَّةِ على قُدْرَةِ اللهِ ورَحْمتِهِ ، لِيتَذَكَّرَ النّاسُ بها عَظَمَتَهُ واسْتِحقاقَهُ الأُلوهيّةَ وَحْدَه سُبْحانَهُ وتَعالى .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يا بَني آدم : لا تَستَجيبوا للشَّيْطانِ وإضْلالِهِ ، فَتَخْرُجوا مِنْ هذهِ النِّعمِ الّتي لا تَدومُ إلاّ بالشُّكْرِ والطّاعةِ ، كَما استجابَ آدمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ وحَوّاءُ ، فَأَخْرَجَهُما الشَّيْطانُ مِنَ النَّعيمِ والكَرامةِ ، ونَزَعَ عنهُما لِباسَهُما ، وأظهرَ لهُما عوراتِهِما . يا بَني آدَمَ : إنّ الشَّيْطانَ يأتيكُمْ هُوَ وأَعوانُهُ مِنْ حيثُ لا تشعُرونَ بِهِمْ ، ولا تَحُسّونَ بأساليبِهِمْ ومَكْرِهِمْ ، فَهُوَ يراكُم وأنتُم لا تَرَوْنَهُ ، وليسَ للشَّيطانِ سُلطانٌ على المؤمِنينَ ، ولكنَّنا جَعَلْناهُ وأَعْوانَهُ أولياءَ للّذينَ لا يُؤْمِنونَ إيماناً صادِقاً يَسْتَلْزِمُ الطّاعةَ التّامَّةَ .

ثُمَّ حَكى القرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلكَ بعضَ القبائحِ الّتي كانَ يَفعلُها المشرِكونَ ، وَرَدَّ على أكاذيبِهِمْ بما يُبدِّدُها . وهذه القبائحُ كُلُّها مِنْ تَزيينِ الشَّيطانِ واسْتِسْلامِ الكافِرينَ لإغوائِه ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

وإذا فَعَلَ المُكذِّبونَ أمْراً بالِغَ النُّكْرِ ، كالشِّرْكِ باللهِ تَعالى والطَّوافِ بالبيتِ عُراةً وغيرِ هذا مِنَ

القبائح ، اعتذَروا وقالوا : إنّا وَجَدْنا آباءَنا يَسيرونَ على هذا المِنْهاج ونحنُ بِهمْ مُقْتَدونَ ، واللهُ تَعالى أمرَنا بِهِ ورضِيَ عنْهُ ، حيثُ أقرَّنا عليْهِ . قلْ لهُم يا أيُّها النَّبيُّ ﷺ مُنْكِراً عَليْهِمُ افْتِراءَهُمْ : إنّ اللهَ تَعالى لا يأمُرُ بهذِهِ الأُمورِ المنْكَرَةِ . أتنسبونَ إلى اللهِ تَعالى ما لا تجِدونَ لهُ مُسْتَنَداً ، وليسَ عِنْدَكُمْ بِهِ دليلٌ على صِحَّةِ النَّسَبِ إلِيْهِ سُبْحانَهُ ؟

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

بَيِّنْ لهُم يا مُحمَّدُ ﷺ ما أمرَ اللهُ تَعالى بِهِ ، وقلْ لهمُ : أَمَرَ ربِّي بالعَدْلِ ، وَما لا فُحْشَ فيهِ ، وأمَرَكُم كذلِكَ أنْ تَخصُّوهُ وحْدَهُ بالعِبادةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وأنْ تكونوا مُخْلِصينَ لَهُ فيها ، وكلُّكُم بعدَ الموتِ راجِعونَ إليْهِ ، وكما بدأَ خَلْقَكُم بِيُسْرٍ ، وكُنْتُمْ لا تمْلِكونَ إذْ ذاكَ شيئاً ، سَتعودونَ إليهِ تاركينَ ما خَوَّلَكُمْ مِنَ النِّعمِ وراءَ ظُهورِكُمْ . ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى مَصيرَ النّاسِ بيْنَ يديهِ يومَ القيامةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

وسيكونُ النّاسُ يومَ القيامةِ فَريقَيْنِ : فريقاً هَداهُ اللهُ تَعالى ، لأنّهُ اختارَ طريقَ الحقِّ فآمَنَ وعَمِلَ عَملاً صالِحاً ، وفريقاً آخرَ حَكَمَ عليْهِ بالضّلالةِ ، لأنَّهُ اختارَ طريقَ الباطِلِ وهوَ الكُفْرُ والعِصْيانُ ، وهؤلاءِ الضّالُّونَ قدِ اتَّخذوا الشَّياطينَ أولياءَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى فاتّبعوهُمْ ، وهُمْ يَظنُّونَ أنَّهم مُوفَّقونَ لاغْتِرارِهِمْ بخداعِ الشَّياطينِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ مِنْ نِعْمةِ اللهِ تَعالى إكرامُهُ الإنسانَ وَسَتْرُ عَوْرتِهِ .

٢ـ التّقوى خيرُ لباسٍ ، لأنَّها تقي شَرَّ الوَسواسِ الخنّاسِ .

٣ـ افتراءُ الكافرينَ على اللهِ تَعالى بزَعْمِهِمْ أنَّ ما هُم فيهِ مِنَ الشِّركِ قدْ رَضِيَ اللهُ تَعالى بهِ ، والأصلُ أنْ لا يقولَ الإنسانُ على اللهِ تَعالى غيرَ الحقِّ .

٤ـ اللهُ تَعالى لا يأمُرُ بالفَحْشاءِ ولا يُحِبُّ الفاحِشينَ ، وهُو سُبْحانَهُ لا يَأْمُرُ إلاّ بالطّاعةِ ، والعَدْلِ .

٥ـ ضرورةُ الإخْلاصِ للهِ تَعالى في سائرِ الأعمالِ .

٦ـ النّاسُ فريقانِ : مُهْتَدونَ وضالُّونَ ، وكلٌّ حَسَبَ تَوجُّهِهِ واخْتيارِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يُواري سوءاتِكُمْ ، ريشاً ، يَنزِعُ ، قبيلُهُ ، القِسْطِ ، وأَقيموا وُجوهَكُمْ عندَ كلِّ مسجدٍ .

٢ـ هاتِ الدَّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أ ـ لباسُ التّقوى خيرُ لباسٍ .

ب ـ المشركونَ يُلقونَ تَبِعةَ ضَلالِهِمْ على آبائِهِمْ .

ج ـ اللهُ تَعالى لا يَأْمُرُ بالفَحْشاءِ .

د ـ النّاسُ فَريقانِ : مُهتدونَ وضالُّونَ .

هـ ـ البعثُ حقٌّ .

٣ـ لِماذا ذَكَرَتِ الآياتُ قصَّةَ إخراجِ آدمَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الجنَّةِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الّتي تدعو النّاسَ لأَخْذِ الزِّينةِ عندَ كلِّ مسجدٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثامِنَ عَشَرَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خُذوا زينتَكُمْ : البَسُوا أفضلَ ثيابِكُم وتزيَّنوا .

الفواحِشَ : كبائرَ المَعاصي .

البَغْيَ : الظُّلْمَ ، والاسْتِطالةَ على النّاسِ .

سُلطاناً : حُجّةً وبُرْهاناً .

التَّفسيرُ :

تُتابعُ هذِه الآياتُ الكَريمةُ بيانَ التَّوجيهاتِ الإلهِّيةِ لِبَني آدمَ . وفي هذا النِّداءِ الأَوّلِ يأمُرُ اللهُ تَعالى عبادَهُ بالتَّزيُّنِ والتَّمتُّعِ بالحلالِ دونَ إسْرافٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ .

يا بني آدمَ خُذوا زينتَكُمْ مِنَ اللِّباسِ الماديِّ الّذي يَسترُ العَوْرةَ ، والبَسوا الجميلَ مِنَ الثِّيابِ ، ومِنَ اللِّباسِ الأدبيِّ وهوَ التّقوى ، عندَ كلِّ مكانٍ للصّلاةِ ، وفي كلِّ وقتٍ تُؤَدُّونَ فيهِ العبادةَ ، واستمتِعوا بما أحلَّ اللهُ لكُم مِنَ الأكْلِ والشُّربِ غيرَ مُسرفِينَ في ذلكَ ، فَلا تتناوَلوا المُحَرَّمَ ، ولا تَتَجاوَزوا الحدَّ المَعقولَ مِنَ المُتعةِ ، إنَّ اللهَ تعالى لا يَرْضى عنِ المُسْرفينَ .

وهذهِ الآياتُ الكَريمةُ تَهدي النّاسَ إلى ما يُصْلِحُ معاشَهُمْ ومَعادَهُمْ ، إذْ إنَّها أباحَتْ للمُسلِمِ أنْ يتمَتَّعَ بالطَّيِّباتِ الّتي أباحَها اللهُ تَعالى ، ولكنْ مِنْ دونِ إسْرافٍ أوْ بَطَرٍ ، ولِذا جاءَ الرَّدُّ على المُتَنطّعينَ ، الّذينَ يُضيِّقونَ على أنفُسِهِمْ ما وسَّعهُ الله عليْهِمْ وعلى النّاسِ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾ .

قلْ لهُم يا محمَّدُ ﷺ مُنْكِراً عليْهِمْ افْتراءَ التّحليلِ والتَّحريمِ على اللهِ تَعالى : مَنِ الّذي حرَّمَ زينةَ اللهِ الّتي خَلقَها لِعبادِهِ ؟ ومَنِ الّذينَ حرَّموا الحلالَ الطَّيِّبَ مِنَ الرّزقِ ؟ قلْ لهُم : إنّ هذهِ الطَّيِّباتِ نِعمةٌ مِنَ اللهِ تَعالى ، أباحَ أنْ يَتمتَّعَ بِها الّذينَ آمنُوا في الدُّنيا ، لأنَّهم يُؤدُّونَ حقَّها بالشُّكرِ والطّاعةِ ، ولكنَّ رحمةَ اللهِ تَعالى الواسعةَ شمِلَتِ الكافِرينَ ، فهُم كذلكَ يَتمتَّعونَ بهذهِ النِّعمِ في الدُّنيا ، وسَتَكونُ النِّعَمُ خالِصةً يومَ القيامةِ للمؤمِنينَ لا يُشارِكُهُمْ فيها غيرُهُمْ ، ونحنُ نُفَصِّلُ الآياتِ الدّالّةَ على الأحكامِ على هذا المِنوالِ الواضِحِ ، لِقَوْمٍ يُدرِكونَ أَنَّ اللهَ وحْدَهُ مالِكُ المُلْكِ ، بيدِهِ التَّحليلُ والتَّحريمُ .

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾ .

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ لهؤلاءِ الّذينَ ضيَّقوا على أنْفُسِهِمْ ما وسَعهُ اللهُ تَعالى عليهِم : إنَّما حرَّمَ ربِّي الأُمورَ الفواحِشَ ، وهي الّتي تناهَتْ في القُبْحِ ، سواءٌ منها ما يُرْتَكَبُ سِرّاً وما يُرْتَكَبُ علانيةً ، والمَعصيةَ أيّاً كانَ نَوْعُها ، والظُّلْمَ الّذي ليسَ لهُ وَجْهُ حقٍّ ، وحَرَّمَ أنْ تُشْرِكوا بهِ دونَ حُجَّةٍ صحيحةٍ أوْ دليلٍ قاطعٍ ، وأنْ تَفْتَروا عليْهِ سُبْحانَهُ بالكَذِبِ في التَّحليلِ والتَّحريمِ وغيرِها .

ومَنْ تأمَّلَ هذهِ الآيةَ الكَريمةَ فإنَّه يَجْتَنِبُ أنْ يُحرِّمَ على عبادِ اللهِ تَعالى شيئاً ، أوْ يوجبَ عليْهِمْ شيئاً في دينِهِم بغيرِ نَصٍّ صريحٍ عنِ اللهِ تَعالى أوْ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، بلْ يَجْتَنِبُ أيضاً أنْ يقولَ هذا

مندوبٌ أوْ مَكْروهٌ في الدّينِ بغيرِ دليلٍ واضحٍ مِنَ النُّصوصِ ، وما أكثرَ الغافِلينَ عنْ هذا ، المُجْتَرِئينَ على التَّشريعِ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

لكلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُممِ ولكلِّ جيلٍ مِنَ الأجيالِ مُدّةٌ مِنَ العُمْرِ مَحدودةٌ في عِلْمِ اللهِ تَعالى ، فإذا ما انْتَهتْ هذه المُدَّةُ انقطعَتْ حياتُهُمْ ، وفارقوا هذهِ الدُّنيا مِنْ دونِ أيِّ تقديمٍ أو تأخيرٍ .

وليسَ المُرادُ بالسّاعةِ هُنا ما اصْطَلَحَ عليْهِ النّاسُ مِنْ كَوْنِها ستّينَ دقيقةً ، وإنّما المُرادُ بِها الوقتُ الّذي هُوَ في غايةِ القِلَّةِ .

ثُمَّ أَوْرَدَ القرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلكَ النّداءَ الرّابعَ والأخيرَ لِبَني آدمَ ، وحَضَّهُمْ فيهِ على اتّباعِ الرُّسلِ ـ عليْهِم السَّلامُ ـ والسّيْرِ على الطّريقِ المُسْتَقيمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يا بَني آدمَ إنْ يأتِكُمْ رُسلٌ مِنْ أبناءِ جِنْسِكُمْ ، تَعرفونَهُمْ وتَعرفونَ نَسَبَهُمْ ، يَتلونَ عليكُم آياتِي الّتي أنزلتُها عليكُم لِهدايَتِكُم ، فآمِنُوا بهم وعزِّروهُم وانْصُروهُمْ ، فإنَّ مَنْ آمنَ بِهِمْ واتَّقى ما نهاهُ عنْه ربُّه سُبْحانَهُ وتَعالى ، وأَصْلَحَ نَفْسَهُ وعَمَلَه ، فأُولئِكَ لا خَوْفٌ عليْهِم يومَ القيامةِ ، ولا هُم يَحزنونَ لِمُفارقةِ الدُّنيا وزينَتِها .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

والّذينَ كذّبوا بالآياتِ الّتي أنْزَلْتُها على الرُّسلِ لِهدايتِهِمْ ويَستكبرونَ عَنِ اتّباعِها والاهْتداءِ بها ، فأولئِكَ هُمْ أهلُ النّارِ ، هُمْ فيها مُعذَّبونَ خالِدونَ أبداً في ذلكَ العذابِ الّذي هُوَ الجزاءُ المُقرَّرُ لهُم إزاءَ كَذِبِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ وُجوبُ أخذِ الزّينةِ عندَ مواضعِ الصَّلاةِ وعندَ أدائِها .

٢ـ تحريمُ القَوْلِ على اللهِ تَعالى بغيرِ عِلْمٍ ولا هُدىً .

٣ـ تحريمُ الفواحشِ وكُلِّ ما يقودُ إلى المَعْصيَةِ . والشِّرْكُ باللهِ مِنْ أعْظَمِ المحرَّماتِ .

٤ـ الآجالُ والأعمارُ مُحدَّدةٌ عندَ اللهِ تَعالى .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

خُذوا زينتَكُمْ ، الإِثْمَ ، البَغْيَ .

٢ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ خمسةَ أشياءَ مُحرَّمةٍ . وضِّحْها .

٣ـ ما واجبُ الإنسانِ نحوَ الرُّسلِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ؟

٤ـ بيِّنْ جزاءَ المُخالِفينَ لِما أمرَ اللهُ تَعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ آيةَ سورةِ الفرقانِ الّتي تُبيّنُ صِفةَ عبادِ الرَّحمنِ في الإنفاقِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سببَ عدَمِ تمتُّعِ الكافِرينَ بِنعَمِ اللهِ يومَ القيامةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ التاسِعَ عشَرَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- ضَلّوا عنّا : غابوا عنّا ولا نَجِدُهُمْ .
- ادّارَكوا فِيها : تلاحَقوا في النّارِ واجتمَعوا فيها .
- أُخْراهُمْ : أتباعُهُمُ الّذينَ ضلّوا باتِّباعِهِمْ .
- أُولاهُمْ : القادةُ والرُّؤساءُ الّذينَ أضلُّوا غيرَهُمْ .
- عذاباً ضِعْفاً : مُضاعَفاً .
- يَلِجَ الجَمَلُ : يَدْخُلَ الجَمَلُ .
- سَمِّ الخِياطِ : ثُقْبِ الإبرةِ .
- مِهادٌ : فِراشٌ ، أيْ مُسْتَقَرٌّ .
- غَواشٍ : أَغطيةٌ كالُّلحُفِ .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما يجبُ على المسلمِ فِعْلُهُ تِجاهَ ما أحلَّ اللهُ وحرَّمَ ، أَخذَتِ الآياتُ الكَريمةُ فِي بيانِ عاقبةِ المُكذِّبينَ بآياتِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

فليسَ هناكَ أظْلَمُ مِنَ الّذينَ يَفْتَرونَ الكَذِبَ على اللهِ تَعالى بِنِسْبَةِ الشَّريكِ والوَلَدِ إليهِ ، وادّعاءِ التَّحليلِ والتَّحريمِ وغيرِهما مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ ، أوْ يُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ تَعالى الموحى بِها في كُتُبِهِ ، والموجودةِ في كَوْنِهِ ، أُولئكَ يَنالونَ في الدُّنيا نَصيبَهُمْ ممّا كتبَ اللهُ تَعالى لهُم مِنَ الرِّزْقِ أوِ الحياةِ أوِ العذابِ ، حتّى إذا جاءَتْهُم ملائكةُ الموتِ لِيَقْبِضوا أرواحَهُمْ قالَوا لهُم مُوَبِّخينَ : أينَ الآلِهةُ الّتي كنتُمْ تَعْبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى لِتَدْرَأَ عنكُمُ الموتَ ؟ فَيُجيبونَ : تبَرَّأوا مِنّا ، وتَرَكونا وغابوا عنّا ، وشَهِدَ هؤلاءِ المُكَذِّبونَ على أنْفُسِهِمْ مُقرِّينَ بأنَّهم كانوا كافِرينَ .

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ تَعالى يومَ القيامةِ لهؤلاءِ الكافِرينَ : ادْخُلوا النّارَ معَ أُممٍ مِنْ كُفّارِ الجنِّ والإنسِ قدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ، كُلَّما دخلَتْ أُمَّةٌ النّارَ ، لَعنتِ الأُمةَ الّتي كفرَتْ مِثلَها والّتي اتّخذَتْها قُدْوَةً . حتّى إذا تَتابَعوا فيها مُجْتَمِعينَ قالَ التّابعونَ يَذُمّونَ المَتْبوعينَ : ربَّنا هؤلاءِ أضَلّونا ، فقلّدْناهُم واتَّبَعْناهُم بِحُكْمِ تَقدُّمِهِمْ عَلَيْنا ، أوْ بِحُكْمِ سُلْطانِهِمْ فَصَرفونا عنْ طريقِ الحقِّ ، فعاقِبْهُمْ يا ربَّنا عِقاباً مُضاعَفاً يَحمِلونَ فيهِ جزاءَ عِصْيانِهِمْ وعِصيانِنا فيَرُدُّ اللهُ تَعالى علَيْهِم : لكلٍّ منكُم عذابٌ مُضاعَفٌ لا يَنْجو منهُ أحدُ الفَريقَيْنِ ، يُضاعَفُ عذابُ التّابعينَ لِكُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ ، ولاقْتِدائِهِم بغيرِهِمْ دونَ تدبُّرٍ وتفكُّرٍ ، ويُضاعَفُ عِقابُ المَتْبوعِينَ لِكُفْرِهِمْ وضَلالِهِم ، وتَكفيرِهِمْ وإضْلالِهِمْ ، ولكنْ لا تعلَمونَ مَدى ما لكلٍّ منكُم مِنَ العذابِ .

وهُنا تَنتصِرُ الطّائفةُ المُضِلَّةُ لنفسِها مُعلِنةً براءتَها مِنَ التّابِعينَ ، قالَ تَعالى مُبَيِّناً ذلكَ :

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

قالَ الزُّعماءُ لأتباعِهِمْ بعدَ أنْ سَمِعوا ردَّ اللهِ تَعالى عَليْهِمْ : إنّا وإيّاكُمْ مُتساوونَ في اسْتِحقاقِ العذابِ ، وكلُّنا فيهِ سواءٌ ، لأنّا لم نُجبرْكُمْ على الكفرِ ، ولكنَّكم أنتمُ الّذينَ كفرتُمْ باختيارِكُمْ وضَللتُمْ بِسببِ جَهْلِكُمْ ، فذوقوا العَذابَ المُضاعَفَ مِثلَنا بسببِ ما اكْتَسبْتُموهُ في الدُّنيا مِنْ قبائحَ ومُنْكَراتٍ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

إنَّ الّذينَ كذَّبوا بآياتِنا المُنزَّلةِ في الكُتُبِ ، الموجودةِ في الكونِ ، وكذَّبوا بآياتِنا المَبْثوثةِ في الأنْفُسِ والآفاقِ ، واسْتكبَروا عَنِ الاهتداءِ بِها ، ولَم يتوبوا ويَرْجعوا إلى اللهِ فهُم ميئوسٌ مِنْ قَبولِ أعمالِهِمْ ، ورحمةِ اللهِ تَعالى بِهِمْ ومِنْ دُخولِهِمُ الجنةَ ، كما أنَّ دُخولَ الجَمَلِ في ثُقْبِ الإبرةِ ميئوسٌ منهُ ، وعلى هذا النَّحوِ مِنَ العِقابِ يُعاقِبُ اللهُ المُكَذِّبينَ المُستَكْبِرينَ مِنْ كلِّ أُمّةٍ .

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

إنَّ هؤلاءِ المكذِّبينَ لهُم نارُ جهنَّمَ تُحيطُ بهم مِنْ فوقِهِمْ ومِنْ تحتِهِمْ ، فهيَ من تحتِهِمْ بمنزلةِ الفِراشِ ، ومِنْ فَوْقِهِمْ كالغِطاءِ ، وبمثلِ هذا الجزاءِ نَجْزي كُلَّ ظالمٍ ومُشْرِكٍ لأنَّهُمْ أجْرَموا بحقِّ أنفُسِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُفْتَرونَ على اللهِ الكَذِبَ والمُكذِّبونَ بآياتِ اللهِ هُمْ أَظْلَمُ النّاسِ .

٢ـ براءةُ المشركينَ مِنْ شُرَكائِهِمْ يومَ القيامةِ ، ومَصيرُهُمْ جميعاً إلى النّارِ ، وسَينالونَ جزاءَهُمُ العادلَ .

٣ـ خُروجُ الكفّارِ مِنْ نارِ جهنَّمَ أمرٌ مَيئوسٌ مِنهُ ولا رجاءَ فيهِ .

٤ـ الكفرُ والطُّغيانُ والفَسادُ سببُ إدخالِ النّاسِ نارَ جهنَّمَ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

ادّاركوا فيها ، أُخْراهُم لأُولاهُم ، يَلِجَ الجَمَلُ ، سَمِّ الخِياطِ ، مِهادٌ ، غواشٍ .

٢ـ ما موقفُ المُشْرِكينَ مِنْ شُرَكائِهِمْ يومَ القيامةِ ؟

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ أصنافَ المُشْرِكينَ اذْكُرْها .

٤ـ أشارتِ الآياتُ إلى الحوارِ الدَّائرِ بينَ المشرِكينَ في النّارِ ، لخّصْ هذا الحوارَ .

٥ـ بيِّنْ جزاءَ المُكذِّبينَ والمُسْتَكْبِرينَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تُبيِّنُ تبرُّؤَ المَتبوعينَ مِنَ التّابِعينَ .

* * *

الدَّرْسُ العِشْرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **وُسْعَها** : طاقتَها ، وما تَقْدِرُ علَيْهِ .
- **نَزَعْنا** : أَزَلْنا .
- **غِلٍّ** : حِقْدٍ وضَغينةٍ وعَداوةٍ .
- **أُورِثْتُموها** : صارَتْ إليكُم كَما يصيرُ الميراثُ إلى أصحابِهِ .
- **أذَّنَ مُؤَذِّنٌ** : أَعْلَمَ مُعْلِمٌ ونادَى منادٍ .
- **يَبغونَها عِوجاً** : يَطلُبونَها مُعْوَجَّةً ، أَوْ ذاتَ اعْوِجاجٍ .
- **حجابٌ** : حاجزٌ ، وهوَ سورٌ بَيْنَ الجنَّةِ والنّارِ .
- **الأعرافِ** : الأماكنِ البارزةِ في أعالي السُّورِ .
- **سيماهُمْ** : علاماتُهُمُ المُمَيِّزةُ لهُم .

التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيّنَ اللهُ تعالى عاقِبةَ المُكَذِّبينَ شرَعَ في بيانِ ما أعدَّهُ للمُؤْمِنينَ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) ﴾ .

والّذينَ آمنوا باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتبِهِ ورُسلِهِ واليومِ الآخِرِ ، وعَمِلوا الأعمالَ الصّالِحةَ التّي لا عُسْرَ فِيها ولا مَشقّةَ ، إذْ لا يُكلِّفُ اللهُ تَعالى نَفْساً إلاّ وُسْعَها ، أولئِكَ الجامِعونَ بَيْنَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ هُمْ أصحابُ الجنَّةِ خالِدونَ فيها .

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٤٣) ﴾ .

وأخْرَجْنا مِنْ قُلوبِهِمْ ما كانَ فيها مِنْ غِلٍّ ، فهُم في الجَنَّةِ إخوانٌ مُتحابُّونَ بِقُلوبٍ سَليمةٍ مَليئةٍ بالتَّوادِّ والتَّعاطُفِ ، تَجْري مِنْ تَحتِهِمُ الأنهارُ بمائِها العَذْبِ ، ويَقولونَ سُروراً بما نالوا مِنَ النَّعيمِ شاكِرينَ اللهَ تَعالى على نِعَمِهِ وفَضْلِهِ : الحمدُ للهِ الّذي دَلَّنا على طريقِ هذا النَّعيمِ ، ووَفَّقَنا إلى سُلوكِهِ ، ولَوْلا أنْ هَدانا اللهُ تَعالى إليهِ بإرسالِ الرُّسلِ وتوفيقِهِ لنا ، ما كانَ في استِطاعَتِنا أنْ نُوَفَّقَ إلى الهِدايةِ ، لقدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالوَحْيِ الحقِّ . وهُنا يَقولُ اللهُ تَعالى لهُم : إنّ هذهِ الجنَّةَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى أُعْطيتُموها فَضْلاً مِّنْهُ سُبْحانَهُ دونَ عِوَضٍ منْكُم كالميراثِ ، وهذا التّكريمُ بسببِ أَعْمالِكُمُ الصّالِحَةِ في الدُّنيا .

وبعدَ هذا البيانِ لِجزاءِ المُؤْمنينَ تُبيِّنُ الآياتُ الحوارَ بينَ أصحابِ الجنَّةِ وأصْحابِ النّارِ ، كما صَوَّرَتْهُ لَنا هذهِ السّورةُ الكَريمةُ في بَلاغةٍ مُؤثِّرةٍ وإعْجازٍ ، قالَ سُبْحانَهُ يَحْكي لنا ذلكَ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) ﴾ .

ونادى أصحابُ الجنَّةِ أصْحابَ النّارِ في سُؤالِ تعييرٍ وتوبيخٍ قائِلينَ لهُم : لقدْ وَجَدْنا نحنُ المؤمِنينَ ما وَعَدَنا ربُّنا حقّاً مِنَ الثّوابِ ومِنَ الجزاءِ والنَّعيمِ ، فهلْ وَجَدْتُمْ أنتُمْ ما وعدَكُمْ ربُّكمْ حقّاً مِنَ العِقابِ وسوءِ المصيرِ ؟ فَردَّ الكافِرونَ : نعمْ ، وَجدْنا ما وَعَدَ ربُّنا وما بَيَّنَتْهُ لَنا رُسُلُنا .

وهذا النِّداءُ إنَّما يكونُ بعدَ استقرارِ أهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ ، وأهلِ النّارِ في النّارِ ، وبعدَ أنْ قامَتِ الحُجَّةُ على الكافِرينَ وثَبَتَ الفَوْزُ للمؤمنينَ ، نادى مُنادٍ بَيْنَ الفريقَيْنِ : إنّ الحِرْمانَ والطَّرْدَ مِنْ رحمةِ اللهِ تَعالى إنَّما هُوَ جزاءُ الظّالِمينَ لأنْفُسِهم ، الّذينَ كفَروا وضَلُّوا .

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

هؤلاءِ الظّالِمونَ هُمُ الّذينَ يَمْنَعونَ النّاسَ عنِ السَّيْرِ في طريقِ اللهِ المُسْتقيم ، وهوَ الإيمانُ والعملُ الصّالِحُ . ويَضَعونَ العراقيلَ والشُّكوكَ ، لأنَّهُمْ يُريدونَ أنْ تكونَ الطَّريقُ مُعْوَجَّةً ، توافِقُ أهواءَهُمْ .

وهؤلاءِ الكافِرونَ بالدّارِ الآخرةِ لا يخْشَوْنَ عِقابَ اللهِ تَعالى ، ولِذلكَ اسْتَحقّوا أنْ يُطْرَدوا مِنْ رحمتِهِ سُبْحانَهُ . ثُمَّ يَنتقِلُ الحوارُ إلى مَشْهدٍ آخرَ لِيَدْخُلَ فيهِ طرَفٌ ثالثٌ هُمْ أصحابُ الأعرافِ ، وهوَ مكانٌ عالٍ بينَ الجنَّةِ والنّارِ ، فيَنْقُلُ لَنا القرآنُ الكَريمُ ما يدورُ بَيْنَ هؤلاءِ وكلٍّ مِنْ أصحابِ الجنَّةِ وأصحابِ النّارِ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وبيْنَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النّارِ حاجزٌ يقفُ على أعلاهُ رجالٌ ، قيلَ : همْ مِنْ خيارِ المؤمنينَ وأفاضِلِهِمْ ، وقيلَ : هُمْ مَن اسْتوَتْ حَسَناتُهُمْ وسيِّئاتُهُمْ ، فقعدَتْ بِهم سيئاتُهُمْ عنِ الجَنَّةِ ، وخلَفَتْ بِهم حَسَناتُهُمْ عنِ النّارِ ، وهؤلاءِ يُشْرِفونَ مِنْ هذا المكانِ العالي على جميعِ الخلائقِ ، ويَعْرِفونَ كُلاً مِنَ السُّعداءِ والأشْقياءِ بعلاماتٍ تَدلُّ عليْهِمْ مِنْ أثَرِ الطّاعةِ والعِصيانِ ، ذلكَ أَنَّ اللهَ تَعالى وصَفَ أهْلَ الجنَّةِ في كتابِهِ بأنَّ وُجوهَهُمْ بَيضاءُ ، ووصفَ أهلَ النّارِ بأنَّ وُجوهَهُمْ كالحةٌ سَوداءُ .

وأهلُ الأعرافِ يُنادونَ السُّعَداءَ قبلَ دُخولِهِمُ الجَنَّةَ ، وهُمْ يَرْجونَ دُخولَها فيُبَشِّرونَهُمْ بالأَمانِ ، والاطْمِئنانِ ودُخولِ الجنَّةِ .

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

إذا تحوَّلَتْ أبصارُ أَصْحابِ الأعرافِ إلى جِهةِ أصْحابِ النّارِ بعدَ ذلكَ النِّداءِ الّذي وَجّهوهُ لِلْمُؤمنينَ ، قالَوا مِنْ هَوْلِ ما رأَوْا مِنْ نيرانٍ : ربَّنا لا تُدْخِلْنا معَ الظّالمينَ ، الّذينَ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ وظلَموا غيرَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الشريعةُ مبنيَّةٌ على اليُسْرِ وَرَفْعِ الحرَجِ ، فلا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها .

٢ـ أهلُ الجنَّةِ يَدخُلونَها بِصَفاءٍ كاملٍ ونَقاءٍ ، لاَ يَعرِفونَ الضَّغينةَ ولا الحِقْدَ ، وذلكَ جزاءُ إيمانِهِمْ وأعمالِهِمُ الصّالِحةِ .

٣ـ الجنَّةُ مَنزلَةُ المؤمنينَ العامِلينَ ، ولا يَدْخُلُها سِواهُمْ ، إلاّ بعدَ أنْ يأذنَ اللهُ تَعالى لمنْ يَشاءُ ويَرْضى .

٤ـ الظّالِمونَ يَعترِفونَ بِصِدْقِ الرّسالاتِ والرُّسلِ بعدَ فواتِ الأوانِ .

٥ـ منْ يَصُدُّ عنْ سبيلِ اللهِ ويُريدُها طريقاً مُعْوَجَّةً ويَكْفُرُ بالآخرةِ فَهُوَ مِنَ الظّالِمينَ أهْلِ النّارِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

وُسْعَها ، نَزَعْنا ، غِلٍّ ، أُورِثْتُموها ، أَذَّنَ مؤذِّنٌ ، حِجابٌ ، الأَعرافِ .

٢ـ بيِّنْ أثرَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ في نَفْسِ صاحبِهِ .

٣ـ هلْ يَعترِفُ الظّالِمونَ بالحقِّ ؟ مَتى ؟ وهلْ ينفَعُهُمْ ذلكَ ؟ لِماذا ؟

٤ـ لَخِّصِ الحوارَ بينَ أهلِ الجَنّةِ وأهلِ النّارِ كما ورَدَ في هذهِ الآياتِ .

٥ـ مَنْ أصحابُ الأعرافِ ؟ وماذا يَقولونَ لكلٍّ مِنْ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النّارِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ منْ سورةِ البَقَرةِ ، وتدبَّرْ ما فيها .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والعِشرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **بسيماهُمْ** : بعلاماتِهِمْ .
- **أَفيضوا عَلَيْنا** : صُبّوا أوْ أَلقوا علَيْنا .
- **غرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا** : خدعَتْهُمْ بزُخْرُفِها وزينَتِها .
- **نَنْساهُمْ** : نتْرُكُهُمْ في العَذابِ .
- **تأويلَهُ** : عاقبةَ مواعيدِ القرآنِ ومآلَها مِنَ البعثِ والحسابِ والجَزاءِ .
- **يَفترونَ** : يَكْذِبونَ .



التَّفسيرُ :

ما زالَ الحِوارُ بَيْنَ أهلِ الأعرافِ وَأَصْحابِ النَّارِ يَتوالى ، وهُنا يُبيِّنُ سُبْحانَهُ مَا قالَهُ أهلُ الأعرافِ لِرُؤوسِ الكُفْرِ والطُّغيانِ في هذا اليومِ العَصيبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ونادى أصحابُ الأعْرافِ رجالاً مِنْ أهلِ النَّارِ يَعرفونَهُمْ بعلاماتٍ تُميِّزُهُمْ ، فقدْ كانوا أصحابَ وَجاهةٍ وغِنىً فِي الدُّنيا ، فقالَو لَهُمْ على سَبيلِ التَّوْبيخِ واللَّوْمِ والتَّقريعِ : ماذا أفادَكُمْ جَمْعُكُمْ وكَثْرَتُكُمْ واسْتِكبارُكُمْ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ ، فقدْ صِرْتُمْ في الآخرةِ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وعِنادِكُمْ إلى هذا الوَضْعِ المُهينِ .

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

إنَّ أصحابَ الأعرافِ يُشيرونَ إلى أهْلِ الجنَّةِ مِنَ الفُقَراءِ والّذينَ كانوا مُسْتَضعَفينَ في الأرضِ ، ثُمَّ يَقولونَ لِرُؤوسِ الكُفْرِ الّذينَ كانوا يُعذِّبونَهُمْ ويَحتقرونَهُمْ : هؤلاءِ الّذينَ أقْسَمْتُم في الدُّنيا أنَّ اللهَ تَعالى لا يَنالُهُمْ برحمةٍ في الآخِرةِ ، لأنَّهُ لمْ يُعْطِهِمْ في الدُّنيا مِثْلَ ما أعطاكُمْ مِنْ مالٍ وبنينَ وَجاهٍ وسُلْطانٍ ، وهُنا يُنادي مُنادٍ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعالى على الفُقَراءِ فيقولُ لهُمْ : ادخُلوا الجنَّةَ لا خَوْفٌ عليكُم مِمَّا يكونُ في المُستقبَلِ ، ولا أنتُمْ تَحزَنونَ على ما خَلَّفتُموهُ في الدُّنيا .

ثُمَّ تسوقُ لنَا السّورَةُ الكَريمةُ بعدَ ذلكَ مَشْهَداً خِتامياً مِنْ مشاهدِ يومِ القيامةِ ، تدورُ مُحاوراتُهُ بَيْنَ أصحابِ الجنَّةِ وأصحابِ النَّارِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أخذَ أهلُ النَّارِ بعدَ أنْ أحاطَ بِهِمُ العذابُ المُهينُ يَسْتَجْدونَ أهْلَ الجنَّةِ بِذلَّةٍ وانْكِسارٍ ، فيقولونَ لَهُمْ : أفيضوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ ، مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ تَعالى مِنْ طيِّباتِ المأْكَلِ والمَلْبَسِ وسائرِ مُتَعِ أهلِ الجَنَّةِ ، لكيْ نَستعينَ بها على ما نحنُ فيهِ مِنْ سَمومٍ وحَميمٍ ، فيقولونَ لهُم : إنّ اللهَ تعالى منعَ ذلكَ كُلَّهُ عنِ القَوْمِ الجاحِدينَ ، الّذينَ كَفروا باللهِ تَعالى وبِنِعَمِهِ في الدُّنيا ، فهوَ عَلَيْهِمْ حرامٌ . وبعدَ ذلكَ بيَّنَ القرآنُ الكَريمُ مَنْ همْ هؤلاءِ الكافرونَ الّذينَ حُرِموا فَضْلَ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الجاحِدونَ الّذينَ لمْ يَسْعَوْا في طَلَبِ الدِّينِ الحقِّ ، بلْ كانَ دينُهُمُ اتِّباعَ الهَوى والشَّهواتِ ، فكانَ لَهْواً يتلهَّوْنَ بهِ وعَبَثاً يَعبثونَهُ ، وخَدعَتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا بزُخْرُفِها فظنُّوها وَحْدَها الحياةَ ، ونَسوا لِقاءَنا ، فيومَ القيامة نَترُكُهُمْ في النّارِ تَرْكاً كُلِّياً بِسَبَبِ تَرْكِهِمُ الاسْتِعدادَ لهذا اليومِ ، وبسبَبِ جُحودِهِمْ بالآياتِ الواضِحاتِ المُثبِتاتِ للحقِّ ، الّتي جاءَتْهم عنْ طريقِ أنبيائِهِمْ .

ثُمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ مَنزِلةَ القرآنِ الكَريمِ في إثباتِهِ للرِّسالةِ المُحمَديَّةِ عنْ طريقِ الإخبارِ بأَحوالِ الأُمَمِ السَّابقةِ ، وبيانِ سوءِ عاقبةِ مَنْ كذَّبَ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

ولقدْ جِئْنا لهؤلاءِ النَّاسِ على لِسانِكَ يا مُحمَّدُ ﷺ بكتابٍ عظيمِ الشَّأْنِ كاملِ البيانِ ، فصَّلْنا آياتِهِ تَفْصيلاً حَكيماً ، وبيَّنَّا فيهِ ما هُم في حاجةٍ إليهِ مِنْ أُمورِ الدُّنيا والآخِرَةِ بياناً شافياً يُؤَدِّي إلى سَعادتِهِمْ مَتى اتَّبعوهُ ، واهتَدوْا بهَدْيِهِ .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

إنَّهم لا يُؤْمِنونَ بهِ ، ولا ينتَظِرونَ إلاّ المآلَ الّذي بيَّنَهُ اللهُ تَعالى لِمَنْ يَكْفُرُ بهِ ، ويومَ يأتِي هذا المآلُ ، وهُوَ يومُ القيامةِ ، حيثُ يقفُ النَّاسُ فيهِ أمامَ خالِقِهِمْ سُبْحانَهُ وتَعالى للحسابِ ، يقولُ الّذينَ تَركوا أوامِرَهُ وبيِّناتِهِ ، وغَفِلوا عنْ وجوبِ الإيمانِ بهِ ، مُعْتَرِفينَ بذنوبِهِمْ عندَما تَكشَّفَتْ لهمُ الحقائِقُ : قدْ جاءَتِ الرُّسلُ مِنْ عندِ خالِقِنا وربِّنا ، داعينَ إلى الحقِّ الّذي أُرسِلوا بهِ ، فكَفَرْنا بهِ ، ويَسألونَ : هلْ لهُم شفعاءُ يشفَعونَ لهُم ؟ فلا يجدونَ ، أوْ هَلْ يُردُّونَ إلى الدُّنيا ليعمَلوا صالحاً ؟ فَلا يُجابونَ ، ثُمَّ تُبيِّنُ نِهايَتَهُمْ : قَدْ خَسِرَ هؤلاءِ الّذينَ اتَّخذوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً ، خَسِروا أنفُسَهُمْ بِسَبَبِ إشْراكِهِمْ باللهِ تَعالى ، وذَهبَ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرونَهُ في الدُّنيا مِنْ أنَّ أصْنامَهُم سَتَشْفعُ لهمُ يومَ القيامةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الاسْتِكْبارُ في الدُّنيا طريقٌ إلى جهنَّمَ ، والمُسْتَكْبِرونَ لا يَنتَفِعونَ بِما جعلَهُمْ يَسْتَكْبِرونَ .

٢ـ المُسْتَضْعَفونَ لا يَضرُّهُمْ ما هُمْ فيهِ ما دامَ مصيرُهُمْ إلى رضوانِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِم .

٣ـ الكفَّارُ يَتمنَوْنَ في النَّارِ أيَّ شيءٍ مِنْ فِضْلِ اللهِ تَعالى على أهلِ الجنَّةِ ، لكنَّهُ مُحرَّمٌ عليْهِم .

٤ـ لا ينتَفِعُ أحدٌ بشيءٍ يومَ القيامةِ إلاَّ إذا كانَ مِنْ رضوانِ اللهِ تَعالى .

٥ـ الكافرُ يَتمنَّى الرُّجوعَ إلى الدُّنيا ليعملَ صالِحاً ، ولكنْ هيهاتَ .

٦ـ الأصنامُ والآلِهةُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى لا تزيدُ الكافِرينَ عندَ اللهِ تَعالى إلاّ حَسْرَةً .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أَفيضوا عَليْنا ، غرَّتهُمُ الحياةُ ، ننسَاهُم ، تأويلَهُ ، يَفْتَرونَ .

٢ـ بيِّنْ غايةَ نداءِ أهلِ الأعرافِ للمُسْتَكبِرينَ في الدُّنيا .

٣ـ ما الغايةُ مِنْ نِداءِ أهلِ النَّارِ لأهلِ الجنَّةِ ؟

٤ـ ما الهَدَفُ مِنْ نُزولِ القرآنِ الكَريمِ حَسَبَ ما بيَّنَتْهُ آياتُ هذا الدّرْسِ ؟

٥ـ بعدَ أنْ يُحِقَّ اللهُ الحقَّ يتمنَّى الكافِرونَ شيئَيْنِ اثنينِ ، اذكرْهُما .

٦ـ ما نتيجةُ اتِّخاذِ الآلِهةِ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خواتيمَ سورةِ المُطفِّفينَ الّتي تَتحدَّثُ عنِ المجرِمينَ وسُخريتِهِمْ مِنَ المؤمنينَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الإسراءِ الّتي تُبيِّنُ أنَّ في القرآنِ شِفاءً ورحمةً .

الدَّرْسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يُغشي اللَّيلَ النهارَ : يُغطِّي النّهارَ باللّيلِ فيذهبُ ضوؤُهُ .

يَطلبُهُ حَثيثاً : يَطلُبُ اللّيلُ النّهارَ سَريعاً .

لهُ الخَلْقُ : إيجادُ جميعِ الأشياءِ مِنَ العَدَمِ .

الأمرُ : التَّدبيرُ .

حَثيثاً : مِنْ غيرِ فُتورٍ .

تَضَرُّعاً : مُظْهِرينَ الضَّراعةَ والذِّلَّةَ والاسْتِكانَةَ والخُشوعَ .

رحمةَ اللهِ : إحسانَهُ وإنعامَهُ أو ثوابَهُ .

بُشْراً : مُبَشِّراتٍ برحمتِه .

أقلَّتْ سحاباً : حملَتْهُ ورفعَتْهُ .

ثِقالاً : مُثقلةً بِحَمْلِ الماءِ .

لبلدٍ ميّتٍ	مُجْدِبٍ لا ماءَ فيهِ ولا نباتَ .
نَكِداً	عَسِراً ، أو قليلاً لا خيرَ فيهِ .
نُصَرِّفُ الآياتِ	نأتي بِها بأساليبَ مُتنوِّعةٍ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى الحوارَ الّذي دارَ بَيْنَ أهلِ الأعرافِ وأهلِ النّارِ ، وبيَّنَ سُبْحانَهُ منزلةَ القرآنِ الكَريمِ ، أخذَ سُبْحانَهُ في بيانِ بدائعَ مِنْ صُنْعِهِ وجليلِ قُدرتِهِ ، لبيانِ أنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى المعبودُ بحقٍّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥٤) ﴾ .

إنَّ ربَّكُمْ هوَ اللهُ الّذي يَدعوكُمْ رسلُهُ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ للإيمانِ بهِ وعبادَتهِ ، هُوَ سُبْحانَهُ خالِقُ الكونِ ومُبدِعُهُ ، خَلقَ السّماواتِ الأرضَ في ستَّةِ أيامٍ ، اللهُ وَحْدَهُ أعلمُ بها ، ثُمَّ استَوى على العَرْشِ فظهَرتْ قُدرَتُهُ وسُلطانُهُ الكاملُ وقَهْرُه في مَخلوقاتِهِ ، وهُو سُبْحانَهُ الّذي يجعلُ اللّيلَ يَستُرُ بظلامِهِ النَّهارَ ، ويَعقبُ اللّيلَ النَّهارُ بانتظامٍ وتَعاقُبٍ مُسْتَمِرٍّ كأنَّهُ يَطلبُهُ ، وخَلَقَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ ، وهيَ خاضعةٌ لَهُ سُبْحانَهُ مُسَيَّراتٌ بأمْرِهِ ، وأنَّه سُبْحانَهُ لهُ وَحْدَهُ الخَلْقُ والأمرُ المُطاعُ فيها ، تعالَتْ بركاتُهُ وكَثُرَ خَيْرُهُ ، وهوَ ربُّ العالَمينَ ورازِقُهُمْ ومُدَبِّرُهُمْ .

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾

إذا كانَ اللهُ تَعالى ربُّكُمْ قدْ أنشأَ الكَوْنَ وَحْدَهُ ، فادْعوهُ بالعبادةِ وغيرِها مُعلنينَ الدُّعاءَ مُتذلِّلينَ خاضِعينَ وجاهِرينَ أوْ غيرَ جاهِرينَ ، ولا تعتَدوا بإشْراكِ غَيْرِهِ ، أو بِظُلْمِ أحَدٍ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ لا يُحِبُّ المُعتَدينَ .

وإنّما أمرَ اللهُ تَعالى عِبادَهُ بالإكثارِ مِنَ الدُّعاءِ في ضَراعةٍ وإسْرارٍ ، لأنَّ الدُّعاءَ ما هُوَ إلاَّ اتّجاهٌ إلى اللهِ بقلبٍ سليمٍ ، واستِعانةٌ بِهِ بإخلاصٍ ويقينٍ ، لكيْ يَدْفعَ المَكْروهَ ويَجْلِبَ الخَيْرَ ، ويُعينَ على نوائبِ الدَّهرِ ، ولا شَكَّ في أنَّ الإنسانَ في هذهِ الحالةِ يكونُ في أَسْمى الصَّفاءِ الرُّوحيِّ والنَّقاءِ النَّفسيِّ ، ويكونُ كذلكَ مؤدِّياً لأَشْرَفِ ألوانِ العبادةِ والخُضوعِ للهِ تَعالى الواحدِ القهَّارِ ، مُعتَرِفاً لِنَفسِه بالعَجْزِ والنَّقصِ ولربِّهِ بالقُدرةِ والكَمالِ .

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

ولاَ تُفسِدوا في الأرضِ الصَّالحةِ بإشاعةِ المعاصي والظُّلمِ والاعتداءِ ، وادْعوهُ سُبْحانَهُ خائفينَ مِنْ عقابِهِ طائِعينَ لهُ طامِعينَ في ثوابِهِ ، وإنَّ رحمتَهُ سُبْحانَهُ قريبةٌ مِنْ كلِّ مُحسنٍ ، وهِيَ مُحقَّقةٌ .

بعدَ ذلكَ تحدَّثَ الخالقُ سُبْحانَهُ عنْ بعضِ مظاهِرِ رحمتِهِ الّتي تتجلّى في إرسالِ الرِّياحِ وإنْزالِ المطرِ ، وعنْ بعضِ مَظاهِرِ قُدرتِهِ التي تتجلَّى في بَعْثِ المَوْتى لِلحسابِ ، وفي هِدايةِ مَنْ يريدُ هِدايتَه ، وإضْلالِ مَنْ يُريدُ ضَلالتَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى وَحْدَهُ هُوَ الّذي يُطلِقُ الرّياحَ مُبَشِّرةً برحمتِهِ مِنَ الأمطارِ الّتي تُنْبِتُ الزَّرْعَ ، وتَسقي الغَرْسَ ، فَتحملُ هذهِ الرّياحُ سحاباً مُحمَّلاً بالماءِ ، يَسوقُهُ اللهُ لبلدٍ لا زَرْعَ فيهِ ، فهوَ كالميِّتِ الّذي فقدَ الحياةَ فينزلُ الماءُ ، فيُنبتُ اللهُ بهِ أنواعاً مِنْ كلِّ الثَّمَراتِ ، وبِمثْلِ ذلكَ الإحياءِ للأرضِ بالإنْباتِ ، يُخرِجُ اللهُ تَعالى الموْتى فَيجعلُهُمْ أحياءً لِيُحاسِبَهُمْ على أعمالِهِمْ ، فيا أيُّها النَّاسُ ، تذكَّرُوا واعْتَبروا بما بيَّنَ اللهُ تَعالى لكُم ، فتذكَّروا قدرةَ اللهِ على البَعْثِ والحسابِ .

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

إنَّ الأرضَ الكَريمةَ التُّرْبةِ يَخرجُ نباتُها وافياً حَسَناً غزيرَ النَّفعِ بمشيئةِ اللهِ تَعالى وتَيْسيرِه ، والّذي خَبُثَ مِنَ الأرضِ كالسَّبْخَةِ منها لا يخرجُ نَباتُه إلاّ قليلاً عديمَ الفائِدةِ . وقَدْ ضربَ اللهُ تَعالى مَثَلَيْنِ ؛ واحدٌ للمؤْمِنِ وآخرُ للكافرِ ، فالنّاسُ في الفَهْمِ والإدراكِ كالأرضِ ، مِنها طيبةٌ طاهِرةُ المعدنِ ومِنْها خبيثةُ التُربةِ .

فالأوّلُ : مَثَلٌ ضربَهُ اللهُ تَعالى للمُؤْمِنِ ، حيث يقولُ : هوُ طيِّبٌ وعَملُهُ طيِّبٌ ، والثّاني : مَثَلُ الكافِرِ حيثُ يقولُ : هُوَ خبيثٌ وعَملُهُ خبيثٌ ، وفيهما بيانُ أنَّ القرآنَ يُثْمِرُ في القلوبِ الّتي تُشبهُ الأرضَ الطَّيِّبَةَ التّربةِ ، ولا يُثْمِرُ في القلوبِ الّتي تُشبهُ الأرضَ الرَّديئةَ السَّبْخةَ . وقريبٌ مِنْ هذا المَعنى ما جاءَ عنِ النَّبيِّ ﷺ : (مَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ بهِ مِنَ الهُدى والعلمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً ، فكانَتْ منها نقيَّةٌ قبلَتِ الماءَ ، فأنبَتَتِ الكلأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكانتْ مِنها أجادِبُ أمْسَكْنَ الماءَ فنفَعَ اللهُ بِها النَّاسَ فَشَربوا وسقَوْا وزَرعوا ، وأصابَ مِنْها طائفةً أُخرى ، إنّما هِيَ قيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً ، فذلكَ مَثَلُ مَنْ فقِهَ في دينِ اللهِ تَعالى وَنَفعَهُ ما بَعَثني اللهُ بِهِ فعَلِمَ

وعلَّمَ ، ومَثَلُ مَنْ لمْ يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ، ولمْ يَقبَلْ هُدى اللهِ الّذي أُرْسِلْتُ بِهِ)[1] .

وقولُهُ تَعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ .

أي مِثلُ ذلكَ التَّصريفِ البديعِ والتَّنويعِ الحكيمِ تصريفُ الآياتِ الدَّالَّةِ على عِلْمِنا وحِكْمَتِنا ورَحْمَتِنا بالإتيانِ بها بأساليبَ مُتنوِّعةٍ ، وكُلُّها جليَّةٌ واضِحةٌ لقومٍ يشكُرونَ نِعَمَنا ، باسْتِعمالِها فيما خُلِقتْ لَهُ ، فَيستحقُّونَ مزيداً منْها ، ويُجْزَوْنَ خَيْرَ الجَزاءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بيانُ نِعَمِ اللهِ تَعالى وفَضْلِهِ على عبادِهِ .

٢ـ المؤمنُ ذو القلبِ الطَّيِّبِ هوُ المُنْتَفِعُ بالقرآنِ الكَريمِ .

٣ـ تنويعُ الآياتِ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى الكونيَّةِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يُغشي الليلَ النَّهارَ ، يَطلبُهُ حثيثاً ، تَضرُّعاً ، نَكِداً ، نُصَرِّفُ الآياتِ .

٢ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ شيئاً منْ بدائِعِ اللهِ تَعالى ، هاتِ مِثالَيْنِ على ذلكَ .

٣ـ بيِّنْ آدابَ الدُّعاءِ حسَبَ ما وردَ في الآياتِ الكَريمةِ .

٤ـ بيِّنِ المَثَلَ الّذي ضربَهُ اللهُ تَعالى للمؤمِنِ والكافِرِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آيةَ سورةِ البَقَرةِ الّتي تُبيِّنُ أنَّ اللهَ يُجيبُ دعاءَ مَنْ دَعاهُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحجِّ الّتي تُبيِّنُ كيفَ يكونُ إحياءُ المَوْتى .

---

(١) رواه البخاري : ١/ ٤٢ حديث رقم (٧٩) ، ورواه مسلم ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم ٢٢٨٢ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشرونَ

سورَةُ الأَعرافِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **الملأُ** : السّادةُ والرُّؤَساءُ .
- **أَنصَحُ لكُم** : أتحرَّى ما فيهِ صلاحُكُمْ قَوْلاً وفِعْلاً .
- **الفُلْكِ** : السَّفينةِ .
- **عَمينَ** : عُمْيَ القلوبِ عنِ الحقِّ والإيمانِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ ذلكَ البيانِ الرَّائعِ لبدائعِ صنعِ اللهِ وقُدْرتِهِ وَوَحْدانيَّتِهِ سُبْحانَهُ أخذتِ السّورةُ الكَريمةُ تقصُّ علينَا قَصصَ الأُممِ الخاليةِ والقُرى المُهْلَكَةِ ، فتبدأُ بقصّةِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، قالَ تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

لقدْ أرسلْنَا نُوحاً إلى قومِهِ الّذينَ بُعِثَ فِيهِمْ ، وقالَ لهُم مُذَكِّراً لهُم بأنَّه منهُم : يا قومِ اعبدوا اللهَ

تَعالى وَحْدَهُ ، فليسَ لَكُمْ إلهٌ غيرُهُ ، وقالَ لهُم مُشْفِقاً عليْهِم :

إنّي أخافُ عَليكُمْ عذابَ يومِ القيامةِ ، ذلكَ اليومِ العظيمِ الّذي تُبْعَثونَ فيهِ وتُحاسَبونَ . بِهذا الأُسلوبِ المُقْنِعِ المُهذَّبِ دعا نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ إلى عبادَةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ولكنَّ قومَهُ كَغيرِهِمْ مِنَ الكافِرينَ ردّوا عليهِ ردّاً سَيِّئاً وقَبيحاً ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

قالَ أهلُ الصّدارةِ والزَّعامةِ مِنْهُم مُجيبينَ تلكَ الدَّعوةَ إلى عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ والإيمانِ باليومِ الآخرِ : إنَّا لَنراكَ في بُعْدٍ عنِ الحقِّ كبيرٍ . وهكذا حالُ الفُجّارِ ، إنَّما يَرَوْنَ الأبرارَ في ضَلالةٍ ، كقولِه تَعالى فيهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ١١] .

ولكنَّ نوحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يَردُّ على قومِهِ ، ردّاً مُهَذَّباً عَفّاً بأُسلوبٍ سَهْلٍ ، ويَنْفي عنْ نفسه مَقالَةَ السُّوءِ الّتي قالوها ، فيقولُ كَما قالَ اللهُ تَعالى عنهُ :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

قالَ نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نافياً ما رَمَوْهُ بهِ : يَا قوم لستُ ضالاًّ ، وليسَ فيَّ شيءٌ مِنَ الضَّلالِ ، ولكنيِّ رسولٌ مِنَ اللهِ خالقِ العالَمينِ ، ومُنْشِئِهِمْ ، فلا يُمكِنُ أنْ أكونَ بعيداً عنِ الحقِّ .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قالَ نوحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : لقدْ أُرسلْتُ لأُبلِّغَكُمْ ما أرسَلَني اللهُ تَعالى بهِ مِنَ الأَحْكامِ الإلهيَّةِ الّتي يَصْلُحُ بِها الإنسانُ ، وإنّي أُخلِصُ لكُمُ النَّصيحةَ ، وقدْ علَّمني اللهُ تَعالى ما لا تعلَمونَ .

وهكذا شأنُ الرَّسولِ أنْ يكونَ مُبَلِّغاً ناصِحاً عالِماً باللهِ تَعالى ، لا يُدْرِكُه أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعالى في هذِهِ الصِّفاتِ .

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

أتَرْمونَني بالضَّلالةِ والبُعْدِ عنِ الحقِّ ؟ وتَعجَبونَ أنْ يجيءَ إليْكُمْ تذكيرٌ مِنَ اللهِ تَعالى خالِقِكُمْ على لسانِ رجلٍ مِنْ جِنْسِكُمْ تَعرفونَ مَوْلِدَهُ ونشأتَهَ ، جاءَ إليكُم لِيُنذِرَكُمْ مِنَ العقابِ إنْ كذَّبتُم ، وَلِيَدْعوكُمْ إلى الهدايةِ وإصلاحِ القلوبِ وتجنُّبِ غَضَبِ اللهِ تَعالى ، رجاءَ أنْ تكونوا في رحمةِ اللهِ في الدُّنيا والآخرةِ .

هذا هُوَ أُسلوبُ نبيِّ اللهِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في دَعْوتِهِ مَعَ قَوْمِهِ ، ولكنَّهُم كانوا مُجرِمينَ ذوي مَوْقِفٍ قبيحٍ ، ولذلكَ عوقِبوا العِقابَ الّذي يَتلاءَمُ معَ جُرْمِهِم ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

ولكنَّهُمْ معَ تلكَ البيّناتِ لمْ يُؤْمِنْ أكْثَرُهُمْ ، بلْ كذَّبوا رَسولَهُمْ ، فأَنْزلْنا عَليْهِمْ عَذاباً وأغْرَقناهُمْ في الماءِ ، وأنْجَيْنا الّذينَ آمنُوا في الفُلْكِ الّذي صَنعَهُ بهدايةٍ مِنَ اللهِ ، وأَغْرَقْنا الّذينَ كذَّبوا بِما جاءَهُمْ رسولُهُمْ مِنَ الآياتِ الواضِحاتِ ، وكانوا بذلكَ غيرَ مُبصِرينَ الحقَّ عُمْيَ القُلوبِ عنْهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ التَّنبيهُ على أنَّ إعْراضَ النَّاسِ عنْ قَبولِ دلائلِ الحقِّ ليسَ منْ خصائصِ أُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ .

٢ـ عاقبةُ المُنْكِرينَ المُكذِّبينَ هِيَ الخُسْرانُ المُبينُ ، وعاقبةُ المؤمنينَ النَّجاةُ في الدُّنيا والفَوْزُ في الآخرةِ .

٣ـ عِلْيَةُ القَوْمِ هُمْ مَنْ يُكذِّبُ الرُّسُلَ ، ويُعارِضونَهُم خَوْفاً على مَصالِحِهمُ الدُّنيويَّةِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الملأُ ، أَنْصَحُ لكُم ، الفُلْكِ ، عَمينَ .

٢ـ ماذا كانَ عُنوانُ رسالةِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

٣ـ بيِّنْ موقفَ قومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ دعوتِهِ .

٤ـ ماذا نستفيدُ مِنْ قَصصِ السَّابقينَ الّتي ذكرَها القرآنُ الكَريمُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائلَ سورةِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ الأَعرافِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَفاهةٍ : خِفّةِ عَقْلٍ وضَلالةٍ عنِ الحقِّ .

بَسْطَةً : قُوّةً وعِظَمَ أجْسامٍ .

آلاءَ اللهِ : نِعَمَهُ وفَضْلَهُ الكثيرَ .

رِجْسٌ : عذابٌ .

وَقعَ عَلَيْكُمْ : حقَّ عليكُمْ ووجَبَ .

غَضَبٌ : سَخَطٌ وانْتِقامٌ .

قَطَعْنا دابرَ : أهْلَكْناهُم .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ حَكتِ السُّورةُ الكَريمةُ قصّةَ نبيِّ اللهِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أخذَتْ في بيانِ قصّةِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَعَ قومِهِ ، فقالَ تعالى :

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

وكما أرسلْنا نوحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى قومِهِ داعياً إلى التّوحيدِ أرْسَلْنا إلى عادٍ واحداً مِنْهم ، علاقتُهُ بهم علاقةُ الأخِ بأخيهِ وهوَ هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ لهُم : يَا قومِ اعبُدوا اللهَ تَعالى وَحْدَهُ ، ليسَ لكُم إلهٌ غيرُهُ ، وإنَّ ذلكَ سبيلُ الاتِّقاءِ مِنَ الشَّرِّ والعذابِ ، وهوَ الطَّريقُ المُستقيمُ ، فهلاَّ سَلَكْتموهُ لِتَتّقوا الشَّرَّ والفَسادَ ، وكَأنَّما عَظُمَ على هؤلاءِ الطُّغاةِ أنْ يَستنكِرَ عليْهِم هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عبادتَهُمْ لغيرِ اللهِ تَعالى ، فردُّوا عليْهِ ردّاً قَبيحاً حكاهُ القرآنُ الكَريمُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

قالَ الأغنياءُ الّذينَ كَفروا منْ قوم هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ له : إنَّا لَنراكَ فِي خِفَّةِ عَقْلٍ ، راسِخاً فيها حيثُ هجرْتَ دينَ قومِكَ إلى دينٍ آخَرَ ، وإنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبينَ في دعوى التَّبليغِ عنِ اللهِ تَعالى .

وبعدَ هذا الردِّ القَبيحِ منهُم ، أخذَ هودٌ عليْهِ السَّلامُ ـ يُدافِعُ عنْ نفسِهِ ، ويُبيِّنُ لهُم وظيفتَهُ بأُسلوبٍ حَكيمٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قالَ يَا قومِ ليسَ فِي هذهِ الدَّعوةِ أيُّ قَدْرٍ منْ خِفَّةِ العَقْلِ ، وليسَ بي سَفاهةٌ أو حماقةٌ ، حيثُ دعوتُكُمْ إلى دينِ التَّوحيدِ الخالِصِ والعبادةِ الصّادقة ، وأنا رسولُ اللهِ تَعالى إليْكُمْ اختارَني لأداءِ هذهِ المُهمّةِ ، وهوَ ربُّ العالَمينَ الّذي خَلقَكُمْ ورزقَكُمْ ودبَّرَكُمْ .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

إنّي فيما أَفعلُهُ لكُم أُبَلِّغُكُمْ أوامرَ ربِّي ونَواهيهِ ، وهيَ رسالاتُهُ إليْكُم ، وإني أكثرُكُمْ نُصْحاً وإخلاصاً لكُم ، وأنا أمينٌ فيما أُخبرُكُمْ بهِ ، ولستُ مِنَ الكاذِبينَ . وَيَظْهرُ منْ خلالِ هذهِ الآياتِ أنَّ قومَ هودٍ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ تعجَّبوا مِنَ اختصاصِ هودٍ عليْهِ السَّلامُ ـ بالرِّسالةِ كمَا تعجَّبَ قومُ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ ذلكَ ، فأخذَ هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في إزالةِ هذا العَجَبِ مِنْ نُفوسِهِمْ ، فقالَ كَما حكاهُ القرآنُ الكَريمُ عنْهُ :

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَاذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

ثُمَّ قالَ لهُم هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : هلْ أثارَ عَجَبَكُمْ ، واسْتَغْرَبْتُمْ أنْ يجيءَ إليْكُمْ تذكيرٌ بالحقِّ على لسانِ رجلٍ منكُم لِيُنذِرَكُمْ بسوءِ العُقبى ، فيمَا أنتُم عليْهِ ؟ إنَّهُ لا عَجَبَ في الأمرِ ، بلْ هُوَ عَيْنُ الحِكْمةِ .

فقدِ اقْتَضَتْ رحمةُ اللهِ تَعالى أنْ يُرْسِلَ لِعبادِهِ مِنْ بينِهِمْ مَنْ يُرْشِدُهُمْ إلى الطّريقِ القويمِ . ثُمَّ أخذَ نبيُّ اللهِ تَعالى هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في تذكيرِهِمْ بواقِعِهِمُ الّذي يَعيشونَهُ ، لكيْ يَحْمِلَهُمْ على شُكْرِ اللهِ تَعالى ، فقالَ لهُم : اذكُروا بتَأمُّلٍ واعْتبارٍ فَضْلَ اللهِ تَعالى عليْكُم حيثُ جعلَكُم مُسْتَخْلَفينَ في الأرضِ ، وزادكُمْ في المَخلوقاتِ بَسْطَةً ، وَسعةً في المُلْكِ والحَضارةِ ، أو زادكُم بَسْطَةً في قُوَّةِ أبدانِكُمْ وَضَخامةِ أجسامِكُمْ ، ومِنْ حقِّ هذا الاسْتِخلافِ وتِلْكَ القوَّةِ أنْ يُقابَلا بالشُّكْرِ للهِ تَعالى ربِّ العالَمينَ .

ثُمَّ بيّنَ لهُم أنَّ الفلاحَ هُوَ في تذكُّرِ نِعَمِ اللهِ تَعالى وشُكْرِها ، قائلاً لهُم : اذكُروا نِعَمَ اللهِ تَعالى واشْكُروها ، لعلَّكُم تفوزُونَ بما أعدَّهُ اللهُ تَعالى للشَّاكِرينَ مِنْ إدامَتِها عَلَيْهِمْ وزيادتِها ، ولنْ تكونوا كَذلِكَ إلاَّ بعبادَتِكُمْ لَهُ وَحْدَهُ عزَّ وجلَّ .

لقدْ ردَّ هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ على قَوْمِهِ ردّاً مُقْنِعاً حَكيماً ، كانَ المتوقَّعَ مِنْ ورائِهِ أنْ يَسْتَجيبوا لَهُ ، وأَنْ يُقْبِلوا على دَعوتِهِ ، ولكنَّهُمْ لِسوءِ تَفكيرِهِمْ وانْطماسِ بَصيرتِهِمْ ، أخَذَتْهُمُ العِزَّةُ بالإِثْمِ فقالوا لِنبيِّهِمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومُرْشِدِهِمْ كما حكاهُ القرآنُ الكريمُ عنْهم :

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

قالوا لهُ على سبيلِ الإنْكارِ والاسْتِهزاءِ ، أجِئْتَنا يا هودُ لأجلِ أنْ نَعبُدَ اللهَ تعالى وَحْدَهُ ، ونَتْرُكَ ما كانَ يعبدُ آباؤُنا مِنَ الأوثانِ والأصنامِ ، إنّ هذا لنْ يكونَ مِنّا أبداً ، فائْتِنا بما تَعِدُنا مِنَ العذابِ ، إنْ كنتَ مِنَ الصَّادقينَ فيما تُخبِرُ به .

ومُقابلَ هذا التَّحدّي السّافِرِ مِنْ قومِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لهُ ولِدَعوتِه ، ما كانَ مِنْ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلاّ أنْ أجابَهُمْ بالردِّ الحاسمِ ، الّذي تتجلّى فيهِ الشَّجاعةُ التَّامَّةُ والثِّقةُ الكاملةُ بأنَّ اللهَ تَعالى سَيَنصُرُهُ عليْهِمْ ، ويَنتقِمُ منْهُم ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) ﴾ .

إِنَّكُم لِعنادِكُمْ قدْ حقَّ عليْكُمْ عذابُ اللهِ تَعالى ، وسينْزِلُ بِكُمْ لا مَحالةَ ، وسوفَ يَحِلُّ عليْكُم غَضبُهُ ، أتُجادلونَني في أصنامٍ سَمَّيْتُموها أنتُم وآباؤُكُمْ آلِهةً ، وما هِيَ مِنَ الحقائقِ ، بلْ أسماءٌ لا مُؤدَّى لَها ، وما جَعَلَ اللهُ تَعالى مِنْ حُجَّةٍ تدلُّ على أُلوهيَّتِها ، فما كانَ لَها منْ قُوَّةٍ خالِقةٍ مُنْشئةٍ تُسوِّغُ عِبادَتَكُمْ لها ، وإنْ لَجَجْتُم هذِهِ اللَّجاجةَ ، فانتَظِروا عِقابَ اللهِ تَعالى ، وإنّا معكُمْ نَنتظِرُ ما يَنْزِلُ بِكُم بِسَبَبِ شِرْكِكُمْ وتَكذيبِكُمْ .

ولمْ يَطُلِ انتظارُ نبيِّ اللهِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فقدْ حلَّ بِهمُ العِقابُ الّذي تَوعَّدَهُمْ بِهِ سَريعاً ، قالَ تَعالى :

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ .

عندَما وقعَ بِهمْ عذابُ اللهِ ، أَنْجَيْنا هوداً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والّذينَ اتَّبَعُوهُ وآمَنوا بِهِ بِرَحمةٍ عَظيمةٍ منَّا ، لا يقدرُ عليْها غيرُنا ، وأنْزَلْنا بالكافِرينَ ما أبادَهُمْ ولمْ يُبْقِ لهمْ مَنْ بَقيَّةٍ ولا أثرٍ ، وما كانوا داخِلينَ في زُمْرَةِ المؤمِنينَ ، فاستحقُّوا بذلكَ العذابَ المُهلِكَ .

وهكذا طُوِيَتْ صفحةٌ أُخرى مِنْ صَحائفِ المُكذِّبينَ ، وتَحقَّقَ النَّذيرُ في قومِ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كما تَحقَّقَ قبلَ ذلكَ في قومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، وكانتِ النَّجاةُ والفَوْزُ للمُؤْمنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ دعوةُ الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ واحِدَةٌ .

٢ـ الاسْتِهْزاءُ بالأنبياءِ والرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ عاقِبتُهُ وخيمةٌ .

٣ـ الاسْتكبارُ يحولُ بينَ أصحابِهِ ورُؤيةِ الحقِّ .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ تَعالى قائمةٌ بهلاكِ المُكذِّبينَ وإنْجاءِ الرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ والمُؤْمنينَ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

سفاهةٍ ، بسطةً ، آلاءَ اللهِ ، رِجْسٌ ، قَطَعْنا دابرَ .

٢ـ ما الدَّوْرُ الّذي يقومُ بِهِ الملأُ تِجاهَ رِسالاتِ الرُّسلِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ؟

٣ـ بيِّنِ النِّعمَ الّتي دعا هودٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ لِيَذْكُروها حتّى لا يَحِلَّ عَلَيْهِمْ عذابٌ مُقيمٌ .

٤ـ بيِّنْ ما آلَ إليهِ أَمْرُ هودٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ . وما السُنَّةُ الإِلهيَّةُ المُستنبَطَةُ في هذا الجانبِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتُبِ الدَّليلَ على أنَّ دعوةَ الأنبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ واحِدةٌ .

٢ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تدلُّ على أنَّ النِّعَمَ تدومُ بِشُكْرِ اللهِ تَعالى .

٣ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحاقَّةِ الّتي تُبيِّنُ عذابَ قومِ هودٍ .

٤ـ باستخدامِ المعجمِ المفهرسِ ابْحَثْ عنْ كلمةٍ في القرآنِ الكَريمِ تُكْتَبُ بالصّادِ وتلفظُ صادُها سيناً ، واكْتُبِ الآيةَ والسورةَ الّتي ورَدَتْ فيها .

تَعَلَّمْ :

تُلْفَظُ كلمةُ (بصطةً) هكذا : (بسْطَةً) بالسّينِ وليسَ بالصَّادِ ، انظرِ المُصحَفَ تجدْ ما يدلُّ على ذلكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشرونَ

سورَةُ الأَعرافِ ـ القِسْمُ الثّانِي عَشَرَ

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ناقةُ اللهِ : ناقةٌ خَلَقَها اللهُ تَعالى مِنْ صَخْرٍ لا منْ أَبَوَيْنِ ، لِتكونَ مُعْجِزةً لسيِّدنا صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

آيةً : مُعْجزَةً دالّةً على صِدْقِ النَّبيِّ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

ذَروها : اتْرُكوها وشأْنَها .

بَوّأَكُمْ : أَسْكَنكُمْ وأنزَلَكُمْ .

في الأرضِ : هِيَ أرضُ الحِجْرِ بينَ الحجازِ والشّامِ .

آلاءَ اللهِ : نِعمَهُ وإحْسانَهُ .

لا تَعْثَوْا : لا تُفسِدوا .

عَتَوْا	اسْتَكْبَروا .
الرَّجفةُ	الزَّلزلةُ الشَّديدةُ أو الصَّيْحةُ .
جاثِمينَ	هامِدينَ موتَى لا حِراكَ بِهم .

التَّفسيرُ :

ما زالتِ السّورةُ الكَريمةُ تَتْلو عَلَيْنا قَصصَ الأُممِ الغابرةِ المُهْلَكَةِ بِسَببِ تَكْذيبِها لِرُسلِ اللهِ . وهُنا تَقُصُّ عَلَيْنَا السّورةُ الكَريمةُ قِصَّةَ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ قومِهِ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وأرْسَلْنا إلى ثَمودَ أخاهُمْ صالِحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي يُشارِكُهُمْ في النَّسَبِ والوطنِ ، وكانَتْ دَعوتُهُ كدَعوةِ الرُّسُلِ قَبْلَهُ وبعدَهُ ، فقالَ لقومِهِ : يَا قومِ ، أخْلِصوا العبادَةَ للهِ وَحْدَهُ ، ما لكُمْ مِنْ إلهٍ غيرُهُ ، وقدْ جاءتْكُمْ حُجَّةٌ ودَليلٌ على رِسالَتي منْ ربِّكمْ هِي ناقةٌ ذاتُ خَلْقٍ اختصَّتْ بهِ ، فيها الحُجَّةُ ، وهِيَ ناقةُ اللهِ تَعالى ، فاترُكوها حُرّةً طَليقةً تأْكلُ في أرضِ اللهِ الّتي لا يَمْلكُها أحدٌ سِواهُ ، ولا تَعْتَدوا عَليْها بأيِّ لَوْنٍ مِنَ الاعتداءِ ، لأَنّكُم إنْ فعلتُمْ ذلكَ نالكُمْ عذابٌ شديدٌ .

وبعدَ أنْ بيّنَ لهُم صالحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وظيفَتَهُ ، وكَشَفَ لهُم عنْ مُعْجزَتِهِ ، وأنذرَهُمْ بسوءِ العاقبةِ إذا خالَفوا أمْرَهُ ، أخذَ في تذكيرِهم بِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَليْهِمْ وبِمَصائِرِ الماضينَ قَبْلَهُمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وتَذكَّروا أنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَكُمْ وارثينَ لأرضِ عادٍ ، أنْزَلَكُمْ في الحِجْرِ ـ المكانِ الّذي سَكنوا فيهِ ـ وجَعلَ لكُمْ مَنازلَ طيّبةً تتّخذونَ مِنَ السُّهولِ قُصوراً فَخْمَةً ، وتَنْحتونَ الجبالَ فتجْعَلونَ منها بُيوتاً ، فاذْكُروا نِعَمَ اللهِ تعالى إذْ مكَّنكُمْ مِنَ الأرضِ ذلكَ التَّمكينَ ، ولا تَعْثَوْا في الأرضِ فتكونوا مُفسِدينَ بعدَ هذهِ النِّعمِ والتَّمْكينِ .

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

قالَ المُتْرَفونَ المُستكبرونَ مِنْ قَوْمِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ للمُؤمنينَ المُسْتَضعَفينَ الَّذينَ هَداهُمُ اللهُ تَعالى للحقِّ ، أتعلَمونَ أنَّ صالحاً مُرْسَلٌ مِنْ ربِّهِ إليْكُمْ لعبادتِهِ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ؟ وهذا سؤالٌ قُصِدَ منهُ الاسْتِهزاءُ بالمُؤْمنينَ ، وتَهديدُهُمْ ، ذلك أنَّهم يَعْلَمونَ أنَّ المُؤْمنينَ يَعْلَمونَ أنَّ صالِحاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ رسولُ اللهِ تَعالى إليْهِم جَميعاً ، ولِهذا كانَ جوابُ المؤمنينَ دالاً على شَجاعتِهِمْ في الحقِّ ، وعلى قُوَّةِ إيمانِهِمْ وسَلامةِ يَقينِهِم إذْ قالوا في مُسارَعةٍ منهُم إلى إحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطِلِ : إنَّا بما أُرسِلَ بِهِ مُؤْمنونَ ، تَنبيهاً عَلى أنّ أَمْرَ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الوضوحِ بحيثُ لا ينْبَغِي لعاقلٍ أنْ يسألَ عَنْهُ ، وإنَّما الجديرُ بالسُّؤالِ عنْهُ هُوَ الإيمانُ بما جاءَ بهِ هذا الرَّسولُ الكَريمُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قالَ المُسْتَكْبِرونَ ردّاً على الفُقراءِ المُؤْمنينَ : إنَّا بما آمنتُمْ بِهِ كافِرونَ ، ولمْ يقولوا إنَّا بمَا أُرْسِلَ بِهِ كافِرونَ ، إظهاراً لِمُخالَفَتِهِمْ إيَّاهُم ، ورَدّاً على مقالَتِهِمْ : (إنّا بما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمنونَ) ولَمْ يَكْتَفِ هؤلاءِ المُسْتَكْبِرونَ بهذا الرَدَّ القبيحِ ، وإنَّما أَتْبَعوهُ بِفِعْلٍ أقبحَ منهُ ، وذلكَ باسْتهزائِهِمْ واسْتِخْفافِهِمْ بِمُعْجِزَةِ هذا النَّبيِّ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ سُبْحانَهُ حاكياً عنهُم ما فَعلوهُ :

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

وَلَجَّ العِنادُ بأُولئِكَ المُسْتَكْبرينَ ، فتحدَّوا اللهَ تَعالى ورسولَهُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وذَبَحوا النَّاقةَ ، وتَجاوزوا الحَدَّ في اسْتِكبارِهِمْ ، وأعْرَضوا عنْ أمرِ ربِّهم تَعالى ، وقالوا مُسْتَخفِّينَ ومُتَحدِّينَ : يا صالحُ ، هَكذا باسمِه المُجرَّدِ ، تَهْويناً لِشأنِهِ ، وتَعريضاً بما يظنُّونَ مِنْ عَجْزِهِ ، وقالوا لَهُ على سبيلِ تَعَجُّلِ العذابِ الّذي توعَّدَهُمْ بهِ : ائْتِنا بما توعَّدْتَنا بهِ إنْ كنتَ صادِقاً في رسالَتِكَ . ولقدْ كانَ ردُّ اللهِ تَعالى عليْهِم وعلى تبجُّحِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ سريعاً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

فأخذَتْ أُولئكَ المُسْتَكْبرينَ الزَّلزلةُ الشَّديدةُ ، فَأَهلكَتْهُمْ ، فأَصْبَحوا في بِلادِهِمْ ومَساكِنِهِمْ باركينَ على الرُّكَبِ ، ساقِطينَ على وُجوهِهِمْ ، هامِدينَ لا يتحرَّكونَ ، وما ظَلَمَهُمُ اللهُ تَعالى ولكنْ كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ .

ويَتركُ القرآنُ الكَريمُ هؤلاءِ المُسْتَكبِرينَ وما حلَّ بِهمْ ، لِيُحدِّثَنا عنْ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي كذَّبوهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

فأعْرَضَ عنهُم نبيُّهُمْ صالحٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ونَفَضَ يَدَيْهِ منهُم ، وتَرَكَهُمْ لِلمصيرِ الّذي جلَبوهُ على أنْفُسِهِمْ ، وأخذَ يقولُ مُقيماً عَليهِمُ الحُجَّةَ أنَّهُ أبْلَغَهمْ دينَ اللهِ : يَا قومِ لقدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالةَ ربِّي كامِلةً غيرَ مَنْقوصةٍ ، ونَصحْتُ لكُم بالتَّرغيبِ تارةً وبالتَّرْهيبِ أُخرَى ، ولكِنْ كانَ شأنُكُمُ الاسْتِمرارَ على بُغْضِ النَّاصِحينَ وعَداوتِهِمْ .

وهَكذا طُوِيَتْ صَفحةٌ أُخرى مِنْ صحائِفِ المُكَذِّبينَ ، وحَلَّتِ العُقوبةُ بمنْ كانوا يَتعجَّلونَها ويَستهزِئونَ بِها .

دُروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ ـ نبيُّ اللهِ صالحٌ عليْهِ السَّلامُ ، على منهجِ الأَنبياءِ الّذينَ قَبْلَهُ .

٢ ـ النَّاقةُ المُخْرَجَةُ مِنَ الصَّخرِ هيَ مُعْجِزَةُ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٣ ـ كلُّ قومٍ جاءَتْهُمْ مُعجِزَةُ نبيٍّ طلَبوها ثُمَّ كفَروا بِها عاجَلَهُم اللهُ تَعالى بالعُقوبةِ .

٤ ـ عذابُ اللهِ تَعالى إنْ وقعَ كانَ مُؤْلِماً ، واللهُ يُمهِلُ ولا يُهْمِلُ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ ـ هاتِ معانيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

ناقةُ اللهِ ، آيةً ، بوَّأَكُم ، لا تعثَوْا ، الرَّجفةُ ، جاثِمينَ .

٢ ـ بيِّنْ مُعجِزَةَ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٣ ـ وضِّحْ سُنَّةَ اللهِ تَعالى في المُكذِّبينَ بِمُعجِزاتِ الأنبياءِ الّتي طلَبوها مِنْهُم دليلاً على صِدْقِهِم .

٤ـ ماذا كانَتْ عاقِبةُ قومِ صالحٍ ؟ ولِماذا ؟

٥ـ كيفَ تُدَلِّلُ على رَحْمَةِ نبيِّ اللهِ صالحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بقومِه ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك ما امتازَتْ بِهِ النّاقةُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خواتيمَ سورةِ الشّمسِ الّتي تُبيِّنُ أمْرَ ثمودَ معَ نبيّهِمْ ـ عليهِ السَّلامُ ـ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- الفاحِشةَ : اللُّواطَ .
- مُسرِفونَ : مُتَجاوِزو الحدِّ الإلهيِّ .
- قريَتِكُمْ : هي سَدومُ ، وتقعُ جنوبَ البحرِ الميِّتِ باتِّجاهِ مَعانَ .
- يَتطهَّرونَ : يترفَّعونَ عنِ الفاحِشَةِ ، ولا يَفْعَلونَ مِثْلَ قومِهِمْ .
- الغَابرين : المُهْلَكينَ .

التَّفسيرُ :

ما زالتِ السُّورَةُ الكَريمةُ توالي ذِكْرَ قَصصِ الأنبياءِ ـ عَليهِمُ السَّلامُ ـ . وهنا تُحدِّثُنا السّورَةُ الكَريمةُ عنْ قِصَّةِ نَبيِّ اللهِ لوطٍ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ولقدْ أَرْسَلْنا لوطاً عليْهِ السَّلامُ إلى قومِهِ ، يَدعوهُمْ إلى التَّوحيدِ ، ويُنبِّهُهُمْ إلى وُجوبِ التَّخلّي عنْ أَقبحِ جريمةٍ يفْعَلونَها قائلاً لهم : أَتأْتونَ تِلكَ الفِعْلَةَ الّتي بلغَتْ نِهايَتَها في القُبْحِ والفُحْشِ ،

والّتي تجاوزَتِ الحدَّ في الخُروجِ على الفِطْرةِ ، وقدِ ابْتدعْتُمْ تِلكَ الفاحِشةَ بِشُذوذِكُمْ ، فلَمْ يَسْبِقْكُم بها أحدٌ مِنَ النَّاسِ .

ثُمَّ أضافَ نبيُّ اللهِ تَعالى لوطٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إنْكاراً آخرَ وتَوْبيخاً أشدَّ ، فقالَ تعالى :

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

إنَّ الفاحِشةَ الّتي تَأْتونَها هِيَ أنّكمْ أيُّها القومُ المَمْسوخو الطّبائِعِ تَأْتون الرِّجالَ ، ولا حاملَ لكُمْ على ذلكَ إلاّ مُجرّدُ الشّهوةِ الخَبيثةِ القَذرَةِ ، أنتُم شأنُكُمُ الإسْرافُ ، ولذلكَ خرجتُمْ على الفِطْرةِ ، وفَعَلْتُمْ ما لمْ يَفْعلْهُ الحيوانُ .

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وما كانَ جوابُ الطُّغاةِ المُسْتَكْبِرينَ على نَصائحِ نبيِّهِم لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلاّ أنْ قالَ بعضُهم لبعضٍ أَخْرِجوا لوطاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المؤمِنينَ مِنْ قَريتِكُمْ الّتي اسْتَوْطَنْتُموها ، وعِشْتُم فيها ، ثُمَّ قالوا : إنَّ لوطاً وأتْباعَهُ أُناسٌ يترفَّعون عَنْ إتيانِ الرِّجالِ وعَنْ كلِّ عَمَلٍ مِنْ أعمالِنا ولا يَرَوْنَهُ مُناسِباً لهُم .

وما أعجبَ العُقولَ حينَ تَنْتَكِسُ والأخلاقَ عندَما ترتَكِسُ ، إنّها تَسْتَنْكِفُ أنْ يَبقى معَها الطّهورُ المُتعفِّفُ عنْ الفُحْشِ ، وتَعْمَلُ على إخْراجِه لِيَبْقى لها المُلوَّثونَ المَمْسوخونَ ، وإنّهُ لَمنطِقٌ يتَفقُ معَ المُنْحَرِفينَ الّذينَ انْحطَّتْ طباعُهُمْ وانقلبَتْ موازينُهُمْ ، وزَيَّنَ لهمُ الشَّيطانُ سوءَ أعمالِهِمْ فرأَوْها حَسَنةً .

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

ولقدْ حَقَّتْ عَليْهِمْ كلمةُ العذابِ ، فأَنْجَيْنا لوطاً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأَهْلَهُ إلاّ امرأتَهُ ، فإنَّنا لمْ نُنْجِها لِخُبْثِها وعدمِ إيمانِها ، وبَقِيَتْ معَ الّذينَ وقعَ عليْهِمْ عذابُ اللهِ تَعالى وسَخَطُهُ .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

وأرسلْنا على قومِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نَوْعاً مِنَ المطرِ العَجيبِ . وقدْ بيَّنَه اللهُ تَعالى في آيةٍ أُخرى بقولِهِ سُبْحانَهُ : ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] أيْ جازيناهُم بالعُقوبةِ الّتي تُناسِبُ شَناعةَ جُرْمِهِمْ ، فإنَّهم لمَّا قَلبوا الأوْضاعَ فأَتوْا الرِّجالَ دونَ النّساءِ ، أهْلكناهُم بالعُقوبةِ الّتي قلبَتْ عليْهِمْ قريتَهُم فجعَلَتْ أعلاها أسْفَلَها ، وأَمطَرنا عليهِمْ حِجارةً مِنْ طينٍ مُتحجِّرٍ .

ثُمَّ اختتمَتِ القِصَّةُ بالدَّعوةِ إلى التَّعقُّلِ والتَّدبُّرِ والاعْتبارِ ، فقالَ تَعالى : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

أي فانْظُرْ أيُّها العاقلُ نَظْرَةَ تَدبُّرٍ واتّعاظٍ في مآلِ أُولئكَ الكافِرينَ المُقترِفينَ لأشْنَعِ الفواحشِ ، واحْذَرْ أنْ تَعمَلَ أعمالَهُمْ حتّى لا يُصيبَكَ ما أصابَهُمْ ، وسِرْ في الطَّريقِ المُستقيمِ لِتَنالَ السَّعادةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ التَّحذيرُ مِنَ ارتكابِ الفواحشِ ، وبخاصّةٍ الّتي تَتنافى والفِطْرةِ الإنسانيّةِ .

٢ـ على الإنسانِ أنْ يُنْكِرَ الفواحِشَ ، لكنْ بالطَّريقةِ الّتي تُبيِّنُ فسادَها .

٣ـ أصحابُ المَعاصي يَقْلِبونَ الحقَّ باطِلاً والباطلَ حقّاً .

٤ـ اللهُ عزَّ وجلَّ إذا أخذَ الظّالِمَ فإنَّ أخْذَهُ أليمٌ شديدٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الفاحِشةَ ، مُسْرِفونَ ، قَرْيَتِكُمْ ، يَتطهَّرونَ ، الغابِرينَ .

٢ـ لقدْ أحْدَثَ قومُ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ حَدَثاً لمْ يسبقْهُمْ إليهِ سابقٌ ، بيِّنْ ذلكَ .

٣ـ بينَّتِ الآياتُ الكَريمةُ طبيعةَ قومِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ونفسيَّتَهُمْ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ لِماذا لمْ تَنْجُ امرأةُ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ العذابِ ؟ وما الّذي نستفيدُهُ مِنْ هذا الأمْرِ ؟

٥ـ بيِّنْ نَوْعَ العذابِ الّذي لَحِقَ بقومِ لوطٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَرَضيْنِ مُعْدِيَيْنِ انتشَرا في هذا الزَّمانِ بسببِ الشُّذوذِ الجنسيِّ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ التَّحريمِ الّتي تُبيِّنُ المَثَلَ الّذي ضَرَبَهُ اللهُ تَعالى للكافِرينَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عشَرَ

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَدْيَنَ : مِنطقةٌ بالقُرْبِ مِنْ معانٍ .

لا تَبْخَسوا : لا تُنْقِصوا .

بَيِّنَةٌ : آيةٌ واضِحةٌ .

صِراطٍ : طريقٍ .

تُوعِدونَ : تُخوِّفونَ وتُهَدِّدونَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى جزاءَ المُكذِّبينَ نَبيَّهُمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ انتقلتِ السُّورةُ الكَريمةُ لِتُحدِّثَنا عنْ قومِ شعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وما أحْدَثوهُ مِنَ الجَرائمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

ولقَدْ أَرسلْنا إلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْباً ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ فقالَ مُنادِياً لهُمْ على مَنْهج جميع الأنبياءِ الّذينَ سَبَقوهُ في أُمَمِهِمْ : يَا قوم اعْبُدوا اللهَ تَعالى وَحْدَهُ ، فليسَ لكُم ولا لي أيُّ إلهٍ غيرُهُ ، قدْ جاءتْكُمُ الحُجَجُ المُبيِّنَةُ للحقِّ مِنْ ربِّكُمْ ، المُثبتَةُ رسالَتي إليْكُم ، وجاءتْكُم رسالةُ ربِّكُمْ بالإصْلاحِ بَيْنَكُمْ والمُعاملةِ العادلةِ ، فَأَوْفوا الكَيْلَ والميزانَ في بَيْعِكُمْ وشِرائِكُمْ ولا تَنقِصوا حُقوقَ النَّاسِ ، ولا تُفسِدوا في الأرضِ الّتي جَعَلَها اللهُ صالِحةً لكُمْ لِتَعيشوا عليْهَا بِأَمانٍ ، ذلكَ خيرٌ لكُم إنْ كنتُمْ تُؤْمِنونَ باللهِ تَعالى وبالحقِّ الواضحِ البَيِّنِ .

ثُمَّ انْتَقَلَ نبيُّ اللهِ شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى نَهْيِهِمْ عنْ رَذائلَ أُخرَى كانوا مُتَلبِّسينَ بِها ، فقالَ كما حكَاهُ القرآنُ الكَريمُ عنهُ :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

ولا تَقْعُدوا بكُلِّ طريقٍ منَ الطُّرُقِ المَسلوكةِ تُهدِّدونَ مَنْ آمنَ بي بالقَتْلِ ، وتُخيفونَهُ بأنواعِ الأذَى وتُلصِقونَ بي وأنا نبيُّكُمُ التُّهمَ الّتي أنا بريءٌ مِنْها ، بأنْ تَقولوا لِمَنْ يُريدُ الإيمانَ برسالَتي ، إنَّ شُعيباً ـ كذَّابٌ وإِنَّهُ يُريدُ أنْ يَفتِنَكُمْ عنْ دينِكُمْ ، وتَصرِفونَ النَّاسَ عَنْ دينِ اللهِ تَعالى وطاعتِهِ ، وتَطْلُبونَ لِطريقِهِ العِوَجَ بإلقاءِ الشُّبَهِ أو بِوَصْفِها بما يُنْقِصُها ، معَ أنَّها هِيَ الطريقُ المُسْتقيمُ الّذي هوَ أبعدُ ما يكونُ عنْ شائبةِ الاعْوِجاجِ .

ثُمَّ إنَّ شُعيباً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ذكَّرهُمْ بنِعَمِ اللهِ تَعالى قائِلاً لَهُمْ : اذْكُروا ذلكَ الّذي كُنتُمْ فيهِ قَليلي العَدَدِ ، فكثَّرَكُمُ اللهُ تَعالى بأنْ جَعَلَكُمْ مَوفوري العَددِ ، وأنْ تُفرِدوهُ وحْدَهُ بالعِبادةِ والطَّاعةِ .

ثُمَّ خوَّفَهُمْ شُعَيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عَواقِبَ الإفْسادِ قائِلاً لهُم : انظُروا نَظَرَ تأمُّلٍ واعْتبارٍ كيفَ كانَتْ عاقِبَةُ المُفْسِدينَ مِنَ الأُممِ الخاليةِ والقُرونِ الماضيةِ ، كقومِ لوطٍ وقومِ صالحٍ وغَيْرِهِمْ ، فَستَرَوْنَ أنَّهم قدْ دُمِّروا تدميراً بِسَببِ إفْسادِهِمْ في الأرضِ وتَكذيبِهِمْ لِرُسلهِمْ ، فاتَّقوا اللهَ تَعالى ولا تُطيعوا أَمْرَ المُفْسِدينَ ، لأنَّ سَيْرَكُمْ على طريقِهِمْ سُيُؤدّي بكُم إلى الدّمارِ . ثُمَّ نصحَ نبيُّ اللهِ شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ بأنْ يَأْخُذوا أنْفُسَهُمْ بشيءٍ مِنَ العَدْلِ وَسَعْةِ الصَّدرِ ، وأنْ يَتْرُكوا أَتباعَهُ

أحراراً في عَقيدتِهِمْ ، حتّى يَحْكُمَ اللهُ تَعالى بينَ الفريقَينِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

وإنْ كانَ بعضُكُمْ قدْ آمنَ بما أرسَلَني اللهُ تَعالى بهِ إليكُمْ مِنَ التّوحيدِ وحُسْنِ الأخلاقِ ، وبعضُكُمْ لمْ يُؤْمِنْ بما أُرْسِلْتُ به ، بلْ أصَرَّ على شرْكِهِ وعِنادِهِ ، فتربَّصوا وانتَظِروا حتّى يَحْكُمَ اللهُ تَعالى بيننا وبَيْنَكُمْ بِحُكْمِهِ العادِلِ الّذي يَتجلّى في نُصْرَةِ المؤمنينَ وإهْلاكِ الظّالمينَ ، وهُوَ سُبْحانَهُ خيرُ الحاكِمينَ .

وإلى هُنا تكونُ السُّورةُ الكَريمةُ قدْ حكَتْ لنا جانِباً مِنَ الحُجَجِ النّاصعةِ ، والنّصائحِ الحكيمةِ والتّوجيهاتِ الرّشيدةِ الّتي وجّهَها شعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى قومِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نبيُّ اللهِ تَعالى شُعيبٌ عليْهِ السَّلامُ ـ يسيرُ على مَنْهَجِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ قَبْلَهُ .

٢ـ النَّقْصُ في الميزانِ وبَخْسُ النَّاسِ أشياءَهُمْ ، مِنَ الجرائمِ الاجتماعيَّةِ الخطيرةِ على أخلاقِ المُجْتَمعِ واقتصادِهِ .

٣ـ الفسادُ في الأَرْضِ بَعْدَ إصْلاحِها مِنْ أَشدِّ أَنواعِ الفَسادِ .

٤ـ تخويفُ النَّاسِ وتهديدُهُمْ جريمةٌ يَجبُ أنْ يُحارِبَها الدُّعاةُ إلى اللهِ تَعالى .

٥ـ تذكيرُ النَّاسِ بماضيهِمْ مِنَ الأُمورِ الّتي تُعينُ على تَهذيبِ سُلوكِهِمْ .

٦ـ ضَرورةُ تذكيرِ النَّاسِ لأَخذِ العِبْرةِ مِنَ الماضينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

لا تَبْخَسوا ، بَيِّنَةٌ ، صِراطٍ ، توعِدونَ .

٢ـ أينَ تقعُ مَدْينُ ؟

٣ـ بَيّنِ الأشياءَ الّتي نهى شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ عنْها .

٤ـ بِماذا ذَكَّرَ شعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قومَهُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائلَ سورةِ المُطفِّفينَ .

* * *

الدَّرْسُ الثامنُ والعِشْرونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لَتعودُنَّ في مِلَّتِنا** : لَتصيرُنَّ إِليها مُرْغَمينَ .
- **ربَّنا افتَحْ** : احْكُمْ واقْضِ وافْصِلْ .
- **الرَّجفةُ** : الزَّلْزلةُ الشَّديدةُ أوِ الصَّيْحةُ .
- **جاثِمينَ** : هامِدينَ ، مَوْتَى لا حَراكَ بهم .
- **آسَى** : أَحْزَنُ حُزْناً شَديداً .

التَّفسيرُ :

المُتدبِّرُ فيما مَضى مِنْ قِصَّةِ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ معَ قومِه ، يرى شُعيباً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يأمرُ بتَوْحيدِ اللهِ تَعالى لأنَّهُ أساسُ العقيدةِ ، ورُكْنُ الدِّينِ الأعْظَمِ ، ثُمَّ يُتبِعُ ذلكَ بِمُعالَجةِ الجرائمِ الّتي كانَتْ مُتَفَشِّيةً فيهِمْ . ولقدْ كانَ مِنَ المُنتظَرِ أنْ يَتقبَّلَ قومُ شُعيبٍ هذهِ المَواعِظَ تقبُّلاً حَسَناً ، وأنْ

يُصَدِّقوهُ فيما يُبلِّغُهُ عنْ ربِّهِ ، ولكنَّ المُسْتَكْبِرينَ منهُم عَموا وصَمّوا عنِ الحقِّ ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

قالَ الأشرافُ المُسْتَكبِرونَ مِنْ قومِ شُعَيْبٍ ـ عليهِ السَّلامُ ـ ردّاً على مَوْعظتِهِ لهُم : واللهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ أنتَ والّذينَ آمَنوا مَعَكَ مِنْ قَريتِنا ، بُغْضاً لكَ ولَهُمْ ، ودَفْعاً لِفِتْنَتِكُمُ المُترتِّبَةِ على مُساكَنَتِنا ومُجاوَرَتِنا ، أو لَتصيرُنَّ في مِلَّتِنا ، وما نؤمنُ بهِ مِنْ تقاليدَ وَرِثْناها عنْ آبائِنا ومِن المُستحيلِ علينا تَرْكُها ، فَعليكَ يا شُعَيْبُ أنتَ ومنْ معكَ أنْ تَختاروا لأنْفُسِكُمْ أحدَ أمرَينِ : الإخْراجَ مِنْ قَرْيتِنا ، أو الصَّيرورةَ إلى مِلَّتِنا والانْضواءَ تَحْتَها . هكذا قالَ المُتْرَفونَ المَغْرورونَ لِشعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأتباعِهِ باسْتِعلاءٍ وغِلْظَةٍ وغَضَبٍ ، ولكنَّ شُعيباً ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قالَ مُعلِناً عَدَمَ قَبولِهِ لهذا العَرْضِ الآثِمِ : أَتُجْبِرونَنا على الصَّيرورةِ في مِلَّتِكُمْ حتّى ولَوْ كُنّا كارِهينَ لها ، لاعتِقادِنا أنَّها باطِلَةٌ وقَبيحَةٌ ومُنافيةٌ للعُقولِ السَّليمةِ والأخْلاقِ المُسْتقيمةِ ؟ لا ، لنْ نصيرَ إليها بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ .

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

وبالَغَ شُعيبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في قَطْعِ طَمَعِهِمْ مِنَ الصَّيرورةِ إلى مِلَّتِهِمْ كما يَطلُبونَ فقالَ : نكونُ قدِ اختلَقْنا على اللهِ تَعالى أشْنَعَ أَنواعِ الكَذِبِ إنْ صِرْنا في مِلَّتِكُمُ الباطِلةِ ، بعدَ إذْ أنْجانا اللهُ تعالى منها بهدايَتِنا إلى الصِّراطِ المُستقيمِ ، ولا يَنْبَغي لنا أنْ نَصيرَ في مِلَّتِكُمُ الباطلةِ بِمَحْضِ اخْتيارِنا ورَغْبَتِنا إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ تعالى صَيْرورَتَنا إلى مِلَّتِكُمْ ، وهَيهاتَ ذلكَ ، لأنَّهُ ربُّنا العليمُ بنا ، فَلا يشاءُ رُجوعَنا إلى باطِلِكُمْ . فهوَ ـ جلَّ شأْنُهُ ـ وَسِعَ كلَّ شيءٍ عِلْماً ، يَهدينا بلُطْفِهِ وحِكْمتِهِ إلى ما يَحْفَظُ عَلَيْنا إيمانَنا ، إليهِ وَحْدَه سَلَّمْنا أمْرَنا معَ قِيامِنا بما أوجبَهُ عَلَيْنا . وبعدَ هذا الإصرارِ على التَّمسُّكِ بالحقِّ ، يَتوجَّهُ إلى اللهِ تعالى بالدُّعاءِ أنْ يُظهِرَ الحقَّ فيقولُ : ربَّنا افْصِلْ بيننا وبينَ قومِنا بالحقِّ الّذي مضَتْ بهِ سُنَّتُكَ في هذا الفصلِ بينَ المُحقِّينَ المُصْلِحينَ وبينَ المُبْطِلينَ ، وأنتَ يا ربَّنا لإحاطةِ عِلْمِكَ أعدلُ الحاكِمينَ وأقْدَرُهُمْ .

ويَظْهَرُ أنَّ الملأَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ يَئِسوا مِنَ اسْتِحالةِ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأتباعِهِ إلى مِلَّتِهِمْ ، فأخذوا النَّاسَ مِنَ السَّيْرِ في طريقِهِ . ويَحكي القرآنُ ذلكَ بأُسلوبٍ حكيمٍ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

قالَ الأشرافُ الكافِرونُ مِنْ قومِ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِغَيْرِهِمْ : إنَّكم إذا اتّبعتُمْ شُعَيباً ـ عَليْهِ

السَّلامُ ـ وصِرتُمْ على مِلَّتِهِ ، أنتُم في هذهِ الحالةِ خاسِرونَ لِشَرَفِكُمْ ومَجْدِكُمْ ، بِسَبَبِ إيثارِكُمْ مِلَّتَهُ على مِلَّةِ آبائِكمْ وأجدادِكُمْ ، وخاسِرونَ لِثَرْوَتِكُمْ وربْحِكُمُ الماديِّ ، لأنَّ اتِّباعَكُمْ لهُ سَيحولُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ التَّطفيفِ في الكَيْلِ والميزانِ ، وهُوَ مَدارُ غِناكُمْ واتِّساعِ أَموالِكُمْ .

وبعدَ هذهِ المُحاوراتِ والمُجادَلاتِ الّتي دارَتْ بينَ شُعَيْبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقومِهِ ، جاءَتِ الخاتِمةُ الّتي حكاها القرآنُ الكريمُ ، قالَ تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

حقَّتْ عليْهِمْ كَلِمةُ العذابِ ، فأصابَهُمُ اللهُ تَعالى بِزَلْزَلَةٍ اضْطربَتْ لها قلوبُهُمْ ، فَصاروا في دارِهِمْ مُنْكَبّينَ على وُجوهِهِم لا حياةَ فِيهِم .

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

هذا شأنُ اللهِ تَعالى معَ الّذينَ كذّبوا شُعَيْباً وهَدَّدوهُ ، وأنذَروهُ بالإخراجِ مِنْ قريتِهِمْ ، وعَمِلوا على رَدِّ دَعوتِهِ . فقدْ هَلَكوا وهَلَكَتْ قَريتُهُمْ كأنَّهُمْ لَمْ يَعيشوا فيها ، وزَعَموا أنَّ مَنْ يَتَّبِعُهُ يكونُ خسِراً ، وأكَّدوا هذا الزَّعْمَ ، ولكنْ كانوا همُ الخاسِرونَ لِسعادتِهِمْ في الدُّنيا والآخرةِ .

وأخيراً تَطوي هذهِ السّورةُ صَفْحَتَهُمْ مُشَيِّعةً إيّاهُمْ بالتَّبْكيتِ والإهْمالِ مِنْ رسولِهِمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وأخيهِمْ في النَّسَبِ ، قالَ تعالى :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

فلمَّا رأى شُعَيْبٌ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ما نَزَلَ بقومِهِ مِنَ الهلاكِ المُدمِّرِ ، أَعْرَضَ عنْهُم وقالَ مبرِّئاً نفسَه مِنَ التَّقصيرِ معهُم : لقدْ أبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ ربِّكُمُ المُفْضِيةِ إلى الإحْسانِ إليكُمْ لَوْ عَمِلتُمْ بها ، وبالَغْتُ في إسْداءِ النُّصحِ لكُم ، والعِظَةِ بما بِهِ تَنْجوْنَ مِنْ عُقوبةِ اللهِ تَعالى ، فكيفَ أحزَنُ الحُزْنَ الشَّديدَ على قوم كافِرينَ ؟ لا يكونُ ذلكَ بعدَما أعْذَرْتُ إليْهِم ، وبَذَلْتُ جُهدي في سبيلِ هِدايَتِهِمْ ونَجاتِهِم ، فَاخْتاروا ما فيهِ هلاكُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمنونَ المُسْتَضعَفونَ مُهدَّدونَ بالإخْراجِ مِنْ ديارِهِمْ ، أوِ القَهْرِ على الكُفْرِ ، ولكنَّهُمْ ثابِتونَ على دينِهِم .

٢ـ المؤمنُ دائماً يَكِلُ أمْرَهُ إلى اللهِ تَعالى في كلِّ حالٍ .

٣ـ الملأُ يُحاوِلونَ إفسادَ النَّاسِ وصَدَّهُمْ .

٤ـ نِقْمَةُ اللهِ تَعالى وعذابُهُ يَحِلُّ بالمُكذِّبينَ ولوْ بعدَ حينٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الرَّجْفَةُ ، جاثِمينَ ، لمْ يَغنَوْا فيْها ، آسَى .

٢ـ بيِّنْ موقفَ الملأِ مِنْ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَا أرادوهُ مِنْه ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومِنَ المُؤْمِنينَ مَعَهُ .

٣ـ بيِّنْ موقفَ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والمُؤْمِنينَ مَعَهُ مِنْ دعوةِ الملأِ .

٤ـ ما السِّلاحُ الأخيرُ الّذي استخدَمَهُ الملأُ بعدَ أنْ يئِسوا مِنْ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومِمَّنْ آمنَ مَعَهُ ؟

٥ـ بِماذا عاقبَ اللهُ تَعالى قومَ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

٦ـ ماذا كانَ موقفُ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ حلَّ العذابُ بقومِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الإسراءِ الّتي تُبيِّنُ متى يتّخِذُ الكافِرونَ المؤمِنينَ أصدقاءَ .

٢ـ صَمِّمْ جدولاً تُبيِّنُ فيهِ أسماءَ الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السّلامُ ـ الّذينَ ذُكِروا في السُّورَةِ ومقابلَ كلٍّ منهمُ ما يَلي :

أـ اسمُ القومِ الّذي بُعِثَ إليْهِم .

ب ـ دعوتُهُ إليْهِمْ .

ج ـ الفاحشةُ الّتي كانَ يفعلُها قومُهُ .

دـ العذابُ الّذي أصابَهُمْ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الضَّرّاءِ	المَرَضِ والآلامِ .
يضَّرَّعونَ	يَتذلَّلونَ ويَخضَعونَ .
عَفَوْا	كَثُروا ونموْا عَدَداً ومالاً .
بَغتةً	فَجأةً .
لَفَتَحْنا عَليْهِمْ	لَيَسَّرْنا عليْهِم ولَوَسَّعْنا عَلَيْهِمْ .
يأتِيَهُمْ بأْسُنا	يَنزِلَ بِهم عذابُنا .
بَياتاً	وقتَ المبيتِ : أي ليلاً .
مَكْرَ اللهِ	عُقوبَتَهُ أو اسْتِدراجَه إيّاهُم .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَتِ السُّورةُ الكَريمةُ قَصصَ بعضِ الأنبياءِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ لِيعتبرَ النّاسُ بأحْوالِهِمْ

وأحوالِ أُمَمِهِمْ ، أَخَذتِ السُّورةُ الكَريمةُ في بيانِ جانِبٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

ذلكَ الّذي قَصصْناهُ عليكَ يا محمَّدُ ﷺ شَأْنُ الرُّسلِ السَّابقينَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ، معَ أقوامِهِمُ الهالِكينَ ، وقدْ جَرَتْ سُنَّتُنا أنَّنا ما أرْسَلْنا في قريةٍ مِنْ نبيٍّ كذّبَهُ أهلُها إلاّ أَخَذْناهُمْ ، وأنْزَلْنا بِهم قبلَ إهْلاكِهِمْ ألواناً مِنَ الشَّدائدِ والمصائِبِ ، كالفقرِ والمرضِ ، لعلَّهم يَنْقادونَ لأمرِ اللهِ تعالى ويَثوبونَ إلى رُشْدِهِمْ ، ويُكثِرونَ مِنَ التَّضرُّعِ إليهِ والاسْتجابةِ لِهَدْيِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ إشارةٌ إجماليّةٌ إلى بيانِ أحوالِ سائرِ الأُممِ ، بعدَ بيانِ أحوالِ الأُممِ الّتي سبقَ الحديثُ عنها في هذهِ السُّورةِ الكَريمةِ ، والمَقصودُ مِنْ هذهِ الآيةِ تحذيرُ كُفّارِ قريشٍ وغَيْرِهِمْ لِيَنْزَجروا عنِ الضَّلالِ والعِنادِ ، ويَسْتَجيبوا للهِ تَعالى ولرسولِه ﷺ .

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ بعدَ أنِ ابتلَيْنا هؤلاءِ الغافِلينَ بالبَأْساءِ والضَّراءِ ، رَفَعْنا ذلكَ عنْهُم وابتلَيْناهُمْ بِضدِّهِ ، بأنْ أعْطَيناهُمْ بَدَلَ المصائبِ نِعَماً ، فإذا الرَّخاءُ يَنْزِلُ بِهم مكانَ الشِّدَّةِ ، واليُسْرُ مكانَ الحَرَجِ ، والعافيةُ بدلَ الضُّرِّ ، والكثرةُ بدلَ القِلَّةِ ، والأمْنُ مَحَلَّ الخَوْفِ ، ولمْ يكنْ مَوْقفُ هؤلاءِ مِنَ ابتلاءِ اللهِ تعالى إيَّاهُم بالشَّدائدِ تارةً وبالنِّعَمِ تارةً أُخرى مَوْقفَ المُعتَبرِ بالأحداثِ ، المُتيقِّظِ بلْ كانَ مَوْقِفُهُمْ يدلُّ على فسادِ فِطْرَتِهِمْ ، وانْحِطاطِ نفوسِهِمْ وعدمِ اتِّعاظِهِمْ بما تَجري بهِ الأقدارُ ، وبما بينَ أيديهِمْ مِنْ سرَّاءَ وضرَّاءَ ، تَحْمِلُ كلَّ عاقلٍ على التَّفكيرِ والاعتبارِ ، بلْ حينَما رأَوا الخَيْراتِ بيْنَ أيديهِمْ ، بعدَ أنْ كانوا في بأساءَ وضَرَّاءَ ، لمْ يَشْكُروا نِعمةَ اللهِ تَعالى ولمْ يَعْتَبِروا ، بلْ قالوا في عنادٍ وجَهْلٍ : قدْ مسَّ آباءَنا مِنْ قَبْلِنا ما يسوءُ وما يَسُرُّ ، وتَناوبَهُمْ ما يَنْفعُ وما يَضرُّ ، ونحنُ مثلُهُمْ يُصيبُنا ما أصابَهُمْ ، وقدْ أخذنَا دَوْرَنا مِنَ الضَّراءِ كما أَخَذوا ، وجاءَ دورُنا في السَّرَّاءِ فَلْنَغْتَنِمْها في إرواءِ شَهواتِنا ، وإشباعِ مُتَعِنا ، فتلكَ عادةُ الزَّمانِ في أبنائِهِ ، ولا داعِيَ لأنْ نَنْظُرَ إلى السَّرَّاءِ والضَّراءِ على أنَّهما نوعٌ مِنَ الابتلاءِ والاختبارِ ، وهذا شأنُ الغافِلينَ الجاهِلينَ ، في كلِّ زمانٍ ومَكانٍ ، ولمْ يُتْرَكْ أُولئكَ الغافِلونَ مِنْ دونِ قِصاصٍ وإنَّما فاجأَتْهُمُ العُقوبةُ الّتي تُناسِبُهُمْ ، فكانَ عاقبةُ بَطَرِهِمْ وأشَرِهِمْ وغَفْلَتِهِمْ أنْ أخذَهُمْ عذابُ اللهِ تَعالى ، فَجأةً مِنْ غيرِ شُعورٍ مِنْهُمْ ، ولا خُطورِ شيءٍ مِنَ المكارهِ ببالِهِمْ ، لأنَّهُمْ ظنُّوا أنَّهم سَيَعيشونَ حياتَهُمْ في نعيمِ الحياةِ ورَغَدِها مِنْ دونِ مُحاسبةٍ على أعمالِهِمُ القَبيحةِ وأقوالِهِمُ الذَّميمةِ .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

ولوَ أنَّ أهلَ تلكَ القُرى آمَنوا بما جاءَ بهِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ، وعَمِلوا بوَصاياهُمْ وابتَعدوا عمَّا حرَّمَهُ اللهُ ، لأعطيناهُمْ برَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأرضِ ، كالمَطَرِ والنَّباتِ والثَّمرِ والأَمْنِ والسَّلامةِ مِنَ الآفاتِ ، ولكنْ جَحَدوا وكذَّبوا الرُّسلَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ فأصَبْناهُم بالعذابِ والهلاكِ ، بِسَبَبِ ما كانوا يَقترِفونَ مِنَ الشِّركِ والمعاصي ، فأخْذُهُمْ بالعُقوبةِ أثَرٌ لازمٌ لِكَسْبهِمُ القبيحِ ، وعِبْرةٌ لأمثالِهِمْ إنْ كانوا يَعْقِلونَ .

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

أَغَفِلَ أهلُ القُرى الّذينَ بلغَتْهُمْ دعوةُ أنبيائِهِمْ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ ولمْ يُؤْمِنوا ، وأَمِنوا أنْ يَأتِيَهُمْ عذابُنا وقتَ بياتِهِمْ وهمْ غارِقونَ في نَوْمِهِمْ ؟!

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

أَغَفِلَ هؤلاءِ وأَمِنوا أنْ يأتِيَهُمُ العَذابُ في ضُحى النَّهارِ وانْبساطِ الشَّمسِ وهُمْ مُنْهَمِكُون فيما لا نَفْعَ فيهِ لهمُ منْ لَعِبٍ ولَهْوٍ وغَفلةٍ .

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

أَغفِلَ هؤلاءِ فَجهِلوا سُنَّةَ اللهِ تَعالى في المُكَذِّبينَ ، فأمِنوا عذابَه ليلاً أوْ نهاراً ؟ يَسوقُهُ اللهُ سُبْحانَهُ بتَدبيرِهِ الّذي لا يَخْفى على النَّاسِ أمْرُهُ ، وأنَّه لا يَجْهَلُ تدبيرَ اللهِ تَعالى وسُنَّتَهُ في عُقوبةِ المُكَذِّبينَ إلاَّ الّذينَ خَسِروا أنْفُسَهُمْ بعدمِ اليَقَظةِ إلى ما فيهِ سعادتُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ النَّتيجةُ الحتميّةُ لِتكذيبِ الرُّسلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ الوقوعُ في العذابِ الدُّنيويِّ ، والأُخْرَوِيِّ .

٢ـ نزولُ العذابِ بالنَّاسِ بِصُوَرٍ مُتنوِّعةٍ لأجْلِ أنْ تتهذَّبَ نُفوسُهُمْ ويَرتدِعوا عَنْ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ .

٣ـ اللهُ تَعالى يَبتلي بالحَسَناتِ كما يَبتلي بالسَّيئاتِ .

٤ـ يَنبغي للإنسانِ أنْ لا يكونَ آمِناً عذابَ اللهِ تَعالى ، والعاقِلُ هو الّذي يكونُ بينَ الخَوْفِ والرَّجاءِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يضَّرَّعونَ ، عَفَوْا ، بَغتةً ، فَتَحْنا عَليْهِمْ ، بَياتاً ، مَكْرَ اللهِ .

٢ـ بيِّنْ عاقبةَ تكذيبِ الرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ .

٣ـ ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ سُنَّةً منْ سُنَنِ اللهِ تَعالى في تَنويعِ العذابِ ، بيّنْ ذلكَ .

٤ـ ما العاقِبةُ الحميدةُ للإيمانِ في الدُّنيا ؟

٥ـ ما الحالةُ الّتي يَنبغي أنْ يكونَ عَليْها المؤمنُ فيما يَخصُّ ابتلاءَ اللهِ تَعالى ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الّتي تُبيِّنُ أنَّ اللهَ تَعالى يَبتلي بالشَّرِّ والخيرِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ السَّجدةِ الّتي تُبيِّنُ أنَّ نزولَ العذابِ لِيرْجعَ النَّاسُ عنْ غِيِّهِم .

* * *

الدَّرْسُ الثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّابِعَ عشَرَ

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نطبَعُ : نَختِمُ .

مِنْ عَهدٍ : مِنْ وفاءٍ بما أوصيْناهُم .

فظلَموا بِها : فكفَروا بالآياتِ .

التَّفسيرُ :

ما تزالُ الآياتُ الكَريمةُ تَتوالى في بيانِ سُنَّةِ اللهِ تَعالى مع المُكَذِّبينَ . وهُنا بدأَتْ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ في بيانِ أنَّ على الأحياءِ الّذينَ يَرِثونَ الأرضَ مِنْ بعدِ أهْلِها ، أنْ يعتَبِروا ويتَّعِظوا ويُحسِنوا القَوْلَ والعملَ ، حتّى يَنْجوا مِنَ العُقوباتِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

أَغابَ عنِ الّذينَ يَخْلُفونَ مَنْ قَبْلَهُم مِنَ الأُممِ ، ولمْ تَتبيَّنْ لهمُ سُنَّةُ اللهِ تَعالى فيمَنْ قبلَهُمْ ، وأنَّ

شَأْنَنا فيهِم كشأنِنا فيمَنْ سَبَقوهُمْ ؟ وهوَ أنَّهم خاضِعونَ لِمشيئتِنا ، لَوْ نشاءُ أنْ نُعذِّبَهُمْ بسببِ ذنوبِهم أصَبْنَاهُم كَما أصَبْنا أمثالَهُم ، ونحنُ نختِمُ على قلوبِهِمْ لِفَرْطِ فسادِها حتّى وصلتْ إلى حالةٍ لا تَقْبَلُ معَها شيئاً مِنَ الهُدى ، فهُمْ بهذا الطَّبْعِ والخَتْمِ لا يَسْمعونَ الحِكَمَ والنَّصائحَ سماعَ تفقُّهٍ واتِّعاظٍ .

ثُمَّ توجَّهتِ السُّورةُ الكَريمةُ بالخِطابِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ لِتُطلِعَهُ على النَّتيجةِ الأخيرةِ لابتلاءِ تلكَ القُرى ، وما تَكشِفُ عنْهُ مِنْ حقائقَ تتعلَّقُ بطبيعةِ الكفرِ وطبيعةِ الإيمانِ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

تلكَ القُرى الّتي بَعُدَ عَهْدُها ، وطالَ الأمَدُ على تاريخِها ، وجَهِلَ قومُكَ أيُّها الرَّسولُ ﷺ أحوالَها وهيَ قُرى قومِ نوحٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وعادٍ وثَمودَ وقومِ شُعيبٍ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ نَقصُّ عليكَ الآنَ بعضَ أخبارِها ممَّا فيهِ عِبْرَةٌ ، ولقدْ جاءَ أهلَ تلكَ القُرى رسلُهُمْ بالبَيِّناتِ الدّالَّةِ على صِدْقِ دَعوتِهِمْ ، فلَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهمْ أنْ يُؤمنوا بعدَ مجيءِ البيِّناتِ لِتَمرُّسِهمْ بالتَّكذيبِ للصَّادِقينَ ، فكذَّبوا رُسَلَهُمْ ، ولم يهتَدوا ، وهَكذا يجعلُ اللهُ تَعالى حِجاباً على قلوبِ الكافِرينَ وعُقولِهِمْ ، فَيَخْفى عليْهِمْ طريقُ الحقِّ ويَبتعِدونَ عنْهُ .

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

وما وَجَدْنا لأكثرِ أُولئكَ الأقوامِ وفاءً بمثياقٍ ممَّا أوْصيناهُمْ بهِ مِنَ الإيمانِ على لِسانِ الرُّسلِ ـ عَليْهِمُ السَّلامُ ـ وعلى ما يَقضي بهِ العَقْلُ والنَّظرُ السَّليمُ ، وإنَّ الشَّأْنَ المُطَّرِدَ فيهم تمكُّنُ أكْثَرِهِمْ مِنَ الفسوقِ والخُروجِ عنْ كلِّ عهدٍ .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

ثُمَّ بَعَثْنا منْ بعدِ أولئكَ الرُّسُلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ ، موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، ومَعهُ دلائِلُنا الّتي تدلُّ على صِدْقِهِ فيما يُبَلِّغُ عنَّا إلى فِرعونَ وقومِهِ ، فبلَّغَهُم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ دعوةَ ربِّهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وأراهُمْ آياتِ اللهِ سُبْحانَهُ الدَّالَّةَ على صدْقِهِ ، فَظَلموا أنْفُسَهُمْ وقَوْمَهُمْ بالكُفْرِ بها ، كِبْراً وجُحوداً ، فاسْتَحقّوا مِنَ اللهِ تَعالى عُقوبةً صارِمةً كانَتْ بها نِهايةُ أمْرِهِمْ . فانْظُرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ إلى نهايةِ المُفْسِدينَ في الأرضِ ، وكيفَ كانَ اللهُ تَعالى لهُم بالمِرْصادِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ على العُقلاءِ أنْ يأخُذوا عِبَراً مِمَّنْ مضَوْا قَبْلَهُمْ .

٢ـ فسادُ المُفْسِدينَ حالَ بينَهُمْ وبَيْنَ تدبُّرِ آياتِ اللهِ تَعالى .

٣ـ منْ رَحْمةِ اللهِ تَعالى بالنَّاسِ أنَّهُ لا يُهلِكُ قوماً إلاّ بَعْدَ أنْ يُعْذِرَ إليْهِمْ بالرِّسالاتِ والبيِّناتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرداتِ ، والتَّراكيبِ التّاليةِ :

نَطْبَعُ ، مِنْ عَهْدٍ ، ظَلَموا بِها .

٢ـ ماذا طلبَ اللهُ تَعالى مِنَ الّذينَ خلَفوا الأُمَمَ الماضِيَةَ ؟

٣ـ لِماذا قَصَّ اللهُ تَعالى على رسولِهِ ﷺ أَنْباءَ المُهلَكينَ ؟

٤ـ ماذا كانتْ أحوالُ الأُممِ الماضِيةِ الّذينَ أهلَكَهُم اللهُ تَعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تُبيِّنُ أنَّ الكافِرينَ لا يُحسِنونَ استخدامَ حواسِّهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ دَليلَيْنِ مُعْجِزَيْنِ جاءَ بِهما موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لقومِهِ كيْ يُؤْمِنوا ويُصدِّقوا رِسالَتَهُ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والثَّلاثونَ

سورةُ الأعرافِ - القِسمُ الثّامنَ عشَرَ

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾

معاني المُفْرَداتِ :

حَقيقٌ : حَريصٌ .

مُبِينٌ : ظاهِرٌ واضِحٌ .

نَزَعَ يَدَهُ : أخْرَجَها .

المَلأُ : أهلُ المشورَةِ والرُّؤساءُ .

حاشِرينَ : جامِعينَ السَّحرةَ ومَنْ يلوذُ بهم .

اسْتَرْهَبُوهُم : خَوَّفوهُمْ تَخويفاً شَديداً .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَ تَعالى سُنَّتَهُ في الأُممِ الَّذينَ أُرسِلَ إليْهِمْ ، وأخْبَرَنا - سُبْحانَهُ - أَنَّهُ بَعثَ مِنْ بعدِ أولئكَ

الرُّسلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ ، موسى ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ إلى فِرعونَ ، بعدَ ذلِكَ شَرَعتِ الآياتُ الكَريمةُ في بيانِ شيءٍ مِنَ التَّفصيلِ لِما حَصَلَ معَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وفرِعونَ ومَلَئِه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

وقالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِفرعونَ : إنّي مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ تَعالى ربِّ العالَمينَ ، ومالكِ أمْرِكُمْ ، لأُبَلِّغَكُمْ دَعْوَتَهُ ، وأدْعوكُمْ إلى شريعَتِه .

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

وإنّي حريصٌ بِمُقْتضى هذهِ الرِّسالةِ أنْ أقولَ الحقَّ على اللهِ تَعالى ، ولا أقولَ سِواهُ ، وقدْ جِئْتُكُمْ بآيةٍ عَظيمةِ الشَّأنِ ظاهِرَةِ الحُجّةِ في بيانِ الحقِّ الّذي جِئْتُ بهِ ، فأَطْلِقْ معيَ بَني إسرائيلَ وأخْرِجْهُمْ مِنْ عُبودِيَّتِكَ وقَهْرِكَ ، ليذْهَبوا معيَ إلى دارٍ غيرِ دارِكَ يَعبُدونَ فيها ربَّهُمْ وربَّكَ . وبعدَ أنْ بيَّنَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِفِرْعونَ طبيعةَ رسالَتِه ، طالَبَهُ برفعِ الظُّلمِ عنِ المَظْلومينَ مِنْ بَني إسرائيلَ .

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قالَ فِرعونُ لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : إنْ كنتَ مُؤَيَّداً بآيةٍ مِنْ عندِ مَنْ أرسلَكَ فَأَظْهِرْها ، إنْ كُنتَ مِنْ أهلِ الصِّدقِ المُلتَزمينَ لقولِ الحقِّ .

﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ ﴾

فلَمْ يلبَثْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ أَلقى عصاهُ الّتي كانتْ بيَمينِه أمامَ فِرْعونَ وقومِهِ ، فإذا هذهِ العَصا تُصبِحُ ثُعباناً ظاهِراً بيِّناً ، يَسْعى مِنْ مكانٍ إلى آخَر في قُوَّةٍ تَدُلُّ على تَمامِ حياتِهِ .

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

وأَخرجَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يدَهُ ، فإذا هِيَ بيضاءُ بياضاً ناصِعاً عَجيباً مُتَلَئْلِئاً خارِقاً للعادةِ ، مِنْ غيرِ أنْ يكونَ بها عِلّةٌ مِنْ مَرَضٍ أوْ غيرِه . وبهذا يكونُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ أتى بالبَيِّنَةِ الّتي تدعو فِرْعونَ وملأَهُ إلى الإيمانِ بِه ، ولكنَّهُمْ لمْ يُؤمِنوا بلِ اسْتَمرّوا في ضَلالِهِمْ ، وحَكى لَنا القرآنُ الكَريمُ أنَّ حاشيةَ فِرعونَ السَّيئةَ ، وأصحابَ الجاهِ ، والغِنى في دَولتِه ، غاظَهُمْ ما جاءَ بِه موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ ﴾

فلمّا أظهرَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ آيةَ اللهِ تَعالى ، ثارتْ نفوسُ بطانَةِ فِرعونَ وعُظماءُ قَوْمه ، فقالَوا تَزَلُّفاً ومُشايَعةً لِفرْعَونَ : إنَّ هذا لَمُخْتَصٌّ في عِلْمِ السِّحْرِ ، وليسَ ذلِكَ بآيةٍ مِنْ آياتِ اللهِ

تَعالى ، ولم يَكْتَفوا بِهذا القَوْلِ الباطِلِ ، بلْ أخَذوا يُثيرونَ النّاسَ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، ويُهوِّلونَ لهمُ الأمْرَ لِيَقِفوا في وَجْهِه ، فقالَ تَعالى مُبيِّناً ذلكَ الأمْرَ :

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

قالَ الملأُ والأشرافُ مِنْ قومِ فِرْعونَ يُخاطِبُ بَعْضَهم بعضاً ويُخاطِبونَ مَنْ حَوْلَهُمْ : إنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ وجَّهَ إرادَتَه لِسَلْبِ مُلْكِكُمْ ، وإخْراجِكُمْ مِنْ أرضِكُمْ بِسِحْرِهِ ، وما ينشأُ عنْهُ مِنَ استحالةِ أفرادِ الشَّعبِ لِيَتَّبعوهُ ، وانْظُروا ماذا تأمُرونَ بِما يكونُ سبيلاً لِلتَّخلُّصِ منْهُ .

﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

قالَ الملأُ مِنْ قومِ فِرْعونَ حينَ استشارَهُمْ ، أوْ هُم بادَروا بهذِهِ المَشورةِ أوَّلاً ، مُخاطِبينَ فِرْعونَ : أخِّرِ الفَصْلَ في أمْرِهِ وأمْرِ أخيهِ ، ولا تَتعجَّلْ بالقَضاءِ في شأنِهِما ، وأَرْسِلْ في مَدائِنِ مُلْكِكَ رِجالاً أوْ جماعاتٍ مِنْ جُنْدِكَ وعُيونِكَ يَجْمَعونَ إليكَ النّاسَ أُولي العِلْمِ بالسِّحرِ ومَنْ يَلوذُ بِهِم .

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾

يأتي هؤلاءِ الّذينَ أَرْسَلْتَهُمْ إلى المدائِنِ بكلِّ عليمٍ بفُنونِ السِّحْرِ ، وهُمْ يَكشِفونَ لكَ حقيقةَ ما جاءَ بِه موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فلا يُفتَتَنُ بِهِ أحَدٌ .

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

وأقبلَ السَّحَرةُ سَريعاً على فِرعونَ بعدَ أنْ أرسَلَ إليهِم ، فقالوا لَهُ بِلُغَةِ المُحترِفِ الّذي مَقْصِدُهُ الأوَّلُ ممّا يَعمَلُهُ الأجرُ والعَطاءُ : إنّ لَنا لأجْراً عظيماً يُكافِىءُ ما نقومُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ عظيمٍ يَتِمُّ به الغَلَبُ على هذا السّاحِرِ العليمِ . فهُم كما يَظهرُ يَسْتَوثِقونَ أوّلاً مِنْ جزالةِ الأَجْرِ وضَخامتِهِ بِما يَتناسبُ معَ ما سَيَعْمَلونَ .

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

قالَ فِرعونُ مُجيباً لَهُم إلى ما طَلبوا : نَعَمْ لكُمْ أجْرٌ ماديٌّ جزيلٌ إذا انْتَصرْتُم عليْهِ ، وفَضْلاً عنْ ذلكَ فأنتُم سَتكونونَ بهذا الانْتِصارِ مِنَ الظّافِرينَ بقُربي وجواري . وهُنا نَرى فِرعونَ يُغريهِم بالأَجْرِ الماديِّ ، ويَعِدُهُمْ بالقُرْبِ المَعنويِّ مِنْ قِبَلِهِ تَشجيعاً لَهُمْ على الإجادةِ ، وهُمْ جميعاً لا يَعْلَمونَ أنَّ المَوْقِفَ ليسَ مَوْقِفَ الاحْتِرافِ والمَهارةِ والتَّضليلِ ، وإنَّما هوَ موقفُ المُعجزةِ والرِّسالةِ ، والاتِّصالِ بالقُوَّةِ الغالبةِ الّتي لا يستطيعُ الوُقوفَ في وَجْهِها السّاحِرونَ ولا المُتَجبِّرونَ وغيرُهُمْ .

وبعدَ أنِ اطْمأنَّ السَّحَرةُ على الأجرِ ، وتطلَّعَتْ نُفوسُهُمْ إليه ، يَحكي لنا القرآنُ الكَريمُ أنَّهم

تَوَجَّهوا إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ يُخاطبونَهُ بِلُغَةِ الواثقِ مِنْ قولِهِ ، المُتَحدّي لِخَصْمِهِ ، فقال سُبْحانَهُ :

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

قالَ السَّحَرَةُ لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : أنتَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أنْ تُلْقِيَ عصاكَ أوّلاً ، وأنْ نُلْقِيَ نحنُ أوّلاً ، وكأنَّهم يَقولونَ لَهُ : وفي كِلتا الحالَتَيْنِ فنحنُ على ثِقَةٍ مِنَ الفَوْزِ والنَّصرِ .

ثمَّ حكَى القرآنُ بعدَ ذلكَ أنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ قدْ طلبَ منهُم أنْ يُلقوا أوّلاً مُسْتَهيناً بتَحدِّيهِمْ لهُ ، غيرَ مُبالٍ بهِمْ ، ولا بِمنْ جَمَعَهُمْ ، لأنَّهُ قدِ اعتمدَ على خالِقِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ فقالَ تعالى مُبَيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

فأجابَهُمْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إجابةَ الواثِقِ بالغَلَبَةِ والظَفَرِ ، مُظْهِراً عدمَ مُبالاتِهِ بِهِمْ : أَلْقوا ما أنتُمْ مُلْقونَ أوّلاً ، فلمّا ألقَى كلُّ واحدٍ منهُم ما كانَ مَعَهُ مِنْ حبالٍ وعِصيٍّ ، خَيَّلوا إلى أبصارِ النّاسِ ، ومَوَّهوا عَليْهِمْ أنَّ ما فَعلوهُ هوَ حقيقةٌ ، وما هوَ خيالٌ ، فهالَ الأمرُ النّاسَ ، وأوْقَعَ في قلوبِهِمُ الرَّهَبَ والرُّعْبَ ، وقدْ جاءَ السَّحَرَةُ النّاسَ بِسِحْرٍ مَظْهَرُهُ كبيرٌ ، وتَأْثيرُهُ في أعيُنِهِمْ عَظيمٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كانَ مؤيَّداً مِنَ اللهِ تَعالى بما يُقوّي شأنَهُ ويُوضِّحُ رِسالَتَهُ .

٢ـ كان بَنو إسرائيلَ في زمانِ فِرعونَ في حالٍ لا يُحسَدونَ عليْها ، وجاءَهم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُنقِذاً .

٣ـ الملأُ العُصاةُ شِرارُ النّاسِ ، الّذينَ يُزيِّنونَ للظَّلَمَةِ الأُمورَ ، ويُدبِّرونَ لهُم ما يَضُرُّ الدُّعاةَ إلى اللهِ تَعالى .

٤ـ أهلُ الباطلِ يُحاوِلونَ دائماً الاسْتِنْصارَ على باطِلِهِمْ بكلِّ ما يَقْدِرونَ عليْهِ .

٥ـ كانَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ واثِقاً مِنْ وَعْدِ اللهِ تَعالى ، وهكذا يَنْبَغي أنْ يكونَ الدُّعاةُ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حَقيقٌ ، نَزَعَ يَدَهُ ، ارْجِهْ ، حاشِرينَ ، اسْتَرْهَبوهُم .

٢ـ بيِّنْ كيفَ بدأَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ دَعوتَهُ إلى فِرعونَ .

٣ـ بيِّنْ موقفَ الملأِ مِنْ دعوةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ .

٤ـ ما موقفُ السَّحَرةِ حينَ جاءوا فِرعونَ ، وماذا كانَ مَطلبُهُمُ الرَّئيسُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آياتِ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ ما دارَ بينَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والسَّحَرةِ عندَ مَجيئِهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةً منْ سورةِ طَه تبيِّنُ شعورَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عِنْدَما ألقَى السَّحَرَةُ حِبالَهُمْ وعِصيَّهُمْ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني والثلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ - القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **تلقَفُ** : تَبتلِعُ بسرعةٍ .
- **ما يأفِكونَ** : ما يُكْذِبونَه ويُموِّهونَه على النّاسِ .
- **فوقَعَ الحقُّ** : ظَهَرَ وتبيَّنَ أمرُ موسى - عليْهِ السَّلامُ - .
- **ما تنقِمُ منّا** : ما تَكْرَهُ وما تَعيبُ مِنّا .
- **أَفرِغْ علَيْنا** : صُبَّ عَلَيْنا .
- **قاهِرونَ** : غالِبونَ ومُتَسلِّطونَ .

التَّفسيرُ :

بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ السّابقةُ ما كانَ مِنَ السَّحرةِ وتَمويهِهِمْ على النّاسِ ، وهُنا جاءَ دَوْرُ موسى - عليْهِ السَّلامُ - لِيَتهاوَى سِحْرُ السَّحَرةِ في لَحْظةٍ بِأمْرِ اللهِ ، قالَ تَعالى في هذا الشَّأْنِ :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

وأصْدَرَ اللهُ تعالى أمْرَهُ إلى موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ : أنْ ألْقِ عَصاكَ ، فقدْ جاءَ الآنَ وَقْتُها . فألْقاها كما أمرَهُ اللهُ تعالى . وفَوْرَ أنْ ألْقاها فإذا هِيَ تَبْتَلِعُ بِسُرعةٍ ما يَكْذِبونَ ويُمَوِّهونَ مِنْ عِصيٍّ وحبالٍ .

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

فَثبتَ الحقُّ وظَهرَ في جانبِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وبَطَلَ سِحْرُ السَّحرةِ ، وذهبَتْ رَهْبةُ النّاسِ ، وَرأَوْا كُلَّ شيءٍ على حَقيقَتِهِ دونَ عناءٍ .

﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

وترتَّبَ على ذلِكَ أنْ أصابَتِ الهَزيمةُ المُنْكَرةُ فِرْعونَ وملأَهُ وسَحرتَهُ في ذلِكَ المَجْمَعِ العظيمِ ، الّذي حَشَرَ لهُ النّاسَ في يومِ عيدِهِمْ وزينَتِهِمْ ، وانْقَلَبَ الجميعُ إلى بُيوتِهِمْ صاغِرينَ أذِلّاءَ ، بعدَ أنْ أنْزَلَ بِهِم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الخِذلانَ والخَيْبَةَ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى . وفي هذهِ الآياتِ الكَريمةِ يُصوِّرُ لَنا كيفَ أنَّ الباطِلَ قدْ يَسْحَرُ عُيونَ النّاسِ بِبَريقِهِ ولَمَعانِهِ لِفترةٍ مِنَ الوقتِ . وقدْ يَستَرْهِبُ قلوبَ النّاسِ لِساعةٍ مِنَ الزَّمانِ حتّى لَيُخَيَّلُ إلى الكَثيرينَ مِنَ الغافِلينَ أنَّه غالِبٌ وجارِفٌ ، ولكِنْ ما أنْ يُواجِهَهُ الحقُّ الهادِئُ الثّابِتُ المُسْتَقِرُّ بقوّتِهِ الّتي لا تُغالَبُ ، حتّى يَزْهَقَ ويَزولَ ، ويَنْطفِئَ كَشُعْلَةِ الهَشيمِ ، وإذا بِأتْباعِ هذا الباطِلِ يُصيبُهُم الذُّلُّ والصَّغارُ ، وهُمْ يَرَوْنَ عُروشَهُمْ تَتهاوى وآمالَهُمْ تَتداعَى أمامَ نورِ الحقِّ المُبينِ ، وتَحدِّيهِمُ الصَّريحَ وتَطاوُلَهُم الأَحْمقَ يتحوَّلُ إلى اسْتِسلامٍ مُهينٍ وذُلٍّ مُشينٍ .

ثمَّ يَحكي لنا القرآنُ الكَريمُ بعدَ ذلِكَ مَوْقِفَ السَّحرةِ بعدَ أنْ رأَوْا بأعيُنِهِمْ أنَّ ما فعلَهُ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ليسَ مِنْ قَبيلِ السِّحرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

ذلِكَ ما كانَ مِنْ أمرِ فِرْعَوْنَ وَملَئِهِ ، وأمّا السَّحرةُ فقدْ بَهرَهُمُ الحقُّ ، فانْدَفَعوا ساجِدينَ للهِ تَعالى مُذعِنينَ للحقِّ ، بعدَ أنْ رَأَوْهُ بأُمِّ أعيُنِهِمْ ، وهُمْ أعرفُ النّاسِ بالسِّحْرِ ، فَميَّزوا بينَهُ وبينَ الحقِّ والصَّوابِ .

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

خرُّوا سُجَّداً قائِلينَ : آمنّا بخالِقِ العالَمينَ ، ومالِكِ أمْرِهِمُ المُتصرِّفِ فيهِمْ سُبْحانَهُ ، هذا الرَّبُّ الّذي آمنّا بِهِ هُوَ الإِلهُ الّذي يُؤْمِنُ بِهِ موسى وهارونُ ـ عليْهِما السَّلامُ ـ . ويَظْهَرُ أنَّهم أرادوا إغاظَةَ فِرْعَونَ بذِكرِ اسمِ النَّبيَّيْنِ ـ عليهِما السَّلامُ ـ .

ولكنَّ فِرعونَ ومَلأَهُ لمْ يَرُقْ لهمُ ما شاهَدوا مِنْ إيمانِ السَّحرَةِ ، ولمْ يُدْركوا - لانْطِماسِ بَصيرَتِهِمْ - فِعْلَ الإيمانِ في القُلوبِ ، فأخذَ يَتوعَّدُهُمْ بالموتِ الأليمِ ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

فهالَ الأمرُ فِرْعونَ وأثارَ حَميَّتَهُ ، فقالَ : هلْ آمَنتُمْ وصَدَّقتُمْ بربِّ موسى وهارونَ - عليْهِما السَّلامُ - قبلَ أنْ آذنَ لكُم ؟ إنَّ هذا الصَّنيعَ الّذي صَنعتُموهُ أنتُم وموسى وهارونُ - عليْهِما السَّلامُ - كانَ بالاتِّفاقِ ، وليسَ إلاّ مَكْراً مَكرْتُموهُ في المدينةِ (مِصرَ) لأجْلِ أنْ تُخرِجوا مِنْها أهْلَها بِمَكْرِكُمْ ، فسوفَ ترَوْنَ ما يَحِلُّ بكُم مِنَ العذابِ الأليمِ جزاءَ اتِّباعِكُمْ لِموسى وهارونَ - عليْهِما السَّلامُ - وعِقاباً على هذا المكْرِ الخادِعِ .

ثمَّ فصَّلَ القرآنُ الكَريمُ هذا الوعيدَ الّذي توعَّدَهُمْ بهِ فِرعونْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

وأُقْسِمُ لأُنَكِّلَنَّ بكُمْ ، وأُقطِّعَنَّ أيديَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ، فأَقْطعُ اليدَ مِنْ جانبٍ والرِّجْلَ مِنْ جانبٍ آخَرَ ، ثمَّ لأُصَلِبَنَّ كُلَّ واحدٍ منكُم وهوَ على هذهِ الحالةِ المُشوَّهةِ ، لِتكونوا عِبْرَةً لمنْ تُحدِّثُهُ نفسُهُ بالكَيْدِ لَنا ، أوْ بالخُروجِ على سُلْطانِنا .

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

فلمْ يَأْبهوا لقولِهِ ولِتَهْديداتِهِ ، لِتَمكُّنِ الإيمانِ مِنْ شِغافِ قُلوبِهِمْ ، فقالوا : إنّا إلى ربِّنا راجِعونَ ، فَنَتقَلَّبُ في رحمتِهِ ونَعيمِهِ وجَزائِهِ .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

وما تُنْكِرُ مِنّا وتُعاقِبُنا عليهِ إلاّ أنْ صَدَّقْنا موسى - عليْهِ السَّلامُ - وأذْعَنّا لآياتِ ربِّنا تباركَ وتَعالى الواضِحَةِ ، الدّالَّةِ على الحقِّ لمّا جاءتْنا . ثمَّ توجَّهوا إلى اللهِ تَعالى ضارِعينَ إليهِ قائِلينَ : يا ربَّنا ، أَفِضْ عليْنا صَبْراً عَظيماً نَقْوى معَه على احْتِمالِ الشَّدائِدِ ، وتَوفَّنا على الإسْلامِ غيرَ مَفْتونينَ مِنْ وعيدِ فِرْعَوْنَ .

وبذلِكَ يكونُ السَّحَرةُ قدْ ضَرَبوا للنّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أرْوَعَ الأمثلةِ في التَّضحيةِ مِنْ أجلِ العَقيدةِ ، وَمَثَلاً في الوقوفِ أمامَ الطُّغيانِ بثباتٍ وعِزَّةٍ ، وفي الصَّبرِ على المَكارِهِ والآلامِ ، وفي المُسارَعةِ إلى الدُّخولِ في الطَّريقِ الحقِّ بعدَ أنْ تَبيَّنَ لهُم ، وفي التَّعالي عنْ كلِّ مُغْرِياتِ الحياةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ السِّحْرُ لا يَصْمُدُ أمامَ الحقِّ ، وسُرعانَ ما يَظهرُ زيفُهُ لأنَّه كَذِبٌ وزورٌ .

٢ـ الإيمانُ الحقُّ لا يَتزلزلُ أمامَ التَّهديدِ ، ويُسْبغُ على أهْلِهِ لِباسَ العِزَّةِ والثَّباتِ .

٣ـ لا يَتوانى أهلُ الباطلِ في تَهديدِ أهلِ الحقِّ بوسائلَ مُختلفةٍ .

التَّقْويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

تَلْقَفُ ، يأفِكونَ ، وقعَ الحقُّ ، ما تنقِمُ منّا ، أفْرِغْ عَلَيْنا .

٢ـ ماذا جَرى لِفرعونَ وحِزْبِهِ بعدَ أنْ ألقَى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عصاهُ ؟

٣ـ ما موقفُ السَّحَرةِ بعدَ أنْ شاهَدوا الحقَّ ؟

٤ـ ما موقفُ فِرْعَوْنَ مِنَ السَّحَرةِ بعدَ أنْ آمنوا ؟

٥ـ بيِّنْ أثرَ الإيمانِ الحقِّ في نَفْسِ صاحِبِهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آياتِ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ ما قالَه السّحَرةُ لِفرعونَ بعدَ أنْ آمنوا .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **وَيَذَرَكَ** : يَتْرُكَكَ .
- **نَسْتَحْيي نساءَهُمْ** : نَسْتَبقي بناتِهِمْ أحياءً لأَجْلِ خِدْمَتِنا .
- **بالسِّنينَ** : بالجَدْبِ والقَحْطِ .
- **يطَّيَّروا** : يَتشاءَموا .
- **طائِرُهُم عندَ اللهِ** : شُؤْمُهُمْ عندَ اللهِ بِأَمْرِهِ .
- **الطُّوفانَ** : الماءَ الكثيرَ الّذي يُغطِّي وَجْهَ الأرضِ .
- **القُمَّلَ** : القَمْلَ المَعروفَ .



التَّفسيرُ :

ما تزالُ قِصَّةُ موسى ـ عليْهَ السَّلامُ ـ تَتوالى في عِبَرِها وعِظاتِها ، فَبَعْدَ أنْ بيَّنَتِ الآياتُ الماضيةُ إيمانَ السَّحَرَةِ وثَباتَهُمْ على اليَقينِ ، بدأَتْ هذهِ الآياتُ تتحدَّثُ عنِ الملأِ ومَوْقِفِهِمْ مِنَ الأشياءِ الّتي شاهَدوها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

وبعدَ أنْ شاهدَ فِرعونُ وقومُهُ ما شاهَدوا مِنْ ظُهورِ أمْرِ موسى ـ عليْهَ السَّلامُ ـ وغَلَبتِهِ وإيمانِ السَّحرةِ بهِ ، قالَ الكُبَراءُ مِنْ قومِ فِرْعونَ مُوَجِّهينَ خِطابَهُمْ لَهُ : أَتَذَرُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وقَوْمَهُ أحْراراً آمِنينَ ، لِيكونَ ما لهمُ مِنْ فسادِ قومِكَ عليْكَ في أرضِ مِصْرَ بإدْخالِهِمْ في دينِهِمْ ، ويَتْرُكَكَ مَعَ آلهتِكَ في غيرِ مُبالاةٍ ، فَيُظْهِرَ للمِصْريّينَ عَجْزَكَ وعَجْزَهُمْ ؟ قالَ فِرْعونُ عندئذٍ مُجيباً لهم : سَنُقَتِّلُ أبناءَهُمْ ، ونَسْتَبقي نِساءَهُمْ أحياءً ، حتّى لا يكونَ لهمُ قُوّةٌ كَما فعلْنا مِنْ قَبْلُ ، وإنّا مُسْتَعلونَ عليْهِمْ بالغَلَبةِ والسُّلطانِ ، قاهِرونَ لهُم .

ولم يَرْهَبْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ منْ هذا التَّهديدِ بلْ أَوصَى قومَهُ بالصَّبرِ ، وطَمأَنَهُمْ بالنَّصْرِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مبيِّناً ذلكَ :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

وهُنا رأَى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أثَرَ الجزَعِ في نُفوسِ قَوْمِه ، فَشَدَّ مِنْ عَزْمِهِمْ ، وقالَ لهُم : اطلُبوا مَعونةَ اللهِ تَعالى وتأييدَهُ واثبُتوا ولا تجزَعوا ، إنَّ الأرضَ في قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ومُلْكِهِ ، يَجْعَلُها ميراثاً لِمَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، والعاقِبَةُ الحَسَنةُ لِلّذينَ يتَّقونَ اللهَ تَعالى بالاعْتِصامِ بهِ والاسْتِمساكِ بأحكامِهِ ، فتلكَ سُنَّةُ اللهِ تَعالى .

بهذا الأسلوبِ المُؤَثِّرِ البليغِ ، وبهذهِ الوصايا الحَكيمةِ ، وصّى موسى ـ عليْهَ السَّلامُ ـ قَوْمَهُ بَني إسرائيلَ ، فماذا كانَ ردُّهُمْ عليهِ ؟ قالَ اللهُ تَعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

قالَ بنو إسْرائيلَ لِموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ردّاً على نَصيحتِهِ لَهُمْ : لَقَدْ أصابَنا الأَذى مِنْ فِرْعَوْنَ قَبْلَ

أنْ تأتِيَنا يا موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالرِّسالةِ ، فقدْ قَتَلَ مِنّا ذلكَ الجبّارُ كثيراً مِنْ أبنائِنا ، وأنْزلَ بنا ألواناً مِنَ الظُّلْمِ والاضْطِهادِ وأصابَنا الأذى بعدَ أنْ جِئتَنا بالرِّسالةِ ، فإلى مَتى نَسْمَعُ مِنكُم تلكَ النّصائحَ الّتي لا جَدْوى مِنْ ورائِها ؟

ومعَ هذا الردِّ السَّفيهِ ، إلاَّ أنَّ نَبيَّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ كانَ حكيماً رابطَ الجأْشِ ، يقولُ لهُم : إنّ المَرْجُوَّ مِنْ فَضْلِ ربِّكم تبارَكَ وتَعالى أنْ يُهْلِكَ عدوَّكُمُ الّذي سخَّرَكُمْ وآذاكُمْ بظُلْمهِ ، ويَجعلَكُم خُلفاءَ الأرضِ الّتي وعَدَكُمْ إيّاها ، فيعلمُ ما أنتُم عامِلونَ بعدَ هذا التّمكينِ ، أتشكُرونَ النِّعْمَةَ أمْ تَكْفُرونَ ، وتُصْلِحونَ في الأرضِ أمْ تُفسدونَ ؟ لِيَجْزيَكُمْ في الدُّنيا والآخرةِ بِما تَعمَلونَ .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

ولقدْ عاقَبْنا فِرعونَ وقومَهُ بالجَدْبِ والقَحْطِ وضيقِ المَعيشةِ ، وبنَقْصِ ثَمراتِ الزُّروعِ والأشْجارِ ، رَجاءَ أنْ يَتَنبَّهوا إلى ضَعْفِهِمْ ، وعَجْزِ مُلْكِهِمُ الجبّارِ أمامَ قوّةِ اللهِ تَعالى فيتَّعِظوا ويَرْجعوا عنْ ظُلْمِهِمْ لِبَني إسرائيلَ ، ويَسْتجيبوا لِدَعوةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، فإنَّ شأنَ الشَّدائِدِ أنْ تَمْنَعَ الغُرورَ ، وتُهذِّبَ الطِّباعَ ، وتُوجِّهَ الأنْفُسَ إلى قَبولِ الحَقِّ ، وإرضاءِ ربِّ العالَمينَ ، والتَّضرُّعِ إليهِ دونَ غيرِهِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ آلَ فِرعونَ لمْ يَعتبِروا بِهذا العذابِ وهذا الامتحانِ ، وإنَّما ازْدادوا تمرُّداً وكُفْراً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

ولكنَّ دَأْبَ فِرْعونَ وأعوانِهِ عَدَمُ الثّباتِ على الحقِّ ، فسُرْعانَ ما يعودونَ إلى العذابِ و لمعصيةِ ، فهُمْ مُتَقلِّبونَ . وتُصوِّرُ الآيةُ الكَريمةُ حالَهُمْ ، فهُم إذا جاءَهُمُ الخِصْبُ والرَّخاءُ قالوا : نحنُ المُسْتَحقّونَ لهُ لِما لنا مِنَ الامتيازِ على النّاسِ ، وإنْ أصابَهُمْ ما يَسوءُهُمْ ، كَجَدْبٍ أو قَحْطٍ أو جائحَةٍ أو مُصيبةٍ في الأبدانِ والأرْزاقِ ، يَروْنَ أنَّهم أُصيبوا بِشُؤْمِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ معَه ، ويَغفَلونَ عنْ أنَّ ظُلْمَهُمْ وفُجورَهُمْ هُوَ الّذي أدّى بِهم إلى ما نالَهُمْ . فَلْيَعلَموا أنّ عِلْمَ شُؤْمِهِمْ عندَ اللهِ تَعالى ، فهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الّذي أصابَهُمْ بِسَبَبِ أعمالِهِمُ القَبيحةِ ، وهِيَ الّتي ساقَتْ إليهِمْ ما يَسوؤُهُمْ ، وليسَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ معَه ، ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَدْري هذهِ الحقيقةَ الّتي لا شكَّ فيها .

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

وقالَوا عندَ رُؤْيَتِهِمْ لآياتِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إنَّكَ مَهْما جِئْتَنا بكلِّ أنواعِ الآياتِ الّتي تَسْتَدِلُّ

بها على حقيقةِ دعوتِكَ ، لأجلِ أنْ تصرِفَنا بها عمّا نحنُ عليهِ مِنَ دينِنا ومِنْ اسْتِعبادِ قومِكَ ، فما نحنُ لكَ بِمُصدِّقينَ ولا مُذْعِنينَ .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ مَزيداً مِنَ النَّكَباتِ والمَصائبِ ، ومِنْ ذلِكَ : الطّوفانُ الّذي يَغْشى أماكِنَهُمْ ، والجرادُ الّذي يَأْكُلُ ما بَقِيَ مِنْ نباتٍ أو شَجرٍ ، والقُمَّلُ الّذي يُؤْذي أجْسامَهُم ويَحولُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الرّاحةِ والهُدوءِ ، والضَّفادعُ الّتي تَنتشرُ فَتُنَغِّصُ عليْهِم حياتَهم وتَذهبُ بِصَفائِها ، والدّمُ الّذي يُسبِّبُ الأمراضَ الكثيرةَ كالنَّزيفِ مِنْ أيِّ جسمٍ ، والدَّمُ الّذي يَنْحَبِسُ فيُسبِّبُ ضَغْطاً أو يَنْفَجِرُ فَيُسبِّبُ شَللاً ، ويشملُ كذلِكَ البَوْلَ الدَّمويَّ ، الّذي يُسبِّبُ الأمراضَ كالبلهارسيا وغيرِها ، أوِ الّذي تَحوَّلَ إليهِ ماؤُهُمُ الّذي يَستخدِمونَهُ في حاجاتِ معاشِهِمْ . أصابهمُ اللهُ تَعالى بهذهِ الآياتِ المُمَيَّزاتِ والواضِحاتِ ، فَلَمْ يتأثَّروا بِها ، وتجمَّدَتْ مَشاعرُهُمْ ، وفسدَتْ ضَمائرُهُمْ ، فعتَوْا عنِ الإيمانِ والرُّجوعِ إلى الحقِّ مِنْ حيثُ هوَ حقٌّ ، وكانوا قَوْماً موغِلينَ في الإجْرامِ كما هُو شَأْنُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بيانُ دَوْرِ الملأِ في تَشْجيعِ الظَّلَمَةِ على الظُّلمِ والفَسادِ .

٢ـ ثقةُ نَبِيِّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بربِّهِ ، ورَباطةُ جأْشِهِ ، وهكذا يكونُ المؤمنُ باللهِ ربِّ العالَمينَ .

٣ـ تنوُّعُ الآياتِ الباهراتِ الّتي أصابَتْ فِرعونَ وقومَهُ على مرأىً مِنْ بَني إسرائيلَ .

٤ـ عُتُوُّ آلِ فِرْعونَ وعدمُ إيمانِهِمْ بالرَّغمِ مِنْ وُضوحِ دلائِلهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

ونَسْتَحْيي نساءَهُمْ ، السِّنينَ ، يطَّيَّروا ، الطُّوفانَ ، القُمَّلَ .

٢ـ بيِّنْ دورَ الملأِ في طُغيانِ فِرْعونَ .

٣ـ بيِّنْ مَوْقَفَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ منْ تَهديداتِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ .

٤ـ ماذا كانَ موقفُ بَني إسرائيلَ بعدَما سمِعوا تَهديداتِ فِرْعونَ ؟ وعلامَ يدلُّ ذلِكَ ؟

٥ـ ما موقفُ آلِ فِرْعونَ ممّا أصابَهُمْ مِنَ البلاءِ ؟

٦ـ ما الآياتُ الّتي كانتْ مُعجِزَةً لنبيِّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تَحُثُّ المؤمنينَ على الصَّبْرِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آيتَي سورةِ « يَس » الّتي تُبيِّنُ المَعْنى الواردَ في الآيةِ « ١٣١ » .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الّتي جاءَ بِها موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ كما ذُكِرَتْ في الآياتِ (١١٧ـ١٣٢) .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الرِّجْزُ	: العذابُ .
يَنْكُثونَ	: يَنقُضونَ عَهْدَهُمُ الّذي أبْرَموهُ .
دمَّرنا	: أهْلَكْنا وخَرَّبْنا .
يَعْرِشونَ	: يَصْنَعونَ عُرُشاً مِنَ الأشجارِ أو الأبنيةِ .

التَّفسيرُ :

بيَّنَتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ آلَ فِرْعونَ قدْ أُخِذوا بالعذابِ لعلَّهُمْ يَرْجِعونَ إلى ربِّهِمْ ، ولكنَّهم أصرُّوا على ما هُمْ فيهِ مِنَ الطُّغيانِ . وتُبيِّنُ هذهِ الآياتُ لُجوءَهُمْ إلى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عندَ الشِّدَّةِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

ولِفَرْطِ تَقلُّبِهِمْ حَسَبَ الدَّواعي ، كانوا كلَّما وَقَعَ عَلَيْهِمْ نوعٌ مِنَ العذابِ قالوا لِشدَّةِ تأْثيرِه فيهِمْ

وتَأَلُّمِهِمْ بِهِ : يا موسى سَلْ ربَّك لنا بالّذي عَهِدَ إليْك أنْ تَدْعُوَهُ بِهِ فَيُعطيكَ الآياتِ ويَستجيبَ لكَ الدُّعاءَ ، أنْ تَكْشِفَ عنّا هذا العذابَ ، ونحنُ نُقسِمُ لكَ إنْ أزَلتَهُ عنّا لَنَخْضعَنَّ لكَ ، ولَنُطلِقَنَّ معكَ بَني إسرائيلَ كما أردْتَ .

ثمَّ بيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى مَوْقِفَهُمُ الجُحوديَّ ، ونَقْضَهُمْ لِلْعُهودِ الّتي أخَذوها على أَنْفُسِهِمْ ، فقال تَعالى :

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

فلمّا كَشَفْنا عَنهُمُ العذابَ مرّةً بعدَ أُخرى إلى وقتٍ مُنتهونَ إليهِ في كلِّ مرَّةٍ ، إذْ هُم ينقُضونَ عَهدَهُمْ ، ويَحْنِثونَ في قَسَمِهِمْ ، ويَعودونَ إلى ما كانوا عليْهِ مِنَ الطُّغيانِ والفَسادِ ، ولمْ تُجْدِ فيهِمْ هذهِ المِحَنُ الزّاجرةُ .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

فانْتقَمْنا مِنْهُم عندَ بُلوغِ الأجَلِ المَضْروبِ لإهْلاكِهِمْ ، بأنْ أغرقْناهُمْ في البحرِ ، وذلِكَ بسببِ تكذيبِهِمْ لآياتنا الواضحَةِ ، وحُجَجِنا السّاطعةِ ، وكانوا عنها غافِلينَ بحيثُ لا يَتدبَّرونَها ، ولا يَتفكَّرونَ فيما تَحمِلُهُ مِنْ عِظاتٍ وعِبَرٍ .

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

أَعْطَيْنا القومَ الّذينَ كانوا يَستضعِفُهُمْ فِرعونُ ومَلَؤُهُ بالاسْتِعبادِ ، وقَتْلِ الأبناءِ وسوءِ العذابِ ، وهُم بَنو إسرائيلَ ؛ أعطيناهُم ، وملَّكناهُمْ مَشارقَ الأرضِ ومغارِبَها ، الّتي حَباها اللهُ تَعالى بالخِصْبِ والخيرِ الكثيرِ ، ونَفَذَتْ كلمةُ اللهِ الحُسنى تامّةً ووعدُهُ بالنَّصرِ شامِلا لِبَني إسْرائيلَ ، بسببِ صَبْرِهِمْ على الشَّدائِدِ ، ودمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعونُ وقومُهُ مِنَ الصُّروحِ والقُصورِ المُشَيَّدةِ ، وما كانوا يَعْرِشونَه في البَساتينِ مِنْ عُرُشِ العنبِ وغَيْرِها ، وهذهِ سُنَّةُ اللهِ تَعالى الثّابتةُ الّتي تَقْضي بهلاكِ الكافِرينَ ونَصْرِ المؤمنينَ .

وهَكذا يَنْتَهي هذا الفَصْلُ مِنْ قصةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بِذِكْرِ ما أصابَ الظّالمينَ والغادِرينَ مِنْ دمارٍ وخرابٍ ، وما أكرمَ بِهِ المُسْتَضْعَفينَ الصّابِرينَ مِنْ خَيْرٍ واسْتِخلافٍ في الأرْضِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ شأْنُ الظّالِمينَ الالْتِجاءُ إلى اللهِ تَعالى عندَ الشَّدائِدِ ، ولكنَّهُمْ سُرْعانَ ما يَنقُضونَ العُهودَ والمَواثيقَ .

٢ـ اللهُ تَعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ ، فإذا أَخَذَ الظّالِمَ فإنّ أخْذَهُ شَديدٌ .

٣ـ مَنْ صبرَ نالَ وظَفِرَ ، ومَنْ تجبَّرَ هَلَكَ وخَسِرَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الرِّجْزُ ، يَنْكُثونَ ، دمَّرنا ، يَعْرِشونَ .

٢ـ بيِّنْ شأنَ الظّالِمينَ في حالَي السّراءِ والضَّراءِ .

٣ـ تحدّثتِ الآياتُ الكَريمةُ عنْ مُسبِّباتِ الهلاكِ ، وضِّحْها .

٤ـ ما جزاءُ الصّابِرينَ المُسْتَضْعَفينَ ؟

نَشاطٌ :

ـ البحرُ جنديٌّ مِنْ جنودِ اللهِ ، نجّى اللهُ فيهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ومَنْ مَعَه ، وأهْلَكَ فِرْعونَ ومَنْ مَعَهُ ، وضِّحْ ذلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ والثّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ - القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مُتَبَّرٌ** : مُهْلَكٌ مُدمَّرٌ .
- **أَبْغيكُم إلهاً** : أطلُبُ لكُمْ إلهاً مَعْبوداً .
- **يسُومونَكُمْ** : يُذيقونَكُمْ .
- **بَلاءٌ** : امْتِحانٌ وابتلاءٌ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ أتمَّ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ على بَني إسْرائيلَ بإهلاكِ فِرْعونَ ومَنْ مَعَه مِنَ الظّالِمينَ ، بدأتِ السُّورةُ الكَريمةُ بالحديثِ عنِ المُسْتَضعَفينَ في الأرضِ مِنْ بَني إسرائيلَ ، وجُحودِهِمْ لِنِعَمِ اللهِ تَعالى ، ونِسْيانِهِمْ لِما كانوا فيهِ مِنْ ذُلٍّ واسْتِعبادٍ ، وتَفْضيلِهِمْ عبادةَ الأَصْنامِ على عبادةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ ، وغيرِ ذلِكَ مِنْ أنواعِ كُفْرِهِمْ ومَعاصيهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ .

هذهِ الآياتُ تحكي لنا قِصَّةً عَجيبةً لِبَنى إسْرائيلَ ، مُلَخَّصُها أنَّهم بعدَ أنْ خَرَجوا مِنْ مِصْرَ بقيادةِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ تَبِعَهُمْ فِرْعونُ وجُنودُهُ ، إلاّ أنَّ اللهَ تَعالى انتقَمَ لهمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وجُنْدِهِ ، فأغْرَقَهُمْ أمامَ أعيُنِهِمْ ، وسارَ بَنو إسْرائيلَ نحوَ المَشْرِقِ مُتَّجهينَ إلى الأرضِ المُقدَّسةِ بعدَ أنْ عبَروا البَحْرَ ، ولكنَّهُم ما أَن جاوَزوا البَحْرَ الّذي غَرِقَ فيهِ عدوُّهُمْ ، والّذي ما زالَتْ رِمالُهُ الرَّطبةُ عالِقةً بِنعالِهِمْ ، حتَّى وَقعَتْ أبصارُهُمْ على قَوْمٍ يَعبدونَ الأصْنامَ ، فماذا كانَ مِنْهُمْ ؟ كانَ منهم أنْ عاوَدَتْهُمْ طَبيعتُهُمْ ، فَطلَبوا مِنْ نبيِّهِمْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الّذي جاءَ لِهدايَتِهِمْ وإنقاذِهِمْ ممّا هُمْ فيهِ مِنْ ظُلْمٍ ، أنْ يَصْنَعَ لهمْ إلهاً مِنْ جنسِ الآلِهَةِ الّتي يَعبُدُها أولئكَ القومُ المُشْرِكونَ . وهُنا غَضِبَ عليْهِم موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ غَضَباً شديداً ، ووصفَهُمْ بأنّهُم قومٌ يَجْهَلونَ الحقَّ ، لا يُعْمِلونَ عُقولَهُم ولا يَعرِفونَ العِبادةَ الحقَّةَ ، ولا مَنْ هُوَ الإلهُ الّذي يَستحِقُّ العِبادةَ .

ثمَّ بيَّنَ لهمْ نبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فسادَ ما عليهِ هؤلاءِ المُشْرِكونَ ، وأنَّ عَمَلَهُمْ باطِلٌ لا خيرَ فيهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ الّذينَ يُريدونَ تَقليدَهُمْ في عِبادةِ الأوثانِ ، مَحكومٌ على ما هُم فيهِ مِنْ كُفْرٍ وضَلالٍ بالدَّمارِ ، ومَقْضِيٌّ على ما يعمَلونَهُ مِنْ عِبادةِ الأصْنامِ بالاضْمحلالِ والزَّوالِ ، لأنَّ دينَ التَّوحيدِ سَيَظْهَرُ في هذه الدِّيارِ ، وستَصيرُ العِبادةُ للهِ تَعالى الواحِدِ القَهّارِ . ثمّ يَمْضي نَبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُسْتَنْكِراً عَليْهِمْ طَلبَهُمْ ، ومُبيِّناً لهُم أنَّ اللهَ تَعالى وَحْدَه هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادةِ ، قالَ تَعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ ﴾

قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مُذَكِّراً قومَه بِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَليْهِم المُوجِبَةِ لإفرادِهِ بالعبادةِ والخُضوعِ : أَغيْرَ اللهِ تَعالى أطْلُبُ لكُم معبوداً أحْمِلُكمُ على عِبادَتِهِ ، وهوَ سُبْحانَهُ فضَّلَكُمْ على عالِمي زَمانِكُمْ ، وقدْ كانَ الواجِبُ عَليكُمْ أنْ تخصُّوهُ بالعبادةِ كما اخْتَصَّكُمْ هوَ بشتَّى النِّعَمِ الجَليلةِ .

﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ﴾ .

واذْكُروا يا بَني إسرائيلَ وَقْتَ أنْ أنْجاكُمُ اللهُ تَعالى بعنايتِهِ مِنْ آلِ فِرعونَ الّذينَ كانوا يُذيقونَكُمْ

أشدَّ العذاب ، ويُسَخِّرونَكُمْ لِخِدْمَتِهِمْ في مَشاقّ الأعمالِ ، ولا يَرَوْنَ لَكُمْ حُرْمَةً ، كالبَهائِمِ فيَقْتُلون أولادَكُمُ الذُّكورَ ويَسْتبقونَ الإناثَ لكُمْ ، ففيما نَزَلَ بِكُمْ مِنْ تعذيبِ فِرعونَ لكُم وإنجائِكم منْه ، اختبارٌ عظيمٌ مِنْ ربِّكُمْ تبارَكَ وتَعالى ، وليسَ وراءَهُ بلاءٌ واختبارٌ لِتَشكُروا اللهَ تَعالى على نِعَمِهِ ، ولِتُقْلِعوا عنِ السَّيئاتِ الّتي تؤدّي بِكُمْ إلى الإذْلالِ في الدُّنيا والعَذابِ في الآخِرَةِ .

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

وَعَدَ اللهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالمُناجاةِ وإعْطاءِ التَّوراةِ عندَ تَمام ثلاثينَ ليلةً يَتعبَّدُ فِيها ، أتْمَمْناها بعَشْرِ ليالٍ يَسْتَكمِلُ فيها عبادَتَهُ ، فصارَ الميقاتُ المقصودُ أربعينَ ليلةً .

وقالَ موسى لأخيهِ هارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ حينَ تَوجَّهَ لِيتفرَّغَ لِمُناجاةِ ربِّهِ تَعالى : يا هارونُ كنْ خليفَتي في قَوْمي وأصْلِحْ ما يحتاجُ إلى إصْلاحٍ مِنْ أُمورِهِمْ ، واحْذَرْ أنْ تتَّبِعَ طريقَ المُفسِدينَ الضّالينَ المُضلِّينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ رَغْبَةُ اليهودِ في الارْتِكاسِ إلى الشِّرْكِ كلَّما لاحَ لهمُ ذلِكَ .

٢ـ حَزْمُ نبيِّ اللهِ تَعالى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في مُواجهةِ الانْحطاطِ الفِكْريِّ لِبَني إسْرائيلَ .

٣ـ الشِّرْكُ عَمَلٌ باطِلٌ لا قيمةَ لَهُ ، والمُشْركونَ لا يَجْنونَ مِنَ الشِّرْكِ خَيْراً .

٤ـ بَنو إسرائِيلَ كانوا مُفَضَّلينَ على عالِمي زَمانِهِمْ فقط ، لأنَّهم كانوا أحسنَ حالاً مِنْهُم في العبادَةِ .

٥ـ نِعْمَةُ اللهِ تَعالى العظيمةُ على نَبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في اختيارِهِ لِمُناجاتِهِ .

٦ـ لابدَّ للدُّعاةِ مِنْ أنْ يكونَ معَهُمْ مَنْ يُعينُهمْ على دَعوتِهِمْ ويُقوِّيهِمْ ويُسانِدُهُمْ ويَنوبُ عنهُم حالَ غِيابِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

مُتبَّرٌ ، أبغيكُمْ إلهاً ، يَسومونَكُمْ ، بلاءٌ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ الانْحطاطَ الفِكريَّ الّذي وصَلَ إليهِ بَنو إسْرائيلَ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ ما كانَ عليْهِ نَبيُّ اللهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الحَزْمِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ ما النِّعَمُ الّتي ذُكِّرَ بها بَنو إسرائيلَ في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ؟

٥ـ بيِّنْ أثَرَ وجودِ الأَعْوانِ في الدَّعوةِ إِلى اللهِ تَعالى .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ البقرةِ الّتي تُبيِّنُ أنّ اللهَ فَضّلَ بني إسرائيلَ على العالَمينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تجلّى ربُّه للجبلِ : بدا لهُ شيءٌ مِنْه .

دكّاً : مَدكوكاً مُفتَّتاً .

صَعِقاً : مَغشِيّاً عليْهِ .

سُبْحانَكَ : تَنْزيهاً لكَ عَنْ مُشابَهةِ خَلْقِك .

الأَلْواحِ : ألواحِ التَّوراةِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ حدَّثتْنا السّورةُ الكَريمةُ عنْ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ باخْتِيارِه لِمُناجاتِه ، بيَّنَتِ السُّورَةُ هُنا ما حَدَثَ في هذهِ المُناجاةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ .

ولمّا جاء موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ لِمُناجاتِهِ ، وكلَّمَهُ ربُّه تكليماً يليقُ بجلالِ اللهِ تَعالى ، قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وهوَ يسمعُ كلامَ ربِّه تَعالى : ربِّ أرني انْظُرْ إليكَ ، وتَجلَّ لِي لأزدادَ شَرَفاً . قالَ اللهُ عندئذٍ : إنَّكَ يا موسى لنْ تُطيقَ رُؤْيَتي . ثمَّ أرادَ سُبْحانَهُ أنْ يُبيِّنَ لِموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ عَدَمَ طاقَتِهِ على هذا الأمرِ الّذي سألَهُ ، فقالَ لهُ : انْظُرْ إلى الجَبَلِ الّذي هوَ أقوى مِنْكَ ، فإنْ ثَبَتَ مَكانَهُ عندَ التَّجلِّي فَسوفَ تَراني إذا تجلَّيتُ لكَ ، فلَما تجلّى ربُّهُ تَعالى للجبلِ تجلِّياً يليقُ بِهِ سُبْحانَهُ ، جَعَلَهُ مُفتَّتاً مُسْتَوِياً بالأَرْضِ ، وسَقَطَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مَغْشيّاً عليهِ لِهَوْلِ ما رأى ، فلمّا أفاقَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ هذهِ الصَّعْقةِ قالَ : أُنزِّهُكَ يا ربِّ تَنْزيهاً عَظيماً عنْ أنْ تُرى في الدُّنيا ، إنّي تُبْتُ إليكَ مِنَ الإقْدامِ على السُّؤالِ بغيرِ إذْنٍ ، وأنا أوَّلُ المُؤْمنينَ في زماني بجلالِكَ وعَظمتِكَ .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ .

لمّا منعَ اللهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رُؤْيَتِهِ في الدُّنيا ، عَدَّدَ عليْهِ نِعَمَهُ لِيَتسلَّى بها عنِ المنعِ ، فقالَ سُبْحانَهُ لَهُ : يا موسى إنّي فضّلْتُكَ واخْتَرْتُكَ على أهْلِ زَمانِكَ ، بتَبْليغِ أسفارِ التَّوراةِ ، وبتَكْليمي إيّاكَ مِنْ غَيْرِ واسطةٍ ، فخُذْ ما فضّلْتُكَ بهِ ، واشكرْ لي كما يفعلُ الشّاكِرونَ المُقدِّرونَ لِلنِّعمِ .

﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥ ﴾ .

وبيّنا لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في ألواحِ التَّوراةِ كُلَّ شيءٍ مِنَ المواعظِ والأحْكامِ المُفصَّلةِ ، الّتي يَحتاجُ النّاسُ إليها في المَعاشِ والمَعادِ ، والمحاسنِ والقَبائحِ ، وقُلنا لَهُ : خُذِ الألْواحَ بجِدٍّ وحَزْمٍ ، وأْمُرْ قومَكَ أنْ يأخُذوا بأفضلِ ما فيها ، والمَقصودُ : يأخُذوا بها كُلِّها ، كالعفوِ بَدَلَ القِصاصِ ، والإبرارِ بَدلَ الانتظارِ ، واليُسْرِ بَدَلَ العُسْرِ ، سَأُريكُم يا قومَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ في أسْفارِكُمْ دارَ الخارجينَ على أوامرِ اللهِ تَعالى ، وما صارَتْ إليهِ مِنَ الخرابِ لِتَعتَبِروا ، فلا تُخالِفوا حتّى لا يُصيبَكُمْ ما أصابَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ اللهُ تَعالى يَصْطَفي مَنْ يشاءُ ويختارُ .

٢ـ اللهُ تَعالى لا يراهُ النّاسُ في الدُّنيا ، فهُوَ سُبْحانَهُ لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ ، وهوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ .

٣ـ التَّوراةُ الّتي أنزَلَها اللهُ على موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ هيَ كتابُ اللهِ تَعالى حقّاً ، وهِيَ مُشْتَمِلَةٌ على الحِكَمِ والأحْكامِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

تجلّى ربُّه للجبلِ ، دكّاً ، صَعِقاً ، سُبْحانَكَ ، الألواح .

٢ـ ما الّذي حصلَ للجبلِ عِنْدما تجلَّى لهُ اللهُ تَعالى ؟

٣ـ ما النِّعمُ الّتي ذَكَرَها اللهُ تَعالى لنبيِّهِ موسى عليْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الّذي تَشْتَمِلُ عليْهِ التَّوراةُ مِنْ خلالِ هذِه الآياتِ الكَريمةِ ؟

٥ـ بماذا أمَرَ اللهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ فيما يخصُّ التَّوراةَ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةً تُبيِّنُ أنَّ اللهَ تَعالى لا تُدْرِكُهُ أبصارُ خَلْقِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الرّابعُ والعِشْرونَ

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- سبيلَ الرُّشْدِ : طريقَ الهُدى والسَّدادِ .
- سبيلَ الغَيِّ : طريقَ الضَّلالِ والفَسادِ .
- حَبِطَتْ أعمالُهُمْ : بَطُلَتْ بِسَبَبِ الكُفرِ .
- عِجْلاً جَسَداً : مُجسَّداً على هَيْئَةِ عِجْلٍ .
- لهُ خُوارٌ : صوتٌ كَصَوْتِ البَقَرِ .
- اتَّخَذوهُ : صيَّروهُ إلهاً وعَبدوهُ .
- سُقِطَ في أيْديهِم : نَدِموا أشدَّ النَّدمِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى نِعَمَهُ عَلى نبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، أتبعَ ذلِكَ ببيانِ عاقبةِ المُكَذِّبينَ الّذينَ لاحظَّ لهُم عندَ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

سَأُبْعِدُ عَنْ دلائلِ قُدْرَتي القائمةِ في الأنْفُسِ والآفاقِ ، أولئكَ الّذينَ يتكبّرونَ عنْ قَبولِ الصَّوابِ غيرَ مُحقِّينَ ، وإنْ يرَوْا كلَّ آيةٍ تَدلُّ على صِدْقِ رُسُلِنا لا يُصدِّقوها ، وإنْ يُشاهِدوا طريقَ الهُدى لا يَسْلُكوهُ ، وإنْ يُشاهِدوا طريقَ الضَّلالِ يَسْلُكوهُ ، يَحدثُ ذلِكَ منهُم بِسَبَبِ أنَّهم كذَّبوا بآياتِنا المُنزَّلَةِ ، وغَفِلوا عَنِ الاهْتداءِ بها .

وهذا يدلُّ على أنَّ اللهَ تَعالى لم يَخلقْهُمْ مَطْبوعينَ على شيءٍ ممّا ذُكِرَ طَبْعاً ، ولمْ يُجْبِرْهُمْ ويُكْرِهْهُمْ عليْهِ إكْراهاً ، بلْ كانَ ذلِكَ بِكَسْبِهِمْ واخْتِيارِهِمْ للتّكذيبِ بآياتِ اللهِ سُبْحانَهُ الدالَّةِ على الحقِّ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

والّذينَ كذّبوا بآياتِنا المُنزَّلَةِ على رُسُلِنا ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ للهدايةِ ، وكذَّبوا بلقاءِ اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ ، فأنْكَروا البَعْثَ والجزاءَ ، هؤلاءِ بَطَلَتْ أعْمالُهُمُ الّتي كانوا يَرْجونَ نَفْعَها ، فلا يَلْقَوْنَ إلاّ جَزاءَ ما اسْتَمَرّوا عليْهِ منَ الكُفْرِ والمَعاصي .

وبعدَ هذا قصَّ القرآنُ الكَريمُ عليْنا قِصَّةً تُبيِّنُ رَذيلةً مِنْ رذائلِ بَني إسرائيلَ المُتعدِّدةِ ، وذلِكَ أنَّهم بعدَ أنْ ترَكَهُمْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ وذهبَ لِمُناجاةِ ربِّهِ مُسْتَخْلِفاً عليْهِم أخاهُ هارونَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، انْتَهَزوا لينَ جانبِ هارونَ معَهُم ، فعبَدوا عِجْلاً صَنَعهُ لهمُ السّامريُّ مِنَ الحَلْيِ الّتي أخذَتْها نِساؤُهُمْ مِنْ نساءِ القِبْطِ في مِصْرَ ، وقَدْ حاولَ هارونُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ما استطاعَ أنْ يَحولَ بينَهُمْ وبينَ الكُفرِ ، ولكنَّهُ لمْ يُفلِحْ فيما أرادَهُ منهُم ولهُم . فقالَ سُبْحانَهُ مبيِّناً ذلِكَ :

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

وبعدَ أنْ ذهبَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِمُناجاةِ ربِّهِ تَباركَ وتَعالى اتَّخَذَ قومُهُ مِنْ حُليِّهِمُ المُخَصَّصةِ للزِّينةِ جِسْماً على صورةِ العِجْلِ ، وكانَ له صوتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ البَقَرِ ، وقدْ صنَعَهُ لَهُمْ السّامريُّ وأمرَهُمْ بعبادتِهِ . ألَمْ يَرَوْا حينَ اتَّخذوهُ إلهاً وعَبَدوهُ ، أنَّه لا يُكلِّمُهُمْ ، ولا يَقدِرُ على هِدايتِهِمْ إلى طريقِ الصَّوابِ ؟ إنَّهم ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بِهذا العَمَلِ الشَّنيعِ .

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

ولمّا شَعَروا بزَلَّتِهِمْ وخَطئِهِمْ ، تحيَّروا ونَدِموا أشدَّ النَّدم على اتِّخاذِ العِجْلِ إلهاً ، وتبيَّنوا ضَلالَهُمْ تبيُّناً ظاهِراً ، وقالوا : واللهِ لئنْ لمْ يتُبْ عَلَيْنا ربُّنا ويَتجاوزْ عنّا لَنكونَنَّ مِنَ الّذينَ خَسِروا خُسْراناً بَيِّناً ، وذلِكَ بِوَضْعِهِمُ العبادةَ في غيرِ مَوْضِعِها ، وعِبادتِهِمْ شَيْئاً مَخْلوقاً ، وتخلِّيهِمْ عنِ عِبادةِ الخالِقِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الّذينَ يتكبَّرونَ في الأرضِ لا يَمْلِكونَ التَّدبُّرَ والتأمُّلَ في آياتِ اللهِ تَعالى .

٢ـ الكُفْرُ يُحبِطُ العَمَلَ ، ويَمْنَعُ الإنْسانَ مِنَ الإفادةِ مِنْ عَمَلِه .

٣ـ النَّدمُ بعدَ فواتِ الأوانِ لا ينفعُ .

٤ـ أعظمُ الخاسِرينَ مَنْ لمْ يَنلْ رحمةَ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

سبيلَ الرُّشْدِ ، سَبيلَ الغَيِّ ، خُوارٌ ، سُقِطَ في أَيْديهِمْ .

٢ـ مَنِ المَحْجوبونَ عَنْ تدبُّرِ آياتِ اللهِ تَعالى ؟ وما سَبيلُهُمْ ؟

٣ـ ما قيمةُ أعمالِ الكافِرينَ يومَ القيامةِ ؟

٤ـ بيِّنتِ الآياتُ الكَريمةُ سُرعةَ فسادِ بَني إسرائيلَ في أفكارِهِمْ ومُعْتَقداتِهِمْ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ماذا كانَ مِنْ بَني إسرائيلَ حينَ عَرَفوا خطأَ ما هُمْ فيهِ ؟

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسِفاً : حَزيناً .

أَعَجِلْتُم : أَسْتَبَقْتُمْ .

فلا تُشْمِتْ : فَلا تُسِرَّهُمْ بِما تنالُ مِنّي مِنَ المَكْروهِ .

المُفْتَرِينَ : الكذّابينَ .

التَّفسيرُ :

بيَّنَتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ بَني إسرائيلَ اتَّخذوا العِجْلَ إلهاً ، ثمَّ تَبيَّنَ لهُم بعدَ رُجوعِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنَّهم على خطأٍ وضلالٍ ، وأَعْلَمَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بقصَّتِهِمْ ، فَرَجَعَ إليهم غاضِباً حَزيناً ، قالَ تَعالى مبيِّناً هذا الشَّأْنَ :

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

ولمّا رجعَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ مِنْ مُناجاةِ ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ عليْهِمْ لِعبادَتِهِمُ العِجْلَ حزيناً ، وكانَ اللهُ تَعالى قدْ أخبَرَهُ بذلِكَ قَبْلَ رجوعِه ، قالَ لهُم : ما أقبَحَ ما فعلْتُمْ بعدَ غَيْبَتي !! أسَبَقْتُمْ بعبادةِ العِجْلِ ما أمرَكُمْ بِهِ ربُّكمْ مِنَ انْتِظاري ، وحِفْظِ عَهْدي حتّى آتيكُمْ بالتَّوراةِ ؟ وألقى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الألواحَ جانباً ، واتَّجهَ إلى أخيهِ لِشدَّةِ حُزْنِه حينَ رأَى ما رأَى مِنْ قومِهِ ، وأخذَ يشدُّ أخاهُ مِنْ رأسِهِ ، ويَجرُّهُ نحوَهُ مِنْ شِدّةِ الغَضَبِ ، فقالَ هارونُ لِموسى ـ عَليْهما السَّلامُ ـ : يا ابنَ أُمِّي ، إنَّ القومَ حينَ فَعَلوا ما فَعَلوا قدِ اسْتَضْعَفوني وقَهَروني ، وأرادوا قَتْلي لَمّا نَهيتُهُمْ عنْ عِبادةِ العِجْلِ ، فلا تُسرَّ الأعداءَ بإيذائِكَ لي ، ولا تَعتقِدْ أنّي واحِدٌ مِنَ الظّالِمينَ مَعَ براءَتي منهُم ومِنْ ظُلْمِهِمْ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لِيُرْضِيَ أخاهُ ، ولِيُظْهِرَ لأهلِ الشَّماتةِ رِضاهُ عنْهُ بعدَ أنْ ثبتَتْ براءَتُهُ : ربِّ اغْفِرْ لي ما فَرَطَ مِنّي مِنْ قَوْلٍ أوْ فعلٍ فيهِ غِلْظَةٌ على أخي ، واغْفِرْ لَهُ كذلِكَ ما عسَى أنْ يكونَ قدْ قصَّرَ فيهِ ممّا أنتَ أعلمُ بِهِ مِنّي ، وأدْخِلْنا في رحمتِكَ الّتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، فأنتَ أَرحمُ بعبادِكَ مِنْ كلِّ راحمٍ .

وبعدَ هذا صدَرَ في القرآنِ الكَريمِ الحُكْمُ الإلهيُّ الفاصِلُ بِشَأْنِ عَبَدةِ العِجْلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

إنّ الّذينَ اتَّخذوا العِجْلَ وعبَدوهُ مِنْ دونِ اللهِ ، واسْتَمرُّوا على ضَلالِهِمْ ، سَيُحيقُ بِهِمْ سَخَطٌ شديدٌ مِنْ ربِّهِم ، ولا تُقْبَلُ توبتُهُمْ إلاّ إذا قَتلوا أنْفُسَهُمْ ، وذلِكَ تَصْديقاً لقولِه تَعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٥٤] وسَيُصيبُهُمْ كذلِكَ هوانٌ وصَغارٌ في الحياةِ الدُّنيا ، وبمثلِ هذا الجزاءِ يُجازي اللهُ المُفْتَرينَ جميعاً في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، لِخُروجِهِم عنْ طاعتِهِ وتَجاوُزِهِمْ لِحدودِهِ ، فهُوَ جزاءٌ مُتكرِّرٌ كُلَّما تكرَّرَتِ الجريمةُ مِنْ بَني إسْرائيلَ وغيرِهِمْ . ثمَّ فتَحَ اللهُ تَعالى بابَ توبتِهِ لكلِّ تائبٍ صادِقٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣ ﴾

والّذينَ عَملوا الأَعْمالَ القَبيحةَ مِنَ الكُفْرِ وعِبادةِ العِجْلِ وسائرِ المعاصِي ، ثُمَّ تابوا مِنْ بعدِ فِعْلِهِمْ لها توبةً صادِقةً نَصوحاً ، ورَجَعوا إلى اللهِ تَعالى مُعتَذرينَ نادِمينَ مُخْلِصينَ لَه الدّينَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى مِنْ بعدِ الكبائِرِ الّتي أقْلَعوا عَنْها والمَعاصِي الّتي اقْتَرَفوها ثمَّ تَرَكوها ، وتابوا إلى اللهِ ، أنّ اللهَ تَعالى بعدَ ذلِكَ لَساتِرٌ عليْهِمْ أعمالَهُمُ السَّيْئةَ ، وغيرَ فاضِحِهِمْ بها ، رحيمٌ بِهِمْ ، وبكلِّ مَنْ كانَ مثلَهُمْ مِنَ التّائِبينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمه إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ يَغْضَبُ بِسَبَبِ المَعاصِي ويُقاوِمُها بشدَّةٍ ، ولا تَأْخُذُهُ في ذلِكَ لَومةُ لائِمٍ .

٢ـ المَصيرُ السَّيِّىءُ لِعبَدَةِ العِجْلِ في الدُّنيا والآخِرةِ ، وكذلِكَ لكلِّ مَنْ عَبَدَ غيرَ اللهِ .

٣ـ بابُ التَّوبةِ مفتوحٌ لكلِّ تائبٍ صادقٍ ، واللهُ تَعالى يَغْفِرُ الذُّنوبَ ، ويَسْتُرُ العُيوبَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أَسِفاً ، أَعَجِلْتُمْ ، فَلا تُشْمِتْ ، المُفْتَرينَ .

٢ـ بَيِّنِ الحالةَ الّتي رجَعَ بِها موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ . وما سببُ ذلِكَ ؟

٣ـ ذكرتِ الآياتُ أنَّ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ سريعُ الرُّجوعِ إلى الحقِّ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ بيّنِ الجزاءَ الّذي ينتظِرُ عَبَدَةَ العِجْلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ طَه الّتي تُبيِّنُ الحِوارَ الّذي دارَ بينَ موسى وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سورةِ النّساءِ الّتي تُبيِّنُ متى تُقْبَلُ التَّوْبةُ .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والعِشْرونَ

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَكَتَ : سَكَنَ .

الرَّجْفَةُ : الزَّلْزَلَةُ الشَّديدةُ أوِ الصّاعِقةُ .

فِتنَتُكَ : مِحنَتُكَ وابْتِلاؤُكَ .

هُدْنا إليْكَ : تُبْنا ورَجَعْنا إليْكَ .

التَّفسيرُ :

بيَّنَتِ الآياتُ السّابقةُ ما جَرى مِنْ قومِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ ما عَبَدوا العِجْلَ وحالةَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، واستيلاءَ الغضبِ عَليْهِ ، وبيَّنَتْ هذه الآياتُ الحالةَ الّتي صارَ عَليْها موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ بانَتْ لهُ الحقيقةُ ، فقالَ ـ سُبْحانَهُ ـ في هذا الشَّأْنِ :

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

ولمّا سكنَ عنْ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ الغضَبُ ، عادَ إلى الألواحِ الّتي ألْقاها وأخذَها ، وفي هذِهِ الألواحِ هُدىً وإرشادٌ وأسْبابُ رَحْمةٍ للّذينَ يَخافونَ غضَبَ ربِّهِمْ .

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

ثمَّ أمَرَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَأْتيَهُ في جَماعةٍ مِنْ قومِهِ يعتذِرونَ عمَّنْ عبَدوا العِجْلَ ، وَوَعَدَهُمْ مَوْعِداً ، فاخْتارَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ سَبعين رَجُلاً مِمَّنْ لمْ يَعبُدوا العِجلَ ، وهُمْ خُلاصةُ بَني إسرائيلَ وصُلَحاؤُهُمْ ، اختارَهُمْ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ليُمَثِّلوا قومَهُمْ ، وذَهَبَ بِهم إلى الطُّورِ ، فأخذتْهُمْ في ذلِكَ المكانِ زَلزلةٌ شديدةٌ غُشِيَ عليْهِم بِسَببِها .

فلمّا رأَى موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ذلِكَ الّذي حصلَ لهمْ قالَ : يا ربِّ لوْ شئتَ إهلاكَهُمْ أهلكتَهُمْ مِنْ قَبْلِ خُروجِهِمْ إلى الميقاتِ ، وأهْلَكْتَني معَهم ، ليرَى ذلك بَنو إسْرائيلَ فلا يَتَّهِموني بِقَتْلِهِمْ ، فلا تُهْلِكْنا يا ربِّ بِما فَعَلَ الجُهّالُ منّا ، فما مِحْنَةُ عبادةِ العِجْلِ إلاّ فتنةٌ منْكَ ، وامتحانٌ أضلَلْتَ بِها مَنْ شئتَ إضْلالَهُ مِمَّنْ سَلَكوا سبيلَ الشَّرِّ ، وهديْتَ بِها مَنْ شئتَ هدايتَهُ ، أنتَ يا ربِّ القائِمُ بأُمورِنا كلِّها ، لا أحدَ غيرُكَ ، فاغْفِرْ ما فَرط منّا ، وارْحَمْنا برَحْمَتِك الّتي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ ، وأنت خيرُ الغافِرينَ ، إذْ كلُّ غافرٍ سِواكَ إنَّما يَغفِرُ لِغَرَضٍ نفسانيٍّ ، كحُبِّ الثَّناءِ ، واجتذابِ المنافِعِ ، أمّا أنْتَ يا إلهَنا فَمَغفِرَتُكَ لا لِطَلَبِ عِوَضٍ أو غَرَضٍ ، وإنّما هيَ لِمَحْضِ الفَضْلِ .

ثمَّ أضافَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ إلى هذهِ الدَّعَواتِ الطَّيباتِ دَعواتٍ أُخرىَ ، فقالَ كما حكَى القرآنُ الكَريمُ عنْهُ :

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

قالَ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ داعياً ربَّه تَعالى : وقَدِّرْ لنا في هذهِ الدُّنيا حياةً وتوفيقاً للطّاعةِ ، وفي الآخِرةِ مَثوبةً حَسَنةً ورَحْمةً ، لأنّنا رجَعْنا إليْكَ وتُبْنا إليكَ . فقالَ اللهُ تَعالى ردّاً على نبيِّهِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : يا موسى ، إنَّ عذابي الّذي تَخشَى أنْ يُصيبَ قومَكَ أُصيبُ بهِ مَنْ أشاءُ تعذيبَهُ مِنَ العُصاةِ ، فقدِ اقتضتْ حِكْمَتي أنْ أجازِيَ الّذينَ أساءوا بما عَمِلوا ، وأُجازِيَ الّذين أحْسَنوا

بالحُسْنى ، وسأكْتُبُ رحمَتي للّذينَ يَصونونَ أنفُسَهُمْ عنْ كُلِّ ما يُغْضِبُ اللهَ تَعالى ، ويؤدّونَ الزّكاةَ المَفروضةَ عَلَيْهِمْ في أَمْوالِهِمْ ، وسَأكْتُبُها كذلِكَ للّذينَ هُم بآياتِنا يُؤْمِنونَ إيماناً تامّاً خالِصاً لا رياءَ فيهِ ولا نَقْصَ مَعَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنْها :

١ـ التَّوراةُ كتابُ اللهِ تَعالى ، فيهِ الهِدايَةُ للنّاسِ الّذينَ نَزَلَ فيهِمْ .

٢ـ عظيمُ أدبِ موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ معَ ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى .

٣ـ وِلايةُ المؤمِنينَ إنّما هيَ لِرَبِّهِمْ سُبْحانَهُ ، والمؤمنُ حَريصٌ على أنْ يَرْجِعَ إلى اللهِ ويَستَغْفِرَهُ مِنْ كلِّ الذُّنوبِ .

٤ـ الإيمانُ وأداءُ الزّكاةِ مِنْ أخْلاقِ الصّالِحينَ الّذينَ يَنالونَ رحمةَ اللهِ تَعالى بإيمانِهِمْ وحُسْنِ أَعمالِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

سَكَتَ ، أخذَتْهُمُ الرَّجفةُ ، فِتنَتُكَ ، هُدْنا إليكَ .

٢ـ بيِّنْ ما الّذي جرى لِموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بعدَ أنْ سَكَتَ غَضَبُهُ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ مَنزلةَ كتابِ التَّوراةِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ لماذا أخذَتِ الرَّجفةُ القومَ المُختارينَ مِنْ قومِ موسى عليْهِ السَّلامُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سورةِ طه الّتي تُبيِّنُ ما فعلَهُ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ بالسّامِريِّ الّذي صَنعَ العِجْلَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّابِعُ والعِشْرونَ

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الأُمِّيِّ : الّذي لا يقرأُ ولا يكتبُ .

إِصْرَهُمْ : أَثْقالَهُمْ .

الأَغْلالَ : أَصْلُ الغِلِّ : القَيْدُ الّذي يَحُدُّ مِنَ الحَرَكَةِ ، والمرادُ : التّكاليفُ الشّاقَّةُ .

عزَّروهُ : وقّروهُ وعَظّموهُ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ بَيَّنتِ الآياتُ ما جَرى لموسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ والسّبعينَ الّذينَ اختارَهُمْ ، بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ صِفاتِ أَهْلِ رحمةِ اللهِ تَعالى ورسولِهِمْ ﷺ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

إنَّ الّذينَ يَنالونَ رحمةَ اللهِ تَعالى الّتي وَسِعتْ كُلَّ شيءٍ هُمُ الّذينَ يَتّبعونَ النَّبيَّ ﷺ الّذي وردَ اسمُهُ مَكْتوباً عِنْدَهم في التَّوراةِ والإنْجيلِ ، والمَوصوفَ بِصِفاتٍ مُتعدِّدةٍ ذكَرَها اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ وهِيَ :

أولاً : أنّه ﷺ جُمِعَ لهُ بينَ وَصْفِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ على حَدٍّ سواءٍ ، ليجمعَ بَيْنَ الخَيْرَيْنِ .

ثانياً : أنّه أُمِّيٌّ ما قرأَ ولا كَتَبَ ، ولا جَلَسَ إلى مُعلِّمٍ ، ولا أخذَ عِلْمَهُ عنْ أحدٍ ، ولكنّ اللهَ تَعالى أوحى إليهِ بالقُرآنِ الكَريمِ عنْ طريقِ جبريلَ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ ، وأفاضَ عليْهِ عُلوماً نافِعةً تُوَضِّحُ ما أنزلَهُ عليْهِ مِنَ القرآنِ الكَريمِ .

ثالثاً : أنَّه ﷺ مذكورٌ اسمُهُ ونَعْتُه في التَّوراةِ والإنجيلِ ، وهذا مِنْ أكْبرِ الدَّواعي لهُم إلى الإيمانِ بهِ والتَّصديقِ برسالَتِهِ ، ولكنَّهُ ـ عليْهِ السَّلامُ ـ لمَّا بُعِثَ حَسَدَهُ أهْلُ الكتابِ ، بخاصةٍ اليهودُ ، وعادَوْهُ أشدَّ العَداءِ ، فاسْتَحقُّوا لعنَةَ اللهِ تَعالى وغَضَبَهُ .

رابعاً : أنَّ هذا النَّبيَّ الكَريمَ يَأْمُرُ بالمعروفِ ، الّذي يَتناولُ الإيمانَ باللهِ تَعالى وملائِكتِهِ وكُتبِهِ واليوم الآخرِ ، كما يتناولُ أيضاً مكارمَ الأخلاقِ ومحاسنَ الشِّيَمِ والصِّفاتِ ، وغيرَ ذلِكَ ممّا جاءَ به الشَّرْعُ الحنيفُ مِنْ أُمورٍ ارْتاحَتْ لَها العقولُ السَّليمةُ والقلوبُ الطّاهِرةُ ، وكذلِكَ هذا النَّبيُّ ﷺ يَنْهى عنِ المُنْكَرِ الّذي يَتناولُ الكُفْرَ والمَعاصي ومساوِىءَ الأخلاقِ .

خامساً : أنَّ النَّبيَّ ﷺ يُحِلُّ لِمَنْ آمنَ بهِ الطَّيباتِ ، ويُحرِّمُ عليهِمُ الخبائِثَ ، يُحِلُّ لهمْ ما حرَّمَهُ اللهُ تَعالى مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الطّيباتِ ، وكانَ تحريمُها عليهِم بِسَببِ ظُلْمِهِمْ وفِسْقِهِمْ عُقوبةً مِنَ اللهِ تَعالى لهُم ، ويُحِلُّ كذلكَ ما كانوا حَرَّمُوهُ على أنْفُسِهِم ممّا لَمْ يأذَنْ به اللهُ تَعالى بهِ كلحومِ الإبلِ وأَلبانِها ، ويُحرِّمُ عليْهِم ما هُوَ خبيثٌ كالدَّمِ ولَحْمِ المَيْتَةِ والخِنزيرِ ، وكَأَكْلِ الرِّبا وأَكْلِ أموالِ النّاسِ بالباطلِ وغيرِ ذلكَ .

سادساً : أَنَّه ﷺ يَضَعُ عمَّنْ آمنَ بهِ مِنْ أهلِ الكتابِ إصْرَهُم والأَغْلالَ الّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ ، أيْ يرفعُ عَنْهُم ما ثَقُلَ عَلَيْهِمْ مِنَ التّكاليفِ الّتي كلّفَهُمْ إيّاها ربُّ العالَمينَ بسببِ ظُلْمِهِمْ . وقدْ كانَ بَنو إسرائيلَ قدْ كُلِّفوا بأَنَّ الرجلَ منهُم إذا أصابَ ثوبَهُ بولٌ قطعَ ذلكَ الجُزْءَ مِنَ الثَّوبِ ، وإذا جَمَعوا الغنائمَ نزلَتْ نارٌ مِنَ السَّماءِ فَأَحْرَقتْها ، وقدْ رفعَ اللهُ تَعالى ذلكَ كُلَّهُ عنهُمْ إذا آمنوا بالنَّبيِّ ﷺ .

وقَدْ كانَ مِنَ الواجبِ على أهلِ الكتابِ أنْ يَتَّبعوا النَّبيَّ ﷺ الّذي هذهِ صِفاتُهُ والّذي في اتّباعهِ سَعادتُهُمْ في دُنياهُمْ وآخرتِهِمْ ، ولهذا جاءَ خَتْمُ هذهِ الآيةِ الكريمةِ مُبيِّناً حالَ المُصدِّقينَ لِنبيّهِ عليْهِ السّلامُ : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أيْ فالّذينَ آمنوا بهذا الرّسولِ ﷺ مِنْ بَني إسرائيلَ وغيرِهِمْ وعَزَّروهُ بأَنْ مَنعوهُ وحَمَوْهُ مِنْ كلِّ مَنْ يُعاديهِ ، ونَصروُه بكلِّ وسائلِ النَّصْرِ ، واتَّبَعوا القرآنَ والوَحْيَ الّذي جاءَ بِهِ ، ودَعا النّاسَ إليهِ ، أولئكَ همُ الفائزونَ الظّافِرونَ برحمةِ اللهِ تَعالى ورِضوانِهِ .

وبذلِكَ تكونُ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ قَدْ وصفَتِ النَّبيَّ ﷺ بأحسنِ الصِّفاتِ ، وأقامتِ الحُجَّةَ على أهلِ الكتابِ بِما يَجدونهُ في كُتُبِهِمْ وعلى ألسنَةِ رُسُلِهِمْ بأنَّهُ ﷺ ما جاءَ إلاَّ لهدايَتِهِم وسَعادَتِهِم ، وأنَّهُمْ إنْ آمنوا بِهِ وصَدَّقوهُ كانوا مِنَ الفائِزينَ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

قلْ يا أيُّها النَّبيُّ للنّاسِ : إنّي مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ تَعالى إليكُم جميعاً ، لا فَرْقَ بينَ عربيٍّ وعَجَميٍّ ، ولا أبيضَ ولا أسودَ ، ولا وثنيٍّ ولا كِتابيٍّ ، واللهُ تَعالى الّذي أرْسَلَني لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ ، لا مَعبودَ بحقٍّ إلاّ هُوَ ، وهُو سُبْحانَهُ الّذي يَقْدِرُ على الإحْياءِ والإماتةِ دونَ غيرِهِ ، فآمنوا أيُّها النّاسُ بِهِ وبِرَسولِهِ النَّبيِّ الّذي لا يَقرأُ ولا يَكتبُ ، وهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ تَعالى ويَدْعوكُمْ إلى الإيمانِ بِهِ ، ويُؤْمِنُ بكُتبِهِ المُنزَّلَةِ ، واتَّبعوهُ في كلِّ ما يفعلُ ويقولُ لِتَهتَدوا وتَرْشُدوا . وبهذا تكونُ هذه الآيةُ وصَفَتِ النَّبيَّ ﷺ وصْفاً جَديداً يُضافُ إلى الأوصافِ السِّتةِ السّابقةِ في الآيةِ الأُولى (١٥٧) ، وهذه الصِّفةُ هِيَ عمومُ رسالتِه ﷺ جميعاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ البشارةُ بالنَّبيِّ ﷺ في التَّوراةِ والإنجيل .

٢ـ الأَمْرُ بالمَعْروفِ والنَّهْيُ عنِ المُنْكَرِ مِنْ خصائِصِ الرِّسالةِ المُحمَّديّةِ .

٣ـ التّيسيرُ على النّاسِ ورَفْعُ الحَرَجِ عنْهُم مِنْ خصائِصِ هذهِ الشَّريعةِ المُبارَكَةِ .

٤ـ شَرْطُ الفلاحِ الإيمانُ بنُبوّةِ النَّبيِّ ﷺ ومُناصَرتُهُ ، فَهُوَ مَبعوثٌ إلى النّاسِ جَميعاً .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

إِصْرَهُم ، الأَغلالَ ، عزَّروهُ ، الأُمِّيَّ .

٢ـ وصَفَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بأَوْصافٍ مُتعدِّدةٍ ، اذْكُرْ هذهِ الأوصافَ مرتَّبةً كما جاءتْ في الآياتِ الكَريمةِ .

٣ـ ماذا يَلزمُ مَنْ سَمِعَ بالنَّبيِّ ﷺ ورسالَتِهِ ؟

٤ـ في الآياتِ الكَريمةِ حُجَّةٌ على أهلِ الكتابِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ما موقفُ أهلِ الكتابِ منْ رسالةِ النَّبيِّ ﷺ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يُبيِّنُ أُمِّيَّةَ الرَّسولِ ﷺ مِنْ حادثةِ نُزولِ المَلَكِ في غارِ حراءٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ مِنْ سورةِ البقرةِ ، وتَبَيَّنْ ما فِيها منْ رحمةِ اللهِ بالمؤمنينَ وتيسيرِهِ عليْهِم .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً شريفاً يَدُلُّ على عُمومِ رِسالةِ سيِّدِنا محمّدٍ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والأربعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ والعِشْرونَ

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- يَهدونَ : يُرْشِدونَ ويَدلّونَ .
- بِهِ يَعدِلونَ : بالحقِّ يَحْكُمونَ في الخُصوماتِ بَيْنَهُم .
- قَطَّعناهُم : صيَّرناهُم وفرَّقْناهُم .
- أَسباطاً : جماعاتٍ وقبائلَ .
- انْبَجَسَتْ : خَرَجَتْ مِنْ مكانٍ ضيّقٍ .
- مَشرَبَهُمْ : العينَ الخاصّةَ بهم .
- الغَمامَ : السَّحابَ الأبيضَ الرَّقيقَ .
- المَنَّ : مادةً صِمْغيَّةً حُلْوةً كالعَسَلِ .
- السَّلْوى : الطّائرَ المعروفَ بالسُّمّانيِّ .
- حِطَّةٌ : حُطَّ عنّا ذنوبَنا واغفِرْها لنا .
- رِجْزاً : عَذاباً .



التَّفسيرُ :

بَعْد أنْ بيَّنت الآياتُ السَّابقةُ أحوالَ النَّبيِّ ﷺ ، وما يَنْبغي على أهلِ الكتابِ وغيرِهِمْ تِجاهَ دَعْوَتِهِ ، بدأَتِ الآياتُ تُحدِّثُنا عنْ بَني إسْرائيلَ ، وعنْ بعضِ نِعَمِ اللهِ - تعالى - عَلَيْهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

ومِنْ قومِ موسَى - عليْهِ السَّلامُ - جماعةٌ بَقوا على الدِّينِ الصَّحيحِ ، يَهدونَ النَّاسَ بالحقِّ الَّذي جاءَهُم بِهِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وبالحقِّ أيضاً يَسيرونَ في أحكامِهِمْ فلا يَجورونَ ، وإنّما يَعْدِلُونَ في كلِّ أحْوالِهِمْ وشُؤونِهِمْ ، وهذا القولُ يُمثِّلُ عدالةَ القُرْآنِ معَ بَني إسرائيلَ ، إذْ أنصَفَهُم وتَحدَّثَ عنِ المُخْلِصينَ مِنهُم .

ثُمَّ ذكرَ القرآنُ الكَريمُ بَعْضَ النِّعمِ الَّتي أنعمَ اللهُ تعالى بها على بَني إسرائيلَ ، وكيفَ كانَ مَوْقِفُ هؤلاءِ الجاحِدينَ لها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

بيَّنَ اللهُ تعالى نِعمَهُ على قومِ موسى - عليْهِ السَّلامُ - ، فَقَدْ صَيَّرَهُمْ اثْنَتي عَشْرةَ فِرْقةً وجعَلَهُمْ جَماعاتٍ ، وميَّزَ كلَّ فِرْقةٍ بنِظامِها ، مَنْعاً للتَّحاسُدِ والخِلافِ ، وأوحَى إلى موسى - عليْهِ السَّلامُ - حينَ طلبَ منْهُ قومُهُ الماءَ في التِّيهِ ، بأنْ يَضْرِبَ الحَجرَ بعصاهُ ، فخرجَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرةَ عيناً بعدَدِ الأسْباطِ ، وقدْ عَرفَ كُلُّ جماعةٍ منهُم مكانَ شُرْبِهِمُ الخاصَّ بهم ، فلا يُزاحِمُهُمْ فيهِ غيرُهُمْ ، وجَعَلَ لَهُمُ السَّحابَ يُلْقي عليهِم ظِلَّهُ في التِّيهِ لِيَقيَهُمْ حرَّ الشَّمسِ ، وأَنزلَ عليْهِمُ المَنَّ والسَّلوى ، وقالَ لَهُم : كُلوا مِنْ مُسْتَلذّاتِ ما رزقْناكُم ممّا أنْزَلْنا عليْكُم ، فَظلمو أنْفُسَهُم وكفَروا بتلكَ النِّعمِ ، وطَلَبوا غيرَها ، وما رجعَ إلى اللهِ تعالى ضَررُ ظُلْمِهِمْ ، ولكنَّهُ كانَ مَقصوراً عليْهِم .

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ لِمنْ وُجِدَ مِنْ بَني إسرائيلَ في زَمانِكَ تَقْريعاً لهُم بِما فَعَلَ أسْلافُهُم ؛ اذكُرْ

لهُم قَوْلَنا لأسْلافِهِمْ على لسانِ موسى ـ عليْهِ السَّلامُ ـ : اسْكُنوا بعدَ الخروجِ مِنَ التِّيهِ ، وكُلوا مِنْ خيراتِها الّتي في أيَّةِ ناحيةٍ مِنْ نواحيها كمَا تَشاءُونَ ، وقولوا نَسْأَلُكَ يا ربَّنا أَنْ تَحُطَّ عنَّا خَطايانا ، وادْخُلوا بابَ القريةِ خافِضي الرُّؤوسِ ، كهيئةِ الرُّكوعِ تَواضُعاً للهِ تعالى ، إنَّكُمْ إذا فَعَلْتُم ذلكَ تجاوَزْنا عنْ ذُنوبكُمْ ، وسَنزيدُ ثوابَ مَنْ أحسَنوا الأَعْمالَ الصّالِحةَ .

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

إنَّ بَني إسرائيلَ بدّلوا أَمْرَ اللهِ تعالى لَهُمْ مِنَ الخُضوعِ بالفِعْلِ والقَوْلِ ، فقدْ أُمِروا أنْ يَدْخلوا البابَ سُجَّداً ، فدخَلوا يَزْحَفونَ على أستاهِهِمْ رافِعي رُؤوسِهِم ، وأُمِروا أنْ يَقولوا حِطَّةٌ ؛ أيْ : احْطُطْ عنَّا ذُنوبَنا ، فاسْتَهزَءُوا وبدَّلوا ، وقالوا : حبَّةٌ في شعيرةٍ ، وهذا غايةُ ما يكونُ مِنَ المُخالفاتِ والمُعانَدةِ ، فأنْزَلَ اللهُ تعالى بِهِمْ بأسَهُ وعَذابَه بِفِسْقِهِمْ وخُروجِهِمْ عنْ طاعتِهِ .

أخرجَ البُخاريُّ في مَعنى هذهِ الآيةِ قولَ النَّبيِّ ﷺ : (قيلَ لِبَني إسرائيلَ ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقُولوا حِطّةٌ ، فبدَّلوا ، فدخَلوا يزحَفونَ على أستاهِهِمْ ، وقالوا : حبَّةٌ فِي شَعيرةٍ)[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ عدالةُ القرآنِ الكَريمِ في الحديثِ عنْ بَني إسْرائيلَ بحيثُ أنْصَفَهُمْ ذاكِراً سَيِّئاتِهِمْ وحَسَناتِهِمْ .

٢ـ إنَّ الصِّفةَ الّتي اتَّصفَ بها بَنو إسرائيلَ أنَّهم على غيرِ وِفاقٍ .

٣ـ بَنو إسرائيلَ كانوا كَثيري الاسْتِهزاءِ بما طَلَبَهُ اللهُ تعالى مِنْهُم ، فاستَحقُّوا العذابَ والغَضَبَ الإلهيَّ نتيجةً لذلكَ .

---

(١) رواه البخاري : ٣/ ١٢٤٨ حديث رقم (٣٢٢٢) ، ورواه مسلم : ٤/ ٢٣١٢ حديث رقم (٣٠١٥) .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرداتِ التّاليةِ :

وبهِ يعدِلونَ ، أَسْباطاً ، انْبَجَستْ ، حِطةٌ ، رِجْزاً .

٢ـ كانَ القرآنُ الكَريمُ عَدْلاً في الإِخبارِ عنْ بَني إسْرائيلَ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ كيفَ تَستنبطُ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ أنّ أسباطَ بني إسرائيلَ كانوا على غيرِ وِفاقٍ ؟

٤ـ كَمْ عددُ أسباطِ بني إسرائيلَ ؟

٥ـ عدّدتِ الآياتُ الكَريمةُ مَجْموعةً مِنْ نِعَمِ اللهِ ـ تعالى ـ على بَني إسرائيلَ ، اذكرْ ثلاثاً مِنْها .

٦ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ اسْتِهزاءَ بَني إسرائيلَ بأوامرِ اللهِ تَعالى ، وضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً منْ سورةِ البَقرةِ تُبيِّنُ ما طلبَهُ بَنو إسرائيلَ مِنَ الطَّعامِ غيرِ المنِّ والسَّلوى .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَصْفَ رسولِ اللهِ ﷺ حينَما دخلَ مكَّةَ فاتِحاً .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني والأربعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ التاسِعُ والعِشْرونَ

وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

التَّفسيرُ :

حَاضِرةَ البَحرِ	: قريبةً مِنَ البحر .
يَعدونَ في السَّبتِ	: يعتَدونَ بالصَّيدِ فيهِ وهوَ مُحرَّمٌ عَليْهِم .
يومَ سَبْتِهِم	: يومَ تَعظيمِهِمْ أمْرَ السَّبتِ .
شُرَّعاً	: ظاهِرةً على وجهِ الماءِ وبِكَثْرةٍ .
لا يَسبِتونَ	: لا يُراعونَ حُرْمةَ يوم السَّبتِ .
نَبلوهُم	: نَمتحِنُهُم ونَختبِرُهُمْ .
مَعذرةً إلى رَبِّكُم	: نَعِظُهُمُ اعتِذاراً إليهِ تعالى .
بعذابٍ بَئِيسٍ	: شديدٍ موجِعٍ .
عَتَوْا	: اسْتكبَروا واسْتَعْصَوْا .
قِرَدةً خاسِئينَ	: مَسَخَهُمُ اللهُ تَعالى في هيئةِ القِرَدةِ ، وجعلَهُم أذلاَّءَ مُبْعَدينَ مِنْ رَحْمتهِ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنتِ الآياتُ السَّابقةُ عُتُوَّ بنِي إسرائيلَ ، واسْتِكبارَهُمْ على أوامرِ اللهِ ـ تَعالى ، بيَّنَتْ هذهِ الآياتُ نموذجاً آخرَ مِنْ نماذجِ اسْتِهْزائِهِمْ واسْتِكبارِهِمْ وعِنادِهِمْ ، فقالَ سبحانَه مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

تتحدَّثُ الآيةُ الكَريمةُ عنْ رَذيلةٍ منْ رذائلِ بَني إسرائيلَ الكثيرةِ ، وهيَ تحايلُهُم على اسْتِحلالِ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وجَشَعِهِمْ وضَعْفِ إرادَتِهِمْ . وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى أخذَ على اليهودِ عَهْدَاً أنْ يَتفرَّغوا لعبادتهِ يومَ السَّبْتِ ، وحرَّمَ عليهِمُ الاصْطيادَ فيهِ دونَ سائرِ الأيَّام ، واختباراً منْهُ سبحانَه لإيمانهِمْ ووَفائِهِمْ لِعُهودِهِمْ ، أرْسَلَ اللهُ سبحانَه إليهِمُ الحيتانَ يومَ السَّبْتِ دونَ غيرِه ، فكانَتْ تَتراءَى لهُم على السَّاحلِ في ذلكَ اليومِ قريبةَ المَأْخذِ سهلةَ الاصْطيادِ .

وهُنا طغَتْ عليهِمْ شَهَواتُهم ومَطامِعُهُمْ ، وفكَّروا في حيلةٍ لاصْطيادِ هَذهِ الحيتانِ في يوم السَّبْتِ ، قالوا : لا مانعَ منْ أنْ نَحفُرَ إلى جانبِ ذلكَ البحرِ الَّذي يَزْخَرُ بالأسماكِ في يومِ السَّبْتِ أحواضاً تَنْسابُ إليها المياهُ ومَعَها الأسماكُ ، ثُمَّ نَتركُ هذهِ الأسماكَ مَحبوسةً في الأحواضِ في يوم السَّبْتِ ، لأنَّها لاَ تستطيعُ الرُّجوعَ إلى الماءِ بِسَبَبِ هذهِ الأحواضِ وقلَّةِ الماءِ فيها ، ثمَّ نَصْطادُها بعدَ ذلكَ في غيرِ يوم السَّبْتِ ، وبذلكَ نَجْمَعُ بينَ احترام ما عُهِدَ إليْنا في يومِ السَّبتِ ومَا تَشْتَهيهِ أنفُسُنا مِنَ الحصولِ على تلكَ الأَسْماكِ .

واسأَلْ يا مُحمَّدُ اليهودَ اسْتِنكاراً لِما فعلَ أسلافُهُمْ ، وتَقريعاً لهُم على عِصْيانِهِمْ ، لعلَّهمْ يَتوبوا ويَرجعوا إلى الحقِّ ، ولا يُعَرِّضوا أنفسَهُمْ لِعقوباتٍ كالّتي نَزلَتْ في أسلافِهِمْ ، اسأَلْهُمْ عنْ خَبَرِ القريةِ الّتي كانَتْ قريبةً مِنَ البحرِ ، حينَ كانوا يَتجاوَزونَ حُدودَ اللهِ تَعالى في يومِ السَّبتِ ، وحينَ كانَتْ تَأْتيهِمْ حيتانُ الأسماكِ ظاهِرةً على وجهِ الماءِ يومَ السَّبتِ ، وفي غيرِه لا تأتِيهِمُ ، ابتلاءً مِنَ اللهِ تَعالى ، وَبِمِثْلِ ذلكَ البلاءِ المَذكورِ نَبلوهُمْ بلاءً آخَرَ بسببِ فِسْقِهِمُ المُستَمِرِّ ، لِيَظْهَرَ منهُم المُحسِنُ مِنَ المُسيءِ .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

تَتحدّثُ هذه الآيةُ عنْ أهلِ القريةِ مِنْ بَني إسرائيلَ ، فقَدْ كانوا ثلاثَ فِرَقٍ :

الفِرْقةُ الأُولى : فرقةُ المُعتَدينَ في السَّبتِ المُتجاوِزينَ حدودَ اللهِ تعالى عَمْداً وإصْراراً .

الفِرْقةُ الثّانيةُ : فرقةُ اللّائمينَ للنّاصِحينَ لِيَأْسِهِمْ مِنْ صلاحِ المُعتَدينَ .

الفِرْقةُ الثّالثةُ : فرقةُ النّاصِحينَ الواعِظينَ .

والحديثُ في هذهِ الآيةِ عنِ الفِرْقةِ الثّانيةِ ، حيثُ قالتْ فرقةٌ مِنْ أهلِ هذهِ القريةِ لإخوانِهِمُ الّذينَ لَمْ يأْلوا جُهْداً في نَصيحةِ المُعتَدينَ في السَّبتِ : لِمَ تَعِظونَ قَوْماً لا فائدةَ مِنْ وعْظِهِمْ ولا جَدوى مِنْ تَحْذيرِهِمْ ، لأنَّ اللهَ تعالى قدْ قَضى باسْتِئصالِهِمْ وتَطهيرِ الأرضِ مِنْهُمْ ، أوْ بِتَعْذيبِهِمْ عذاباً شَديداً جزاءَ تَماديهِمْ في الشَّرِّ ، وصَمَمِهِمْ عنْ سماعِ المَوْعِظةِ . فكانَ ردُّ النّاصِحينَ عَلَيْهِمْ : إنّ ذلكَ النُّصْحَ لِسَببينِ اثْنَيْنِ :

الأولُ : الاعْتِذارُ إلى اللهِ تعالى مِنْ مَغبَّةِ التَّقصيرِ في واجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عنِ المُنكَرِ .

الثّاني : الأَمَلُ في صَلاحِهِمْ وانْتفاعِهِمْ بالمَوْعِظةِ ، حتَّى يَنجوا مِنَ العقوبةِ ويَسيروا في طريقِ المُهتَدينَ .

ثُمَّ يُبيّنُ اللهُ تعالى هنا عاقبةَ كُلٍّ مِنَ الفِرْقَة النّاهيةِ والعاصِيَةِ ، فيقولُ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ .

فلمّا تَركوا ما وُعِظوا بهِ ، وازْدَادوا طُغياناً ، أَنْجَيْنا الّذينَ يَنهَوْنَ عنِ العملِ السَّيِءِ مِنَ العذابِ ، وأخَذْنا الّذينَ ظَلَموا واعتَدَوْا وخالَفوا بعذابٍ شديدٍ مُوجِعٍ ، بسببِ اسْتِمرارِهِمْ على الخُروجِ عَنْ طاعةِ ربِّهِمْ تَباركَ وتعالى .

﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

إنّ اللهَ تعالى عذّبَ هؤلاءِ بالبؤسِ والشَّقاءِ والعَذابِ الموجعِ الأليمِ فلَمْ يَرتَدِعوا ، فلمَّا قَسوا واستمرُّوا على ما هُمْ عليْهِ مِنَ المعصيةِ ، ولم يرْتَدِعوا وَيَثوبوا إلى رُشْدِهِمْ ، مَسَخَهُم اللهُ تعالى مَسْخاً خُلُقيًّا وجِسْميّاً ،فكانوا قِرَدةً على الحقيقةِ ، ولكنَّها قِرَدَةٌ خاسِئَةٌ ذليلةٌ .

وتلكَ العقوبةُ كانَتْ جزاءَ إمْعانِهِمْ في المَعاصي ، وتأبِّيهِمْ على قَبولِ النَّصيحةِ ، وضَعْفِ إرادَتِهِمْ أمامَ مُقاومةِ أطْماعِهِمْ ، وانْتِكاسِهِمْ إلى عالَمِ الحيوانِ ، ولِتَخلِّيهِم عنْ خَصائصِ الإنسانِ ، فكانوا حيثُ أرادوا لأنفسِهِمْ مِنَ الصَّغارِ والهَوانِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ للهِ تعالى أنْ يبتَلِيَ عبادَهُ بما شاءَ ، فعلى المُؤمِنِ أَنْ يَلتزِمَ ، ولا يَتحايلَ على شَرْعِ اللهِ .

٢ـ لا يتوقّفُ الرَّجلُ الصّالِحُ عنِ الأمرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكرِ ، إذا زادَ الكافِرونَ والعُصاةُ في طُغيانِهِمْ .

٣ـ ينبَغي عدمُ اليأسِ منْ كَثْرةِ المَعاصي ، فَقدْ يتوبُ أهْلُها إلى اللهِ تَعالى .

٤ـ العاقبةُ الحَميدةُ للآمِرينَ بالمعروفِ والنّاهينَ عنِ المُنْكَرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

حاضِرةَ البحرِ ، يَعْدونَ في السّبتِ ، شُرَّعاً ، عَتَوْا .

٢ـ ما العِبْرَةُ مِنْ سؤالِ اليهودِ المُعاصِرينَ للنَّبيِّ ﷺ عنْ ماضي أسْلافِهِمْ ؟

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ أَهلَ القريةِ كانوا ثلاثَ فِرَقٍ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ لِماذا كان النّاصِحونَ يَنْصَحونَ العُصاةَ ؟

٥ـ ذكرَتِ الآياتُ الكَريمةُ عاقِبَةَ أمْرِ المُعْتَدي ، بيِّنْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْترِكَ آياتِ سورةِ البقرةِ الّتي تحدّثتْ عنِ المُعْتَدينَ يومَ السَّبتِ وما حَصَلَ لهمُ نتيجةً لذلكَ .

تَعَلَّمْ :

اعْلَمْ أنَّ القومَ الّذينَ مَسَخَهُمُ اللهُ تعالى قِردةً وخَنازيرَ مِنْ بَني إسرائيلَ ماتوا دونَ أنْ يكونَ لهُمْ نَسْلٌ أوْ ذُرِّيَّةٌ ، واللهُ تعالى أعْلَمُ .

الدَّرْسُ الثّالِثُ والأرْبَعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّلاثونَ

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تأذَّنَ ربُّكَ	: أعْلَمَ .
يَسومُهُم	: يُذيقُهُمْ ويُكلِّفُهُمْ .
بَلَوْناهُمْ	: امْتحنّاهُم واختَبَرْناهُمْ .
خَلْفٌ	: بَدَلُ سَوْءٍ .
عَرَضَ هذا الأدْنى	: ما يَعْرِضُ لهُم مِنْ حُطامِ الدُّنيا .
دَرَسوا ما فيهِ	: قَرأوا وعَلِموا ما في التَّوراةِ .
نَتقْنا الجَبَلَ	: رَفعْناهُ .
ظُلَّةٌ	: غَمامةٌ أو سَقيفةٌ تُظِلُّ مَنْ تحتَها .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما تَجرّأَ عليهِ اليهودُ مِنَ الاعْتِداءِ على أوامِرِ اللهِ تَعالى وحُرُماتِهِ ، وأنّه سُبْحانَهُ عاجَلَهُمْ في الدُّنيا بالعُقوبَةِ المُخزيَةِ ، بيَّنَ سُبْحانَهُ في هذهِ الآياتِ ما توَّعدَ بِهِ بني إسرائيلَ عامّةً مِنْ عُقوباتٍ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وقَسْوَتِهِمْ وإفْسادِهِمْ في الأرضِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ .

واذْكُرْ يا مُحمَّدُ ﷺ وقْتَ أنْ أعْلَمَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ اليهودَ وأسْلافَهُمْ ، بأنَّهُمْ إنْ غيَّروا وبدَّلوا ولَمْ يُؤْمِنوا بأنبيائِهِمْ ، لَيُسلِّطَنَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ إلى يوم القيامةِ مَنْ يُذيقُهُمْ سوءَ العذابِ ، كالإذْلالِ وغيرِهِ مِنْ صُنوفِ العذابِ ، إنَّ ربَّكَ سُبْحانَهُ لَسَريعُ العِقابِ لِمنْ أقامَ على الكُفْرِ وجانبَ طريقَ الحقِّ ، وإنّهُ لَغفورٌ رحيمٌ لِمَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالِحاً .

وقدْ يبدو للبعضِ أَنَّ هذا الوعيدَ قدْ توقَّفَ ، بِسَبَبِ ما نَرى لليهودِ الآنَ مِنْ دَوْلَةٍ وصَوْلَةٍ ، وهذا ليسَ صواباً ، إذْ إنَّ هذا الوعيدَ لمْ يتوقَفْ معَ ما لهُمْ مِنْ دولةٍ ، فإنَّهم ما زالوا مَحلَّ احْتقارِ النّاسِ وبُغْضِهِمْ ، حَسْبُكَ مِنْ ذلكَ ما ينالونَهُ على أيْدي الفئةِ المؤمنةِ المُجاهِدَةِ في فِلَسطينَ نَصرَهُمُ اللهُ تَعالى . وما قامَتْ لليهودِ تلكَ الدَّوْلةُ في فِلَسطينَ ، إلاّ لأنَّ المُسلِمينَ قدْ فرَّطوا في حقِّ خالِقِهِمْ وفي حقِّ أنفُسِهِمْ ، ولمْ يأخُذوا بالأسْبابِ الّتي شرَعَها اللهُ تَعالى لِلْحَرْبِ ، فكانتِ النّتيجةُ أنْ أقامَ اليهودُ دَوْلَتَهُمْ في قَلْبِ البلادِ الإسلاميّةِ : فلسطينَ ، وعندَما يعودُ المُسْلمونَ إلى الأخْذِ التّامِّ الكامِلِ بتعاليمِ دينِهِمْ ، وإلى مُباشَرةِ الأسْبابِ الّتي شَرَعَها اللهُ تَعالى مُباشرةً سَليمةً ؛ عندما يفْعَلونَ ذلكَ تعودُ لهُم عِزَّتُهُمُ المَسْلوبةُ وكرامتُهُمُ المَغْصوبةُ .

﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ .

إنّ هؤلاءِ اليهودَ قدْ مزَّقْناهُم في الأرضِ شَرَّ مُمَزَّقٍ ، بِسَبَبِ عِصيانِهِمْ وفُسوقِهِمْ ، وصيَّرناهُم فِرَقاً مُتقطِّعةَ الأوصالِ مُشَتَّتةَ الأهواءِ ، ومِنْ هؤلاءِ اليهودِ قِلّةٌ آمنَتْ باللهِ تَعالى وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخرِ ، فَصلَحَ حالُها وحَسُنَتْ عاقبَتُها ، ومِنْهُمْ كَثْرَةٌ مُنْحَطَّةٌ عنْ رُتْبَةِ أولئكَ المؤمنينَ الصّالِحينَ ، بِسَبَبِ فُسوقِهِمْ عنْ أمرِ اللهِ تَعالى وانْتِهاكِهِمْ لِحُرُماتِهِ سُبْحانَهُ . ثمّ أخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنّهُ عامَلَهُمْ مُعاملةَ المُبتَلى المُمتَحَنِ تارةً بالنِّعمِ الكَثيرةِ ، كالصِّحةِ والخِصْبِ وسَعَةِ الأرزاقِ ، وتارةً

بالنِّقَمِ المُتنوِّعةِ ، كالجَدْبِ والأمراضِ والشَّدائدِ ، لعلَّهم يَرْجِعونَ إلى طاعةِ ربِّهِمْ ويَتْرُكونَ ما نُهوا عنْهُ مِنَ المعاصي والسَّيئاتِ .

ويُستفادُ مِنْ هذهِ الآيةِ الكَريمةِ أنَّ القرآنَ الكَريمَ يَستعملُ العَدْلَ والإنْصافَ لِتقريرِ الحقائقِ مَعَ أعدائِهِ وأتباعِه على السَّواءِ ، فهوَ يمدحُ مَنْ يَسْتَحِقُّ المديحَ ، ويَذمُّ مَنْ هوَ أَهْلٌ للذَّمِّ .

ثمَّ بيّنتِ السّورةُ الكَريمةُ بعدَ ذلكَ بعضاً مِنْ دعاوى اليهودِ الباطِلَةِ لِغُفرانِ ذُنوبِهِمْ ، مَهْما عَمِلوا مِنَ الآثامِ والمَعاصي ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبَيِّناً ذلكَ :

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ .

فجاءَ مِنْ بعدِ الّذينَ ذَكَرْناهُمْ ، خَلْفُ سَوْءٍ ورِثوا التَّوراةَ عنْ أسْلافِهِمْ ، ولكنَّهُم لم يَعْمَلوا بِها ، لأنَّهم آثَروا أخْذَ مَتاعِ الدُّنيا عِوَضاً عنْ قَوْلِ الحقِّ ، ويَقولونَ في أَنْفُسِهِمْ سِرّاً وعَلانيةً : سَيغفِرُ اللهُ تَعالى لنا ما فَعَلْناهُ ، يَرْجونَ المَغفِرَةَ . والحالُ أنّهم إنْ يأتِهِمْ شيءٌ مِثْلُ الّذي أخَذوهُ ، فهُم مُصِرُّونَ على الذَّنْبِ مَعَ طَلَبِ المغفِرةِ ، ثمَّ وبَّخَهُمُ اللهُ تَعالى على طَلَبِهِمُ المغْفِرةَ معَ إصْرارِهِمْ على ما هُمْ فيهِ ، فقالَ : إنّا أخَذْنا عليْهِمُ العَهْدَ في التّوراةِ وقدْ درَسوا ما فيها ، وأُمِروا أنْ لا يَقولوا إلاّ الحقَّ ، فقالوا الباطِلَ ، وإنَّ نعيمَ الدّارِ الآخرةِ للّذينَ يتَّقونَ المَعاصي خيرٌ مِنْ متاعِ الدُّنيا ، أَتَسْتَمِرُّونَ على عِصْيانِكُمْ فلا تَعقِلونَ أنَّ ذلكَ النَّعيمَ خيرٌ لكُم ، وتُؤثِرونَ عليْهِ متاعَ الدُّنيا . ثمَّ أثنَى اللهُ تَعالى على مَنْ تمسَّكَ بكتابِهِ ، فأحَلَّ حلالَهُ وحرَّمَ حرامَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

والّذينَ يَسْتَمْسِكونَ بأوامِرِ الكتابِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى ، ويَعتصِمونَ بِحَبْلِهِ في جميعِ شُؤونِهِمْ ، ويَلتزِمونَ بإقامةِ الصَّلاةِ المفروضةِ عَليْهِم ، لأنَّها عُنوانُ الطّاعةِ ؛ إنا لا نُضيعُ أجْرَهُمْ ، لأنَّهم أصْلَحوا دينَهُمْ ودُنْياهُم ، واللهُ تَعالى لا يُضيعُ أجْرَ مَنْ أحسنَ عَمَلاً .

ثمّ خَتَمتِ السُّورةُ الكَريمةُ حديثَها الطَّويلَ عنْ بَني إسرائيلَ بتذكِيرِهِمْ بالعَهْدِ الّذي أخذَهُ اللهُ تَعالى عليْهِمْ ، وهُوَ يأمُرُهُمْ بالإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبَيِّناً ذلكَ :

﴿ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ .

ردَّ اللهُ تَعالى على اليهودِ في قولِهِمْ : إنَّ بَني إسرائيلَ لم تَصْدُرْ منهُم مُخالَفَةٌ في الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ : واذكرْ لهُم أيُّها النَّبيُّ ﷺ حينَ رَفَعْنا الجَبَلَ فوقَ رُؤوسِ بَني إسرائيلَ كأنَّهُ غَمامةٌ ، وفَزِعوا

لِظَنِّهِمْ أنَّهُ واقِعٌ عَلَيْهِم ، وقُلنا لهُم وهُم في هذهِ الحالةِ المُرْعِبَةِ المُخيفةِ : خُذوا ما أَعْطَيْناكُمْ مِنْ هُدىً في التَّوراةِ وعَزْمٍ على الطّاعةِ ، وتَذَكَّروا ما فيهِ لَعَلَّكُمْ تَعتبِرونَ وتَتهذَّبُ نفوسُكُم بالتَّقوى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ قَضى اللهُ تَعالى على اليهودِ أنْ لا يَجدوا راحَتَهُمْ في الدُّنيا بِسَبَبِ فَسادِهِمْ .

٢ـ اللهُ تَعالى سريعُ العِقابِ وهُوَ غَفورٌ رحيمٌ .

٣ـ عَدالةُ القرآنِ في التَّعامُلِ معَ أعداءِ اللهِ تَعالى وأعداءِ الدِّينِ .

٤ـ تحريمُ القولِ على اللهِ تَعالى بغيرِ عِلْمٍ .

٥ـ كلُّ مَنْ سَلَكَ سبيلَ اليهودِ مُعاقَبٌ عندَ اللهِ تَعالى كعِقابِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يسومُهُم ، عَرَضَ هذا الأدنَى ، نَتَقْنا الجبلَ ، كأنَّهُ ظُلَّةٌ .

٢ـ بيِّنِ القَضاءَ الّذي قضاهُ اللهُ تَعالى على بَني إسْرائيلَ .

٣ـ كيفَ تتبيَّنُ عدالةَ القرآنِ في الحديثِ عنِ اليهودِ منْ خلالِ الآياتِ ؟

٤ـ هاتِ الدّليلَ منَ الآياتِ الكَريمةِ على ما يلي :

أـ تَنوُّعُ البلاءِ في بَني إسرائيلَ .

ب ـ العاجزُ مَنْ أَتْبَعَ نفسَهُ هواها ، وتمنّى على اللهِ تَعالى الأمانِيَّ .

ج ـ مُعاينةُ بَني إسرائيلَ للعذابِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أنَّ بقاءَ اليهودِ يكونُ إمّا بِحَبْلٍ منَ اللهِ أوْ بِحَبْلٍ مِنَ النّاسِ .

الدَّرسُ الرَّابعُ والأربعونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الحادي والثَّلاثونَ

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

انسلَخَ مِنها : خرجَ مِنها بِكُفْرِه بها .

أَتْبَعَهُ الشَّيطانُ : لَحِقَهُ وأَدْرَكَهُ وصارَ قرينَهُ .

الغاوينَ : الضَّالّينَ الهالِكينَ .

أَخْلَدَ إلى الأرضِ : ركَنَ إلى الدُّنيا ورضِيَ بها .

تَحْمِلْ عليهِ : تُشَدِّدْ عليهِ وتَزْجُرْهُ .

يَلْهَثْ : يُخرِجْ لِسانَهُ بالنَّفَسِ الشَّديدِ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ بني إسرائيلَ قدْ نقضوا عهدهُم معَ اللهِ تَعالى وطَغَوْا وفَسَدُوا ، أخذتِ السّورةُ في الحديثِ عنْ قضيةِ التَّوحيدِ ، وهيَ فِطْرَةُ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عليْها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

بيَّنَ اللهُ تَعالى هُنا هدايةَ بَني آدمَ بنَصْبِ الأدلَّةِ في الكائناتِ بعدَ أنْ بيَّنَها عنْ طريقِ الرُّسلِ والكُتُبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : واذكُرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ للنّاسِ حينَ أخرجَ ربُّكَ منْ أصلابِ بَني آدمَ ونَسْلِهِمْ وما يتوالَدونَ قَرْناً بعدَ قَرْنٍ ، ثمَّ نَصَبَ لهُمْ دلائلَ رُبوبيَّتِهِ في المَوْجوداتِ ، ورَكَزَ فيهِم عُقولاً وبصائرَ يتمكَّنونَ بها مِنْ مَعرفةِ اللهِ ، والاسْتدلالِ بها على التَّوحيدِ والرُّبوبيَّةِ قائلاً لهُم : ألستُ بربِّكمْ ؟ قالوا : بلى أنتَ ربُّنا ، شَهِدْنا بذلكَ على أنْفُسِنا . ثمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّه فعلَ بهم هذا الفِعْلَ لئلاّ يَقولوا يومَ القيامةِ : إنّا كُنّا عنْ هذا التَّوحيدِ غافِلينَ لا نعرِفُهُ .

والمقصودُ مِنَ الآيةِ الاحْتِجاجُ على المُشركينَ ، لِمَعرِفَتِهِمْ ربَّهُمُ اللهَ تعالى معرفةً فِطْرِيَّةً لازمةً لهُم لُزومَ الإقرارِ منهُم والشَّهادةِ . وفي بيانِ أنَّ الإنسانَ يُولَدُ على الفِطْرةِ الّتي هِيَ بيانُ الّدينِ الحقِّ قولُه ﷺ : (ما مِنْ مولودٍ إلاّ يولَدُ على الفِطْرةِ ، فأبواهُ يُهَوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أوْ يُمجِّسانِهِ)[1] .

﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

وفَعْلنا ذلكَ أَيْضاً مَنْعاً لَكُمْ مِنْ أنْ تقولوا يَوْمَ الحساب إنَّ آباءَنا هُمُ الّذينَ سنُّوا هذا الإشْراكَ وساروا عليهِ ، فنحنُ قدَ اتَّبعناهُم في ذلكَ بِمُقْتَضى أَنَّنا أبناؤُهُمْ ، ونَنهجُ نَهْجَهُمْ مِنْ بَعدِهم ، وأنتَ يا ربَّنا حكيمٌ عادلٌ ، فهلْ تؤاخِذُنا بِما فَعلَ آباؤُنا مِنَ الشِّركِ وأسَّسوا منَ الباطِلِ ، أو بِفِعْلِ آبائِنا الّذينَ أبْطلوا تأثيرَ العُقولِ وأقوالَ الرُّسلِ . يا ربَّنا قدْ وعدتَ أنَّكَ لا تأخذُ الأبناءَ بِفِعلِ الآباءِ ، ونحنُ قدْ سَلَكْنا طريقَهُمْ ، والحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بما شَرَعوا للنّاسِ مِنَ الباطلِ فكيفَ تُؤاخِذُنا ؟

والجوابُ عنْ هذا الباطلِ الّذي قالوهُ ، أنَّ الإقرارَ بالرُّبوبيَّةِ والتَّوحيدِ هُوَ في أَصْلِ فِطْرَتِكُمْ ، فَلِمَ لَمْ تَرجعوا إليهِ عندَما دَعاكُمْ رسولُنا الكَريمُ ﷺ إلى وحدانيةِ اللهِ تَعالى ونَبْذِ الشُّرَكاءِ ، وإنَّ انقيادَكُمْ

---

(١) رواه البخاري ١/ ٤٥٦ حديث رقم : (١٢٩٣) ، ورواه مسلم ٤/ ٢٠٤٧ حديث رقم : (٢٦٥٨) .

للآباءِ بعدَ أنْ وهبَكُمُ اللهُ تَعالى العُقولَ المُفكِّرةَ ، وأرسلَ إليكُمُ الرُّسُلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرينَ لنْ يُعفيَكُمْ مِنَ المَسؤوليةِ ، ولَنْ يُنْقِذَكُمْ مِنَ العذابِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

ومِثْلُ هذا التّفصيلِ البليغِ نُفصِّلُ لبَني آدمَ الآياتِ والدّلائلَ لِيَسْتَعْمِلوا عُقولَهُمْ ، ولعلّهم يَرْجعونَ إلى فِطْرَتِهِمْ ، وما اسْتَكَنَّ فيها مِنْ ميثاقٍ ، وإلى خِلْقَتِهِمْ وما كَمَنَ فيها مِنْ ناموسٍ ، فالرُّجوعُ إلى الفِطْرةِ القَويمةِ كفيلٌ بغَرْسِ عَقيدةِ التَّوحيدِ في القُلوبِ ، وردِّها إلى بارئِها الواحدِ القهّارِ ، الّذي فَطَرَها على الحقِّ ، وصَرَفَها عنِ الجَهْلِ والتَّقْليدِ .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ .

ضَرَبَ اللهُ تَعالى مَثَلاً للمُكَذِّبينَ بآياتِهِ المُنزَّلةِ على رسولِهِ ﷺ فقالَ : أقرأْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ على قومِكَ ، لِيعتَبروا ويَتَّعِظوا خَبَرَ ذلكَ الإنسانِ الّذي آتيناهُ آياتِنا بأنْ علَّمْناهُ إيّاها ، وفهَّمناهُ مَراميها ، فانسلخَ مِنْ تلكَ الآياتِ انسلاخَ الجِلْدِ عنِ الشّاةِ ، فأَدْرَكهُ الشَّيْطانُ ، فصارَ في زُمْرَةِ الغاوينَ الضّالِّينَ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى قَضاءَهُ الّذي لا يُرَدُّ في أمْرِ ذلكَ الإنْسانِ الغاوي ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ .

ولوْ شِئْنا رَفْعَهُ إلى منازلِ الأبرارِ ، لَرَفعناهُ إليها بتَوْفيقِهِ للْعَمَلِ بتلكَ الآياتِ ، ولكنَّهُ تعلَّقَ بالأرضِ ، ولمْ يَرْتَفِعْ إلى سماءِ الهِدايةِ ، واتَّبعَ هواهُ فصارَ حالُهُ في قَلَقِهِ الدّائمِ ، وانشغالِهِ بالدُّنيا ، وتفكيرِهِ المُتواصلِ في تَحْصيلِها كحالِ الكَلْبِ في أسوأِ أحوالِهِ ، والكلبُ دائماً يَلهَثُ إنْ زَجَرْتَهُ أو تركْتَهُ ، إذْ يَنْدَلِعُ لِسانُهُ مِنَ التنفّسِ الشَّديدِ . كذلكَ طالِبُ الدُّنيا يَلْهَثُ وراءَ مُتعِهِ وشَهواتِه دائماً ، إنَّ ذلكَ الوَصْفَ الّذي اتَّصفَ بِهِ المُنْسَلِخُ مِنْ آياتِنا ، هوَ وصْفُ جميعِ الّذينَ كذّبوا بآياتِنا المُنَزَّلَةِ ، فاقْصُصْ على المُشْرِكينَ مِنْ قومِكَ هذا القَصصَ لِيَتفكَّروا فيُؤْمِنوا .

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

ساءَ مَثَلاً مَثَلُ أولئكَ الّذينَ كذّبوا بآياتِنا حيثُ شُبِّهوا بالكلابِ ، إمّا في استواءِ الحالَتينِ فهُم ضالُّونَ ، وُعِظُوا أمْ لم يوعَظوا ، وإمّا في الخِسّةِ ، فإنَّ الكلابَ لا همَّ لها إلاّ تحصيلُ أكْلَةٍ أوْ شَهْوةٍ ، فمَنْ خرَجَ عنْ خيرِ الهُدى والعِلْمِ وأقبلَ على هواهُ ، صارَ شبيهاً بالكَلْبِ ، وبِئسَ المَثَلُ

مَثَلُهُ ، وهؤلاءِ النّاسُ لم يَظلِموا إلاّ أنفُسَهم بفسادِ صَنيعِهِمْ

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ أنَّ الهِدايةَ والضَّلالَ إنّما هيَ بيدِ اللهِ سُبْحانَهُ فقالَ تَعالى :

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾

مَنْ يُوفِّقْهُ اللهُ تَعالى لِسلوكِ سبيلِ الحقِّ فهوَ المُهتَدي حَقّاً ، الفائِزُ بسعادةِ الدّاريْنِ ، ومَنْ يُحْرَمْ هذا التوفيقَ بسببِ سيطرةِ هواهُ ، فهذا الفريقُ هُمُ الخاسِرونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ فسادُ التَّقليدِ في الدِّينِ ولا يُعْذَرُ أحدٌ بِكُفْرِه .

٢ـ مَعرفةُ اللهِ تَعالى فِطْرِيَّةٌ ضَروريَّةٌ .

٣ـ حُجَجُ الكافِرينَ على باطِلِهِمْ لا تَنفعُهُمْ عندَ اللهِ تَعالى .

٤ـ اللهُ تَعالى يُنوِّعُ الآياتِ ويُفَصِّلُها لِيَعْقِلَ النّاسُ أمْرَها ويعرِفوا خالِقَها .

٥ـ إنّما يُوفِّقُ اللهُ تَعالى لطاعتِهِ مَنْ سلكَ سبيلَ الهِدايةِ والرَّشادِ ، ومَنْ حُرِمَ التَّوفيقَ خَسرَ الدُّنيا والآخِرَةَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

انْسَلَخَ منْها ، الغاوينَ ، أخْلَدَ إلى الأرضِ ، تَحْمِلْ عليْهِ .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ عَهْدَ الفِطرةِ ، وضِّحْ هذا العهدَ والغايةَ مِنْهُ .

٣ـ ما الغايةُ مِنْ تفصيلِ الآياتِ الكونيّةِ والآفاقيّةِ والنَّفْسيّةِ ؟

٤ـ بيِّنِ المَثَلَ الّذي ضَرَبَهُ اللهُ تَعالى لِتاركِ ما أعطاهُ اللهُ تَعالى مِنَ الآياتِ ، ومَنزلةَ هذا المَثَلِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ والأربَعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّاني والثّلاثونَ

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ذَرَأْنا : خَلَقْنا وأوجَدْنا .

يُلحِدونَ : يَميلونَ ويَنْحَرِفونَ إلى الباطِلِ .

بِهِ يعدِلونَ : بالحقِّ يَحْكُمونَ في الخُصوماتِ بَيْنَهُمْ .

سَنَسْتَدرِجُهُمْ : سنأخُذُهُمْ قليلاً ونُدنيهِم مِنَ الهلاكِ بالإنْعامِ والإمْهالِ .

أُمْلِي لهُم : أُمْهِلُهُم في العُقوبةِ .

كَيدي مَتينٌ : أَخْذي شديدٌ قويٌّ .

جِنَّةٍ : جُنونٍ .

مَلكوتِ : المُلْكِ العظيمِ .

طُغْيانِهِمْ : تَجاوُزِهِمُ الحدَّ في الكُفْرِ .

يَعْمَهونَ : يَعمَوْنَ عنِ الرُّشدِ أو يَتحيَّرونَ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ بيانِ سُنّةِ اللهِ تعالى التي مَضتْ بأَخْذِ العَهْدِ على النّاسِ ، وأنّ الإنسانَ مَفطورٌ على مَعْرفةِ اللهِ سُبْحانَهُ ، بَعْدَ هذا بيّنَ اللهُ تَعالى مَصيرَ مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالى ، وأغْلَقَ حواسَّهُ دونَ الحقِّ والهِدايةِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ .

ولقدْ خَلَقْنا كثيراً مِنَ الجنِّ والإنْسِ مآلُهُمُ النّارُ يومَ القيامةِ ، لأنَّ لهُمْ قُلوباً لا يَنفُذونَ بها إلى الحقِّ ، وَلَهُمْ أعينٌ لا يَنظُرونَ بها دلائلَ القُدْرةِ ، ولهمُ آذانٌ لا يَسمعونَ بها الآياتِ والمواعِظَ سماعَ تدبُّرٍ واتِّعاظٍ ، أُولئكَ كالبَهائِمِ لِعدَمِ انتفاعِهمْ بما وهبَهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ عُقولٍ للتدبُّرِ وحواسَّ للإدراكِ ، بلْ هُمْ أضلُّ مِنَ الأنعامِ ، لأنَّ الأنعامَ تَطلبُ منافِعَها ، وتَهْربُ مِنْ مَضارِّها ، وهؤلاءِ لا يُدْرِكونَ ذلكَ ، أُولئكَ هُمُ الّذينَ اسْتَحْكَمَتْ غَفلَتُهُمْ .

وبعدَ أنْ بيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى حالَ المَخلوقينَ لِجَهنَّمَ ، بِسَبَبِ غَفْلَتِهِمْ وإهْمالِهِمْ لِعقُولِهِم وحواسِّهِم ، أعْقبَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ببيانِ العلاجِ الّذي يُشْفي مِنْ ذلكَ ، وبالنَّهْيِ عنِ اتِّباعِ المائِلينَ عَنِ الحقِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ .

وللهِ تَعالى أشْرَفُ الأسماءِ فَسَمّوهُ بها أيُّها المُؤْمنونَ ، واتْرُكوا الّذينَ يُلْحِدونَ في أَسمائِهِ سُبْحانَهُ ، بالمَيْلِ بألْفاظِها أو مَعانيها عنِ الحقِّ مِنْ تحريفٍ أو تَشْبيهٍ ، أوْ ما يُنافي وَصْفَها بالحُسْنَى ، اتْرُكوا هؤلاءِ جميعاً ، فإنَّهُم سَيلقَوْنَ جزاءَ عَمَلِهِمْ مِنَ اللهِ تَعالى ربِّ العالَمينَ .

ثمَّ تمضي السُّورةُ الكَريمةُ في هَدْيِها وتَوْجيهِها فَتُفصِّلُ صُنوفَ الخَلْقِ ، وتَمدحُ مَنْ يَستحقُّ المَدْحَ ، وتَذُمُّ مَنْ يستحقُّ الذَّمَّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ .

ومِمَّنْ خَلَقْنا مِنَ النّاسِ طائفةٌ يَدْعونَ غيرَهُم للحقِّ بِسَببِ حُبِّهِمْ لَهُ ، وبالحقِّ وَحْدَهُ يَعْدِلونَ في أحكامِهِم ولا يَحيدونَ عنْهُ .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ .

والّذينَ كذّبوا بآياتنا المُنَزَّلَةِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ونَتْرُكُهُمْ حتّى يَصلوا إلى أقصى غاياتِهِمْ ، وذلكَ بإدْرارِ النِّعمِ عَليْهِمْ معَ انْهِماكِهِمْ في الغِنى ، حتَّى يُفاجِئَهُمْ الهلاكُ وهمُ غافِلونَ ، ويأتيَهُم مِنْ حيثُ لا يَعلمونَ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى طبيعةَ هذا الاسْتدراجِ ، وأنَّه مِنْ سُنّتهِ سُبْحانَهُ معَ الظّالِمينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ .

وسَأَمُدُّ لَهُم في الحياةِ غيرَ مُهْمِلٍ لِسَيّئاتِهِمْ ، وتَدْبيري لَهُمْ شديدٌ عَلَيْهِمْ ، يُكافيءُ سَيِّئاتِهِمُ الّتي كثُرَتْ بتماديهِمْ في الباطلِ . جاءَ في الحديثِ الشّريفِ : (إنّ اللهَ تَعالى ليُمْلي للظّالِمِ حتّى إذا أخَذَهُ لمْ يُفْلِتْهُ)[1] .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾

أكَذَّبَ هؤلاءِ الظّالِمونَ رسولَهُمْ ﷺ ، ولمْ يتفكَّروا في أنَّه ليسَ بهِ أيُّ شيءٍ مِنَ الجُنونِ ، بلْ هوَ أكملُ النّاسِ عَقْلاً وأَسدُّهُم رأياً ، وأتْقاهُم نَفْساً ، وليسَ بمجنونٍ كما زَعمتُم أيُّها المُشْرِكونَ ، وإنّما هوَ مبالِغٌ في الإنذارِ مُظْهِرٌ لهُ غايةَ الإظهارِ ، فهوَ لا يُقصِّرُ في تَخويفِكُم مِنْ سوءِ عاقبةِ التَّكذيبِ ، ولا يَتهاوَنُ في نَصيحَتِكُمْ وإرْشادِكُمْ إلى ما يُصْلِحُ أحْوالَكُمْ . ثمَّ دعاهُمُ القرآنُ الكريمُ إلى النَّظرِ والاسْتِدلالِ العَقليِّ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ .

أَكَذَّبوا ولمْ يَتفكَّروا في شَأْنِ رسولِهِمْ ﷺ وما هوَ عليْهِ مِنْ كمالِ العَقْلِ ، ولمْ يَنْظُروا نَظَرَ تأمُّلٍ واعْتِبارٍ واسْتِدلالٍ في مَلَكوتِ السَّمواتِ مِنَ الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجوم وغَيْرِها ، وفي مَلَكوتِ الأرضِ مِنَ البحارِ ، والجبالِ والدَّوابِّ وغيرِها ، ولم يَنْظُروا كذلكَ فيما خَلَقَ اللهُ تَعالى مِمّا يقعُ عليْهِ اسمُ شيءٍ مِنْ أجناسٍ لا يَحْصُرُها العددُ ، ولا يحيطُ بها الوَصْفُ ، ممّا يشهدُ بأنَّ لِهذا الكونِ خالقاً قادِراً ، هوَ المُسْتَحِقُّ وحْدَهُ للعبادَةِ والخُضوعِ ، وكذلكَ أَلَمْ يَنْظُروا في اقترابِ آجالِهِمْ وتَوقُّعِ حُلولِها ، فَيُسارِعوا إلى طَلَبِ الحقِّ والتَّوجُّهِ إلى ما يُنْجيهِمْ قبلَ مُفاجأةِ الموتِ لهُم ، ونُزولِ العَذابِ بِهِمْ وهُمْ أَتعسُ حالاً . إنَّهم لوْ تفكَّروا في أمرِ رسولِهِمْ ﷺ ولَو نَظَروا فيما خَلَقَ اللهُ تَعالى مِنْ مخلوقاتٍ بِعَيْني التَّدبُّرِ والاتِّعاظِ ، لآمَنوا وهُدوا إلى الصِّراطِ المُسْتقيمِ ، فإذا لم يُؤْمِنوا بالقُرْآنِ ،

---

(١) رواه البخاري : ٤/ ١٧٢٦ حديث رقم (٤٤٠٩) ، ورواه مسلم : ٤/ ١٩٩٧ حديث رقم (١٣/ ٢٥) .

وهوَ أكْمَلُ كُتُبِ اللهِ تَعالى بَياناً وأقْواها بُرْهاناً ، فبأيِّ كلامٍ بَعْدَه يُؤْمِنونَ ؟

ثمَّ يجيءُ التعقيبُ الإلهيُّ على هذا التَّوبيخِ والتَّهديدِ للمُشْرِكينَ بِبيانِ عاقبةِ المُضلِّينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

مَنْ يُرِدِ اللهُ تَعالى إضْلالَهُ بِسَبَبِ اختيارِهِ للضَّلالَةِ ، وعَدَمِ الاسْتِماعِ للحقِّ ، فلا قُدْرَةَ لأَحَدٍ على هدايتِهِ ، واللهُ سُبْحانَهُ يَتْرُكُ هؤلاءِ الضَّالّينَ في طُغْيانِهِمْ ، مُتَحَيِّرينَ مُتَرَدِّدينَ لا يَهْتَدونَ سَبيلاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الكُفّارُ أرْذَلُ حالاً مِنَ الأنعام ، لأنَّهم عطَّلوا وسائلَ الإدْراكِ عِنْدَهُمْ .

٢ـ الطَّريقُ إلى اللهِ تَعالى دُعاؤُهُ بأسْمائِهِ الحُسْنَى ، والالتزامُ بِمُقْتَضياتِ مَعانيها .

٣ـ لا يَعْدَمُ الزَّمانُ أُمَّةً تهدي بالحقِّ وتَحتكِمُ إليهِ .

٤ـ اللهُ عزَّ وجلَّ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

٥ـ على الإنسانِ أنْ يُعْمِلَ عقلَهُ فيما يخصُّ اللهَ تَعالى تدبُّراً وتفكُّراً واسْتِدْلالاً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

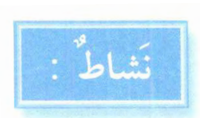
ذَرَأْنا ، يُلْحِدونَ ، يَعْدِلونَ ، جِنَّةٌ ، مَلَكوتِ ، كَيْدِي متينٌ .

٢ـ لماذا كانَ الكُفّارُ أذلَّ حالاً مِنَ الأنْعامِ ؟

٣ـ ما الطَّريقُ إلى اللهِ تَعالى ؟

٤ـ ماذا صَنَعَ اللهُ تَعالى للمكذِّبينَ بآياتِهِ ؟

٥ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ ضرورةَ التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ ، وضِّحْ ذلكَ .



نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يُبيِّنُ عددَ أسماءِ اللهِ الحُسنى وفَضْلَ إحصائِها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيةٍ منْ سورةِ المُرْسَلاتِ ، وتَوجيهَ الرّسولِ ﷺ لِمنْ يَقرؤها .

٣ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في حدودِ الصّفحةِ عنْ حواسِّ الإنسانِ الّتي خلَقَها اللهُ ، وكيفَ تكونُ سَبَباً في هِدايتهِ ، واقْرَأ المَوْضوعَ على طلبةِ المدرسةِ في طابورِ الصّباحِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والثّلاثونَ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- أَيّانَ مُرْساها : متى إثباتُها وَوُقوعُها .
- لا يُجَلّيها : لا يُظْهِرُها ولا يَكْشِفُ عنْها .
- حَفِيٌّ عَنْها : كثيرُ السُّؤالِ والاسْتِفْسارِ عنْها .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أن بيّنَ اللهُ تَعالى أنَّ المشركينَ عَطَّلوا عُقولَهُمْ وحَواسَّهُمْ ، ذَكَرتِ السُّورةُ الكَريمةُ ما يتعلّقُ بِأَمْرِ السّاعةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ .

يسألونَكَ يا مَحمّدُ ﷺ عنِ السّاعةِ متَى تكونُ ؟ فقُلْ لَهُمْ : إنّما عِلْمُها عندَ ربِّي وَحْدَهُ تباركَ وتَعالى ، وإليهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كلُّهُ ، لا يُجلِّيها لِوَقْتِها ، ولا يُظْهِرُ أمْرَها ، ولا يَكْشِفُ خَفاءَ عِلْمِها إلاّ هو وَحْدَهُ ، فلا يُطْلِعُ أحداً مِنْ خَلْقِه على وَقْتِها ، ولَوْ كانَ مَلَكاً مُقرَّباً أو نَبيّاً مُرْسَلاً ، عَظُمَ أَمْرُها

عندَ الملائكةِ والثَّقَلَيْنِ في السَّماءِ والأرضِ . والخفاءُ وقتُها وطولُ أَمْرِها ، وشِدَّةُ وقْعِها ، فهُم مُضْطَرِبونَ خائِفونَ ، لا تأتِيكُم أيُّها النّاسُ الساعةُ إلاّ بغتةً ، وأَنتمُ مُنْهَمِكونَ في الدُّنيا وتَعميرِها .

عَجَباً للنَّاسِ يَسْأَلونَكَ يا مُحمَّدُ ﷺ كأنَّكَ شديدُ الحِرْصِ لِلْعِلْمِ بها ، والسُّؤالِ عَنْها ، قلْ لهمْ : إنَّما عِلْمُها عندَ اللهِ تَعالى عالمِ الغيبِ والشّهادةِ ، ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلَمونَ السِّرَّ في إخْفائِها ، فلوَ عُلِمَ وقْتُها لاضْطَربَ نِظامُ الكَوْنِ واختلَّ العِمْرانُ ، وإنّما أخفى اللهُ تَعالى عِلْمَها لِحِكَمٍ يَعْلَمُها ، ولِيُنَشِّطَ النّاسَ في الاسْتِعْدادِ لها في كلِّ وقتٍ . وللسّاعةِ أشراطٌ وعلاماتٌ ، وردَتْ في القرآنِ الكَريمِ والسُّنَةِ النبويّةِ .

وبعدَ ذلكَ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُبيِّنَ للناسِ أنَّ كلَّ الأُمورِ بيدِ اللهِ تَعالى ، وأنّ عِلْمَ الغَيْبِ كُلِّهِ مَرجِعُهُ إلى اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ .

قلْ يا مُحمَّدُ ﷺ : أنا بَشَرٌ شَرُفْتُ بالرِّسالةِ ، وحَمَلْتُ تلكَ الأمانةَ ، فَلا أملِكُ لِنَفْسي أيَّ نَفعٍ كانَ ، ولا أدفعُ عَنْ نفسي أيَّ ضَرَرٍ كانَ ، إلاّ ما شاءَ اللهُ تَعالى ، وأنا بشيرٌ لا أعلمُ الغيبَ ، إنَّما الغَيْبُ عندَ اللهِ تَعالى وحْدَهُ ، فكيفَ تسألوني عنِ السّاعةِ كأنّي حَفِيٌّ عنها ؟ أما لوْ كنتُ أعلَمُ الغَيْبَ حَقيقةً لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ كلِّ خيرٍ لِعِلْمي بِأَسْبابِهِ ، ولَدَفَعْتُ عَنْ نَفْسي كلَّ سوءٍ باجْتِنابِ أسْبابِهِ وموجِباتِهِ ، ما أنا إلاّ نذيرٌ بالعَذابِ ومُبشِّرٌ بالثَّوابِ لقومٍ يؤمنونَ بالحقِّ ويُذْعِنونَ لَهُ .

وبهذا الإعلانِ مِنْ جانبِ الرَّسولِ ﷺ للنّاسِ عنْ وظيفَتِهِ ، تَتِمُّ لعقيدةِ التَّوحيدِ الإسلاميَّةِ كلُّ خصائصِ التَّجريدِ المُطْلَقِ مِنَ الشِّركِ في أيةِ صورةٍ مِنْ صُوَرِهِ ، وتَنْفَرِدُ الذّاتُ الإلهيَّةُ بِخَصائِصَ لا يُشارِكُها فيها بَشَرٌ ، ولوْ كانَ هذا البَشَرُ مُحمَّداً ﷺ ، فعندَ عَتَبةِ الغَيْبِ تَقِفُ الطّاقةُ البَشريَّةُ ، ويَقِفُ العِلْمُ البَشريُّ وتَقِفُ القُدْرةُ البشريَّةُ ؛ إذْ إنَّ عِلْمَ الغيبِ إنَّما هُو للهِ تَعالى الّذي لا يَخْفى عليْهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يَعْلَمُ وقْتَ السّاعةِ إلاّ اللهُ تَعالى ، فهي لا تَأْتي إلاّ بَغْتَةً .

٢ـ لا أحَدَ يَمْلِكُ لِنفسِهِ نَفْعاً أو ضَرّاً ، إنّما مردُّ ذلكَ للهِ تَعالى وحْدَهُ .

٣ـ وظيفةُ الرُّسلِ ـ عليْهِمُ السَّلامُ ـ التَّبشيرُ والإنذارُ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

أيّانَ مُرْساها ، لا يُجَلِّيها ، ثَقُلَتْ ، حَفِيٌّ عنْها .

٢ـ لِماذا يُكْثِرُ النّاسُ السُّؤالَ عنِ السّاعةِ ؟

٣ـ لِماذا أخْفى اللهُ تَعالى أمْرَ السّاعةِ عنِ النّاسِ ؟

٤ـ إذا كانَ الغيبُ للهِ ، فماذا على الإنسانِ أنْ يَفْعَلَ ؟

٥ـ بيِّنْ وظيفةَ الرَّسولِ الكَريمِ ﷺ كما ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ يس الّتي تُبيِّنُ المَعنى الواردَ في الآيةِ (١٨٧) .

٢ـ ارْجِعْ إلى كتابِ : « رياضِ الصّالِحينَ » واسْتَخْرِجْ منهُ بعضاً مِنْ أشراطِ السّاعةِ ، ودوِّنْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والأربَعونَ

سورةُ الأعرافِ ـ القِسمُ الرّابعُ والثّلاثونَ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرًا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **تَغشّاها** : أتاها وعاشَرها مُعاشرةَ الزَّوْجِ لِزَوجِهِ .
- **فمَرَّتْ بهِ** : اسْتَمَرَّتْ بهِ بغيرِ مَشقّةٍ .
- **أثقَلَتْ** : صارتْ ذاتَ ثِقْلٍ بكِبَرِ الحَمْلِ .
- **صالحاً** : نَسْلاً صالحاً في الفِطْرَةِ والجسمِ .
- **جَعَلا لهُ شُركاءَ** : اسْدوْا نعمةَ اللهِ تَعالى لِمنْ لا يَستحقُّها ، سواءٌ مِنَ الشّيْطانِ أمْ مِنَ الأوثانِ .

التّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ تحدَّثتِ السُّورَةُ الكَريمةُ عنْ أمْرِ السّاعةِ وبيانِ وَظيفةِ الرُّسلِ ، تَبعَ ذلكَ حديثٌ عنْ بعضِ مظاهِرِ قُدْرةِ اللهِ ، وأدلَّةِ وَحْدانيّتِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ مُبيِّناً ذلكَ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ .

إنّ الّذي يَستَحِقُّ العِبادةَ والخُضوعَ ، والّذي عندَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ هوَ اللهُ تَعالى ، الّذي خَلَقَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ واحدةٍ هيَ نفسُ أبيكُمْ آدمَ ، وَجَعَلَ مِنْ نوعِ هذهِ النَّفْسِ وَجِنْسِها زَوْجَها حواءَ ، لِيَطْمَئِنَّ إِلَيْها ، ويَميلَ إليْها ولا يَنْفرُ ، لأنَّ الجِنْسَ إلى جنسِهِ أمْيَلُ وبهِ آنَسُ . وإذا كانتْ هذهِ النَّفسُ جُزْءاً منهُ ، كانَ السُّكونُ والمَحبّةُ أبلغَ ، كما يَسْكُنُ الإنسانُ إلى ولدِهِ ويُحبُّهُ مَحبَّةَ نفسِهِ لكونِهِ بِضْعَةً مِنْهُ .

فالأصلُ في الحياةِ الزوجيّةِ هُوَ السَّكَنُ والاطْمِئْنانُ والأُنْسُ والاسْتِقرارُ ، وهذهِ نَظْرةُ الإسلامِ إلى تلكَ الحياةِ .

فلمّا تغشَّى الزَّوجُ الّذي هُوَ الذَّكَرُ ، حَمَلَتِ الزَّوجةُ مَحمولاً خَفيفاً هُوَ الجنينُ عندَ كونِهِ عَلَقَةً ومُضْغَةً ، وحينَ صارتِ الأمُّ ذاتَ حَمْلٍ ثقيلٍ ، تَوجَّها إلى اللهِ بالدُّعاءِ يَدعوانِهِ بِضَراعةٍ وَطَمعٍ بقولِهِما : لئنْ رَزَقْتَنا يا ربُّ نَسْلاً سَوِيّاً تامَّ الخِلْقَةِ يَصْلُحُ للأعمالِ الإنسانيّةِ النّافعةِ لَنكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ لكَ على نَعمائِكَ الّتي مِنْ أَجَلِّها هذهِ النِّعمةُ .

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ .

واسْتَجابَ اللهُ تَعالى للزَّوجيْنِ ورزَقَهُما الولدَ الصّالحَ ، فماذا كانتِ النَّتيجةُ ؟ لَقدْ كانتِ النَّتيجةُ عدَمَ الوفاءِ بالعَهْدِ للهِ تَعالى ، ذلكَ أنّه حينَ رزَقَهُما اللهُ تَعالى الولَدَ الصّالِحَ الّذي كانا يَتمَنَّيانِ ، جعلا للهِ سُبْحانَهُ وتَعالى شُرَكاء في هذا العَطاءِ وهذا الرّزقِ وأخلاّ بالشُّكْرِ في مقابلِ النّعمَةِ أسْوأَ إخْلالٍ ، حيث نَسَبا هذا العطاءَ إلى الأصنامِ والأوثانِ ، أو إلى كلِّ ما يتنافي معَ وحدانية اللهِ تَعالى . وهذا الشرِّكُ كان من ذريّةِ آدمَ ، فقد أشْركوا باللهِ وعبدوا الأوثانَ . تنزّه اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَنْ شِرْكِ هؤلاء الجاحِدينَ الأغبياء الّذينَ يُقابلون نِعَمَ اللهِ بالإشْراكِ والكُفْرانِ . ثمَّ أخذتِ السُّورَةُ بعدَ ذلكَ في تَوْبيخِ هؤلاءِ المُشْركينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ .

أيشركونَ باللهِ تَعالى ما لا يَخلُقُ شيئاً مِنَ الأشياءِ مَهْما يَكُنْ حَقيراً ، بلْ إنَّ هذهِ الأصنامَ الّتي تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى مَخلوقةٌ ومَصنوعةٌ ، فكيفَ يَليقُ بسليمِ العَقْلِ أنْ يَجْعَلَ المَخلوقَ العاجِزَ شَريكاً للخالِقِ القادرِ الّذي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ ؟

إنَّ هؤلاءِ الشُّرَكاءَ : الأصنامَ وأمثالَها ، فَضْلاً عَنْ كَوْنِها مَخلوقةً ، فإنَّها لا تَجْلِبُ لعابدِها نَصْراً على أعدائِهِ ، بلْ إنّها لا تَستطيعُ أنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِها شَرّاً ، ومَنْ كانَتْ هذهِ صِفَتُهُ ، كيفَ يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ؟ قالَ تَعالى :

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

ثمَّ بيّنَ سُبْحانَهُ عَجْزَ الأَصْنام عمّا هوَ أدنَى مِنَ النَّصْرِ المَنْفِيِّ عنهُم وأيْسَرُ ، وهوَ مُجرَّدُ الدّلالةِ على المَطلوبِ مِنْ غيرِ تَحصيلٍ للطّالِبِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

وإنْ تَدْعوا أيُّها العابدونَ الأصنامَ لِيُرْشِدوكُمْ إلى ما تُحبُّونَ ، لا يُجيبونَكُم إلى مُرادِكُمْ ، فَمُسْتَوٍ عِنْدَكُم في عَدَمِ الفائدةِ دُعاؤكُمْ إيّاهُمْ ، وسُكوتُكُمْ ، فإنّهُ لا يَتغيّرُ حالُهُمْ في الحالَتيْنِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ خَلَقَ اللهُ الإنسانَ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وخَلَقَ زوجَهُ مِنْهُ .

٢ـ سُرْعةُ نَقْضِ الإنسانِ عَهْدَهُ معَ اللهِ تَعالى بسببِ اسْتيلاءِ الشَّهَواتِ على نفسِهِ .

٣ـ تَنبيهُ العقولِ السَّليمةِ إلى عَجْزِ الأصْنامِ التّامِّ عنْ فِعْلِ أيِّ شيءٍ مَهما كانَ صَغيراً .

٤ـ حِلْمُ اللهِ تَعالى على المشرِكينَ ، فلَمْ يُعاجِلْهُمْ بالعُقوبةِ ، ولكنَّ اللهَ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

تَغشّاها ، مرَّتْ بِهِ ، أَثقلَتْ .

٢ـ بيِّنْ طبيعةَ الإنسانِ كما ذكرتِ الآياتُ الكَريمةُ .

٣ـ بيِّنْ حقيقةَ الشُّركاءِ كما وردَ في الآياتِ الكَريمةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةً تدلُّ على أنَّ الزَّواجَ سَكَنٌ ومودةٌ ورَحْمَةٌ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كُتبِ السِّيرةِ النَّبويّةِ ، وتدبَّرْ كيفَ أسلَمَ عمرُو بنُ الجموحِ ، واكتبْ ذلكَ على ورقةٍ وضَعْها في مجلةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثامِنُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ الخامِسُ والثّلاثونَ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَلا تُنْظِرونِ : فلا تُمهلونِ .

لاَ يُبصِرونَ : لَيْسَ عِنْدَهم قُدْرَةٌ على الإبْصارِ لِعَمى قلوبِهِمْ .

خُذِ العَفْوَ : خُذِ اليسيرَ السَّهْلَ في مُعاملةِ النّاسِ .

بالعُرْفِ : المَعروفِ شَرْعاً .

التَّفسيرُ :

بيَّنَ اللهُ تَعالى في الآياتِ السّابقةِ عَجْزَ الأصنامِ عنْ إفادةِ شُرَكائِهِمْ . والآياتُ الكَريمةُ هُنا تُبَيِّنُ حقيقةَ الأصنامِ تِبياناً شافياً لِذي العَيْنَيْنِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ .

إنّ هذهِ الأصنامَ الّتي تَعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تَعالى أو تُنادونَها لِدَفْعِ الضُّرِ أوْ جَلْبِ النَّفعِ ، ما هُمْ

إلاّ عبادٌ أمثالُكُم ، في كَوْنِها مَخلوقةً ومَمْلوكةً للهِ ، مُسخَّرةً مُذلّلةً لِقُدْرتِهِ ، كَما أنّكُم أنتُم كذلكَ ، فكيفَ تَعبدونَها أو تُنادونَها ؟ فإنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في زَعْمِكُمْ أنَّهُمْ يَقدِرونَ على شيءٍ ، فاطْلبُوهُ منهُم فَلْيُحققوهُ لكُمْ ، وهذا مُحالٌ ، لأنَّها لا تَستطيعُ ذلكَ .

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ .

بلْ إنَّ هذهِ الأصنامَ أقلُّ مِنْكُمْ في الخَلْقِ والتَّكوينِ ، انظُروا إليْها وتَدبَّروا ، أَلَهُمْ أرْجُلٌ يَمشونَ بها ؟ أو أيدٍ يَدْفعونَ بِها الضُّرَ عنكُمْ وعنهُم ؟ أوْ أعينٌ يُبصِرونَ بها ؟ أوْ آذانٌ يَسمعونَ بها ما تَطلبونَ فَيُحقّقونَهُ لكُم ؟ ليسَ لهُم شيءٌ منْ ذلكَ ، فيكفَ تُشْرِكونَهُمْ معَ اللهِ تَعالى ، وإذا كُنتُمْ تَتوهَّمونَ أنَّها تُنْزِلُ الضُّرَّ بي أوْ بأحدٍ غَيْري ، فَنادوها ودبِّروا لي معَها ما تشاءونَ مِنْ غيرِ إمْهالٍ وانْتِظارٍ ، فإنَّها لنْ تَستطيعَ شيئاً ، فلا تُمْهِلونِ فإنِّي لا أُبالي بها .

ثمَّ بَيّنَ الرّسولُ ﷺ الأسبابَ الّتي دعَتْهُ إلى تَحدِّي المشرِكينَ بِفَضْحِ أصنامِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾

قلْ يا مُحمّدُ ﷺ لِهؤلاءِ الضّالينَ : إنّني ما تَحدَّيتُكم وطَلَبْتُ كَيْدَكُم وكَيْدَ أصنامِكُمْ إنْ كنتُم أنتُمْ وهُم تَقْدِرونَ على ذلكَ ـ على سبيلِ الفَرَضِ ـ إلاّ لأنّي مُعتزٌّ باللهِ تَعالى وحْدَهُ ، فهُوَ ناصِري ومُتولّي أمْري ، وهوَ سُبْحانَهُ الّذي نَزّلَ هذا القرآنَ لأُخْرِجَكُمْ بهِ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ ، وقدْ جرَتْ سُنَّتُهُ سُبْحانَهُ أنْ يتولّى الصّالِحينَ ، وأنْ يجعلَ العاقِبَةَ لهُم .

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾

والّذينَ تَعبدونَهُمْ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، أوْ تُنادونَهُمْ لِدَفْعِ الضُّرِّ أو جَلْبِ النَّفْعِ ، لا يَسْتَطيعونَ نَصْرَكُمْ في أيِّ أمرٍ مِنَ الأُمورِ ، وفَضْلاً عنْ ذلكَ فَهُمْ لا يَستطيعونَ رَفْعَ الأذى عنْ أنفسِهِمْ إذا ما اعْتَدى عليْهِم مُعْتَدٍ .

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾

وإنْ تَسْأَلوا هذهِ الأَصْنامَ الهِدايةَ إلى ما فيهِ خَيْرُكُمْ ، لا يسْمَعوا سُؤالَكُمْ ، فَضْلاً عَنْ إرشادِكُمْ ، وإنَّكَ لَتراهُمْ في مُقابِلكَ كأنَّما يَنظُرونَ إليكَ ، وهُم في الحقيقةِ لا يُبْصِرونَ شيئاً .

وبذلك تكونُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ قدْ وبَّختِ المُشرِكينَ وآلهتَهُمْ أعْظَمَ تَوْبيخٍ ، وأثْبَتْت بالأدلَّةِ المَنطقيَّةِ الحَكيمةِ وبوسائلِ الحِسِّ والمُشاهدةِ ، أنَّ هذهِ الأَصْنامَ لا تملِكُ لِنَفْسِها نَفْعاً ولا ضَرّاً ، وأنَّ الّذينَ قالَوا في شأنِها : (ما نَعبُدُهُمْ إلاّ لِيُقرِّبونا إلى اللهِ زُلْفى) هُمْ قومٌ غافِلونَ جاهِلونَ قدْ

هَبطوا بِعُقولِهِمْ إلى أحطِّ الدَّرَجاتِ ، لأنَّهُم يَتقرَّبونَ إلى اللهِ زُلْفى عنْ طريقِ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ، ولا يُغني عنهُم شيئاً ، بلْ لا يستطيعُ أنْ يدفعَ الأذى عنْ نفسِهِ .

وفي الوقتِ نفسه ، فإنَّ هذهِ الآياتِ الكَريمةَ دعوةٌ قويَّةٌ لكلِّ عاقِلٍ إلى أنْ يَجْعَلَ عِبادتَهُ وخُضوعَهُ للهِ تَعالى الواحدِ القهّار . ثمَّ تتَّجهُ السُّورَةُ الكَريمةُ بعدَ ذلكَ إلى شَخْصِ الرَّسولِ ﷺ ، فتَرْسُمُ لهُ ولكلِّ عاقلٍ مُعامَلَتَهُ للخَلْقِ على وجْهٍ يَقيهِ شرَّ الحَرَجِ والضِّيقِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ .

خُذْ ما عفَى وسَهُلَ وتَيسَّرَ مِنَ الأخلاقِ في مُعاملةِ النّاسِ ، وأرْضَ منهُم بما تَيسَّرَ مِنْ أعْمالِهِمْ ، وتَسهَّلْ مِنْ غيرِ كُلْفةٍ ، ولا تطلبْ منهُم ما يَشقُّ عليْهِم ويُرْهِقُهُمْ حتّى لا ينفروا ، وكنْ ليّناً رَفيقاً في مُعامَلةِ أَتباعِكَ ، فإنَّكَ لَوْ كُنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ وترَكوكَ ، وأْمُرْ غيرَكَ بالمعروفِ المُسْتَحْسَنِ مِنَ الأفعالِ ، وهوَ كلُّ ما عُرِفَ حُسْنُهُ في الشّرْعِ ، فإنَّ ذلكَ أَجْدَرُ بالقَبولِ مِنْ غيرِ نَكيرٍ ، فإنَّ النُّفوسَ حينَ تتعوَّدُ الخَيْرَ الواضحَ الّذي لا يحتاجُ إلى مُناقشةٍ وجدالٍ ، يَسْهُلُ قيادُها وتَوْجيهُها ، وأمَرَهُ أنْ يُعْرِضَ عنِ الجاهلِينَ الّذينَ لا يُدْركونَ قِيَمَ الأشياءِ والأشخاصِ والكَلماتِ فيما يَبْدُرُ منهُم مِنْ أنواعِ السَّفاهةِ الإيذاءِ ، لأنَّ الرَّدَّ على أمثالِ هؤلاءِ ومُناقَشَتَهُمْ لا يُؤدّي إلى خَيْرٍ ولا ينتَهي إلى نَتيجةٍ ، والسُّكوتُ عنهُم احترامٌ للنَّفسِ الإنسانيَّةِ واحترامٌ للعُقولِ ، وقدْ يُؤدّي الإعْراضُ عَنْهُمْ إلى تَذليلِ نُفوسِهِمْ وتَرْويضِها .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ على قِصَرِها تَشْتَمِلُ على مَكارمِ الأخلاقِ فيما يتعلَّقُ بمُعاملةِ الإنسانِ لأخيهِ الإنسانِ ، وهي طريقٌ قويمٌ لكلِّ ما تطلبُهُ الإنسانيَّةُ الفاضِلةُ لأبنائِها الأبرارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الاسْتِدلالُ بالمَحْسوسِ المَلْموسِ الواضحِ المُشاهَدِ ، أقصرُ الطُّرُقِ للوُصولِ للنَّتيجَةِ .

٢ـ بيانُ عجزِ المَعبوداتِ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى وقُصورِها الواضحِ .

٣ـ ولايةُ المؤمنينَ الصّالحينَ للهِ تَعالى فَقط .

٤ـ الإسلامُ دعوةٌ إلى مكارمِ الأخلاقِ .

٥ـ الإعْراضُ عنِ الجاهِلينَ مَسْلَكُ الصّالحينَ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

فلا تُنْظِرونِ ، لا يُبْصِرونَ ، خُذِ العَفْوَ ، العُرْفِ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ لِذَوي العقولِ السَّليمةِ فسادَ معبوداتِ المُشْرِكين ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ ما الّذي دعا الرّسولَ ﷺ إلى تحدِّي المُشْرِكينَ وفَضْحِ مَعبوداتِهِمْ ؟

٤ـ الإسلامُ دعوةٌ إلى مكارِمِ الأخلاقِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٥ـ أمَرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ في الآيةِ الأخيرةِ (١٩٩) بثلاثةِ أشياءَ ، اذْكُرْها وبيِّنْ مَعناها ومُؤَدّاها .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ « يس » الّتي تُبيِّنُ عَجْزَ آلهةِ المُشْرِكينَ ودفاعَهُمْ عنْها .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ الأعرافِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والثَّلاثونَ

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَنزَغَنَّكَ : يُصيبَنَّكَ .

نَزْغٌ : وَسْوَسَةٌ .

مَسَّهُم طائفٌ : أصابَتْهُمْ وَسْوَسَةٌ .

تذكَّروا : فَطِنوا بِسُرْعةٍ إلى أَمْرِ اللهِ تَعالى ونَهيهِ وعَداوةِ الشَّيطانِ .

يَمُدُّونَهُمْ في الغَيِّ : تُعاونُهمُ الشَّياطينُ في الضَّلالِ .

لا يُقْصِرونَ : لا يَكفُّونَ عنْ إغوائِهِمْ .

اجْتَبَيْتَها : اخْتَلَقْتَها واخْتَرَعْتَها منْ عندِكَ .

هذا بَصائِرُ : القرآنُ حُجَجٌ بيِّنَةٌ وبراهينُ منيرةٌ .

تَضَرُّعاً : مُظْهِراً الضَّراعةَ والذِّلَّةَ .

خيفَةً : خائِفاً منْ عقابِ اللهِ تعالى .

بالغُدوِّ والآصالِ : أوائلِ النَّهارِ وأواخِرِهِ ، أيْ في كلِّ وقتٍ .



بَعْدَ أنْ بينتِ الآياتُ السّابقةُ أنَّ دينَ الإسلام هوَ خيرُ الأدْيانِ ، وذلكَ بفضحِ شِرْكِ المُشْرِكينَ وتزييفِ عِبادَتِهِمْ ، وحَضَّتِ الآياتُ على مَكارِمِ الأخْلاقِ ، بدأَتِ الآياتُ هُنا بالتَّحذيرِ مِنْ مَسالِكِ الشَّيطانِ وطُرُقِه ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

وإنْ تَعْرِضْ لكَ منَ الشَّيطانِ وَسْوَسةٌ تُثيرُ غضَبَكَ ، وتَحْمِلُكَ على خِلافِ ما أُمِرْتَ بهِ منْ أخذِ العَفْوِ والأَمْرِ بالمَعْروفِ ، والإعْراضِ عنِ الجاهِلينَ ، فالْتَجِئْ إلى اللهِ تَعالى ، واسْتَعِذْ بحِماهُ ، فإنَّه سُبْحانَهُ سميعٌ لِدُعائِكَ ، عليمٌ بكلِّ أحْوالِكَ ، وهَوَ وحدَهُ الكَفيلُ بِصَرْفِ وَسْوسَةِ الشَّياطينِ عنْكَ ، وحِفْظِكَ منْ هَمَزاتِه ونَزَغاتِهِ .

ثمَّ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ حالَ المُتَّقينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

إنَّ الّذينَ اتَّقَوا اللهَ تَعالى وصانوا أنْفُسَهُمْ عنْ كلِّ ما يُغْضِبُهُ ، إذا مَسَّهُم شيءٌ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيطانِ ونزَغاتِهِ الّتي تُلْهيهِمْ عنْ طاعةِ اللهِ تَعالى ومُراقَبَتِه ، تَذكَّروا وفَطِنوا إلى أنَّ المَسَّ إنَّما هُوَ مِنْ عِنْدِ عَدُوِّهِمُ الشّيطانِ الرَّجيمِ ، فَعادوا سَريعاً إلى طاعةِ اللهِ تَعالى ، والخوفِ مِنْ مَقامِهِ ، ونَهْيِ أنْفُسِهِمْ عنِ اتِّباعِ هَمَزاتِ الشَّياطينِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ ما يَدُلُّ على أنَّ مَسَّ الشَّيطانِ قدْ يُغْلِقُ بصيرةَ الإنسانِ عنْ كلِّ خيرٍ ، ولكنَّ التَّقوى هي الّتي تَفتحُ هذهِ البَصيرةَ ، وهيَ الّتي تَجْعَلُ الإنسانَ دائِماً يَقِظاً مُتَذَكِّراً لِما أمَرَهُ اللهُ تَعالى بهِ ، أو نَهاهُ عنْهُ ، فَينتَصِرُ بذلكَ على وَساوسِ الشَّيطانِ وهَمَزاتِهِ ، وتَبقَى بَصيرتُهُ على أحْسَنِ ما تكونُ صَفاءً ونقاءً وكَشْفاً .

ثمّ بيَّنَ اللهُ تَعالى أحوالَ الّذينَ لمْ يَتَّقوا اللهَ تَعالى ، ولَم يَلْجَأوا إلى حِماهُ ، ولَمْ يَخافوهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

وإخوانُ الشَّياطينِ مِنَ المشركينَ والغافِلينَ تَزيدُهُمُ الشَّياطينُ مِنَ الضَّلالِ ، عَنْ طريقِ الوَسْوَسةِ والإغراءِ بارْتِكابِ المعاصي والموبقاتِ ، ثمَّ لا يَكُفُّ هؤلاءِ الشّياطينُ عنْ إمْدادِ أوليائِهِمْ مِنَ الإنْسِ بأَلوانِ الشُّرورِ والآثامِ حتّى يُهْلِكوهُمْ .

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) ﴾ .

وإذا لَمْ تأتِ أيُّها الرّسولُ ﷺ هؤلاءِ المشركينَ بآيةٍ مِنَ القرآنِ ، أوْ بآيةٍ مِمّا اقْترحوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ الكَوْنيّةِ ؛ إذا لَمْ تَفْعَلْ ذلكَ ، قالوا لكَ بجهالةٍ وسَفاهةٍ : هلا جَمَعْتَها مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ واخْتَرَعْتَها اخْتِراعاً بعَقْلِكَ ؟ أوْ هلاّ ألْحَحْتَ بالطّلبِ على ربِّكَ لِيُعْطِيَكَ إيّاها ويَجْمَعَها لكَ .

قلْ لهُم يا مُحمّدُ ﷺ على سبيلِ التّبكيتِ ردّاً على تهكُّمِهِمْ بكَ : إنّما أنا مُتّبعٌ لا مُبْتَدِعٌ ، أتّبعُ ما يوحيهِ اللهُ تعالى إليَّ مِنَ الآياتِ ، وأنا أُبلِّغُهُ إليكُمْ مِنْ دونِ تغييرٍ أوْ تبديلٍ ، ولِهذا ، فالقرآنُ الكَريمُ حُجَجٌ مِنْ ربِّكُم تُبَصِّرُكُمْ وجوهَ الحقِّ ، وهوَ ذو هِدايةٍ للمُؤْمنينَ ، لأنَّهُمُ العامِلونَ بهِ ، وهُوَ كذلكَ رحمةٌ لهُم يَرْحَمُهُمْ بهِ اللهُ ربُّهُمْ . وكما بدأتِ السُّورةُ بالثّناءِ على القرآنِ الكَريم : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٢] فقدِ اتّجهتْ في أواخِرِها إلى أمْرِ النّاسِ بحُسنِ الاسْتِماعِ إلى هذا القرآنِ ، وإلى تدبُّرِهِ والعَمَلِ بهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) ﴾

وإذا قُرِئَ القرآنُ الّذي ذَكَرْتُ خَصائِصَهُ ومَزاياهُ عَلَيْكُم فاسْتَمِعوا لَه بتدبُّرٍ وخُشوعٍ ، واصْغوا إليهِ بأسْماعِكُمْ وكلِّ جوارِحِكُمْ ، لِتَفْهَموا مَعانِيَهُ وتَفْقَهوا تَوْجيهاتِهِ ، وأنْصِتوا لِقراءَتِه حتّى تَنْقَضِيَ تعظيماً لهُ وإكباراً لِشأْنِه ، لكَيْ تَفوزوا برحمةِ اللهِ تَعالى ورِضاهُ .

ثمَّ خُتِمَتِ السُّورةُ الكَريمةُ بالحديثِ عنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى ، الّذي هوَ طِبُّ القُلوبِ ودواؤُها ، وعافيةُ الأبدانِ وشِفاؤُها ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾ .

واذْكُرْ ربّكَ ذِكْراً نَفْسِيّاً ، تَحُسُّ فيهِ بالتّقرُّبِ إلى اللهِ تَعالى والخُضوعِ لَهُ ، والخوفِ مِنْهُ مِنَ غيرِ صياحٍ ، بلْ فوقَ السِّرِّ ودونَ الجَهْرِ مِنَ القولِ ، وليَكُنْ ذِكْرُكَ في طرفي النَّهارِ ، لِتَفتَتِحَ نَهارَكَ بالذِّكرِ لِربّكَ وتَختِمَهُ بهِ ، ولا تكُنْ في عامّةِ أوقاتِكَ مِنَ الغافِلينَ عنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى ، وَلْتُشْغِلْ وقتَكَ بالذِّكرِ والدُّعاءِ والتّسبيحِ وقِراءةِ القُرآنِ الكَريمِ ، حتّى تكونَ عندَ اللهِ تَعالى مِنَ الفائِزينَ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾ .

إنَّ الّذينَ هُمْ قَريبونَ مِنْ ربّكَ بالتّشريفِ والتّكريمِ ، وهُمُ المَلائِكةُ في الملأِ الأعلى ، لا يَستكبِرونَ عَنْ عِبادتِهِ سُبْحانَهُ ، ويُنزِّهونَهُ عمّا لا يَليقُ بهِ ، ولَهُ وَحْدَهُ يَخْضَعونَ ويَسْجُدونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ضرورةُ الالتجاءِ إلى اللهِ تَعالى في كلِّ حينٍ ، ومِنْ بابٍ أوْلَى عندَ نَزْغِ الشَّيطانِ .

٢ـ المؤمنُ إذا أوْقَعَهُ الشَّيْطانُ في وَسْوَسَةٍ فإنَّهُ سريعُ الرُّجوعِ إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ الحثُّ على عدمِ الإيذاءِ في الذِّكْرِ بالرَّفْعِ المَذْمومِ للصَّوْتِ فيهِ وجَعْلِهِ في النَّفْسِ .

٤ـ ضَرورةُ أنْ يكونَ ذِكْرُ اللهِ تَعالى باللِّسانِ والقَلْبِ معاً .

٥ـ للملائِكةِ مَنْزِلةٌ عُليا مِنَ الخيرِ والفَضْلِ عندَ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَنزَغَنَّكَ ، مسَّهُمْ طائِفٌ ، يمدُّونَهُمْ في الغَيِّ ، اجْتَبَيْتَها ، بصائرُ .

٢ـ بيِّنْ سُبُلَ محاربةِ الشَّيطانِ ونوازِغَهُ الّتي ذَكَرَتْها الآياتُ الكَريمةُ .

٣ـ ما موقفُ المُتّقينَ مِنْ نَزَغاتِ الشَّياطينِ ؟

٤ـ ذَكَرَتِ الآياتُ بعضَ مطالبِ الغاوينَ ، بيِّنْ ذلكَ .

٥ـ ما منزلةُ المَلائكَةِ الكِرامِ ؟ وما هِيَ أخصُّ صفاتِهِمْ كما ذَكَرَتْها الآياتُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آياتِ سورةِ النَّحلِ الّتي تُبيِّنُ ما يقولُهُ المسلمُ عندَ قراءةِ القرآنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يُبيِّنُ كيفَ يغوي الشَّيطانُ الإنسانَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يُبيِّنُ فضلَ الذِّكْرِ والذّاكِرينَ .

٤ـ اكْتُبْ على لوحةٍ كرتونيّةٍ بخطٍ واضحٍ وجميلٍ الآياتِ القرآنيّةَ الّتي فيها سجودٌ للهِ تَعالى ، وبيِّنْ أرقامَها ، واسمَ السّورةِ الّتي تَرِدُ فِيها كلٌّ مِنها ، وعَلِّقِ اللّوحةَ في غُرْفةِ الصَّفِ .

مراجِعُ الكِتابِ

١ـ القرآن الكَريمُ .

٢ـ تفسيرُ التحريرِ والتنويرِ ، لمحمّد الطّاهر بن عاشور .

٣ـ تفسيرُ القرآنِ كلماتٌ وبيانٌ ، لمحمد حسنين مخلوف .

٤ـ تفسيرُ المنارِ ، لمحمد رشيد رضا .

٥ـ التفسيرُ الوسيطُ ، لمحمد سيّد طنطاوي .

٦ـ التفسيرُ الوسيطُ ، للجنةٍ منْ علماءِ الأزهرِ .

٧ـ في ظلالِ القرآنِ ، لسيّد قطب .

٨ـ تفسيرُ الطَّبريِّ .

٩ـ سننُ أبِي داودَ .

١٠ـ سننُ ابن ماجة .

١١ـ سننُ التِّرمذيِّ .

١٢ـ صحيحُ البخاريِّ .

١٣ـ صحيحُ مُسلمٍ .

١٤ـ مسندُ أحمدَ .

* * *